إنه العظيم جل جلاله

جمع وترتيب طويلب العلم

أحمد بن عبدالله السلمي

١٠ ريال

١٤٣٣/١١/٥هـ سلسلة رسائل ترقيق القلوب

((اثنان لا تنساهما أبداً : العظيم جل جلاله، والدار الآخرة))

لقمان الحكيم



انتبه الأمر جلل

جمع و ترتيب طويلب العلم

أحمد بن عبد الله السلمي

عفا الله عنه وغفر له

ⓗ احمد بن عبدالله السلمي ، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

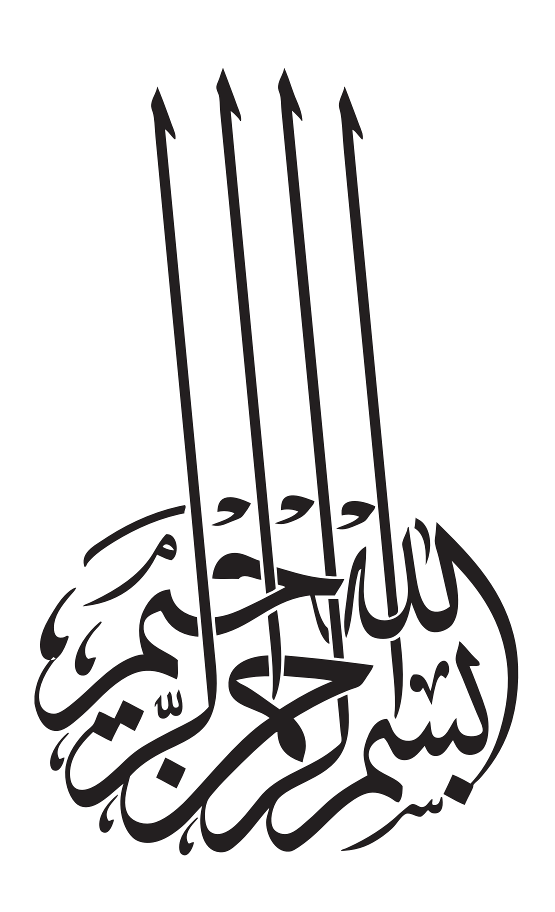
السلمي ،أحمد عبدالله
إنه العظيم جل جلاله. / السلمي ،أحمد عبدالله - ط١. .- الاحساء ، ١٤٣٨هـ

٣٢٨ ص ؛ ١٧×٢٤سم

ردمك: ٦-٥٢٨٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨

١- الله جل جلاله ٢- الاسماء و الصفات أ.العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٣٩/١٦٤

رقم الإيداع: ١٤٣٩/١٦٤
ردمك: ٦-٥٢٨٨-٠٢-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

استفتح كتابي بما كان ابن الجوزي – رحمه الله – يناجي ربه به فيقول :

(إلهي لا تعذب لساناً يُخبر عنك، ولا عيناً تنظر إلى علوم تدلّ عليك، ولا يداً تكتب حديث رسولك؛ فبعزتك لا تدخلني النار) .

قال عز من قائل: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان:٢٧]

والله لو كان البحر محابر والسموات السبع والأرضون دفاتر فلن تفي في تدوين فضله وأفضاله ولن تبلغ في بيان عظمته وكم لله من آية مما يبصره العباد وما لا يبصرونه، وتفنى الأعمار دون الإحاطة بجميع تفاصيلها، ولكن أكثر الناس لا يفقهون. (**عَنْ ابْن عَبَّاس قَالَ : سُئِلَ النَّبِيّ – صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ – عَنْ قَوْل اللَّه عَزَّ وَجَلَّ** ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ **قَالَ كُرْسِيّه مَوْضِع قَدَمَيْهِ وَالْعَرْش لَا يُقَدِّر قَدْره إِلَّا اللَّه عَزَّ وَجَلَّ**) فإنه لا أحد يقدر أن يصف العرش ويصف عظمته إلا الله عز وجل لأن مقداره عظيم ..وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السموات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تحار الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع..

عنت الوجوه لنور وجهه وعجزت العقول عن إدراك كنهه.. أشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الأرض والسماوات وصلحت عليه جميع المخلوقات ضاعت الأفكار وطاشت العقول وكلت الألسنة عن العبارة عن بعض المخلوقات فالله أعلى وأعظم آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون. إن فيما أودع الله في مخلوقاته ما يستنطق الأفواه بالتسبيح، ويملأ القلوب إجلالاً من معرفة حكمته وقدرته، وما به يعلم العاقل أنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سُدى، فلله في كل مخلوق حكمة باهرة، وآية ظاهرة وبرهان قاطع يدل على أنه المنفرد بكل كمال، وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، قد خلق الخلق ليعبدوه.

عظُم في نفوس بعض الناس قدرُ قوى الأرض البشريّة، حين رأوا مُنجزاتِ الحضارة المادّيـة ونتاجِها العلمي، من هندسـةِ الصفات الوراثية إلى الاستنسـاخ إلى الصواريخِ العابِرة للقارّات إلى حرب النّجوم وضُروب المدافع والقنابل. هذا التطوّرُ السريع، والنموُّ الكبيرُ في آليّات التقدّم المادّيِّ الترقي في علوم الصناعـة؛ الذي بلغ في زماننا -هذا- مبلغاً يفوق الوصف، فهذه المراكب البحرية والبرية والجوية، وهذه الآلات الحربية الحديثة التي تبهر العقول؛ بدقة صنعتها ووفرة منجزاتها، وأدائها لوظيفتها أداءً محكماً دقيقاً،

إذا كانت هذه المواهب والقدرات والفهوم والعقول هي خلق من خلقه، ورزق من رزقه فكيف بقدرة مانحها؟ وعلم معطيها؟ وعظمة واهبها سبحانه وتعالى .؟!!!!!!!

﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] فما بالك أيها الإنسان لو جمعت علوم الأولين والآخرين وقال لك رب العالمين «وما أوتيتم من العلـم إلا قليلا» فعلوم اللَّه عزَّ وجل المتعلِّقة بما خلق من أكوان ومَجَرَّات وعوالـم مختلفة، والتَّرابط القائم بين جميع المخلوقات، أوسـع وأعقد من أن تحيط بهما عقول البشر فرادى ومجتمعين، وهم مدعـوُّون بالتالي لدراسـتهما وتتبُّعهما والاسـتفادة منهما. واللَّه عزَّ وجـل عالم بالظَّاهر والباطن، وعلمه شامل للماضي والحاضر والمستقبل يحيط بجميع الكائنات في الحياة الدنيـا وفي الآخرة، ويشـمل مـا نعلمه وما نجهله؛ وأقرب مثال على شـموليَّة علمه يبدو واضحـاً في الإنسـان نفسـه، الَّذي هو من خلـق اللَّه، والَّذي اسـتطاع بواسـطة عقله أن يصـل إلى مسـتوى رفيع مـن العلم والخبرة أَهلـه لأن يطلق قمراً صناعيـاً يرصد ما يجري تحت مساره، ويصوِّره بدقَّة شديدة، ثمَّ يعيد إرسال الصور إلى المحطات الأرضية وهي في غاية الوضوح، دون أن يغيب عنه شيء من تفاصيل هذه العملية المعقَّدة. فإذا كان الأمر بالنسـبة للإنسـان المخلوق - على ضعفـه - كـذلـك، فما بالك بالنسبة للخالق العظيم الَّذي خلق المجرَّات بأعدادها اللامتناهية؟! فهل يعقل أن يغيب عنه شيء ممَّا خلق؟

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١]

ويجـب على المسـلمين أن يعلمـوا أن ما وصلـوا إليه من تقـدم في مجالات الحياة لا يمكـن أن يحصل لولا تعليم اللَّه عز وجل، فلو شـاء لسـلبهم العلم، وكانوا جاهلين

بمصالحهم، ولكنه تعالى منَّ عليهم بالعلم والقدرة، ومهما أُوتي العباد من علم وقدرة فإنه يسيرٌ جداً بالنسبة إلى علم الله وقدرته.

فعلينا أن نعتبر بهذه الوسائل الحديثة، على كمال الله علماً وقدرةً ورحمة، وأنه وحده الخالق لهذه الأمور كلها: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات: ٩٦] فهو الذي أبدع هذه الصناعات، وهو الذي خلق صانعيها، وهو الذي دلَّهم وفهَّمهم، ومنَّ عليهم بالإدراك والعلم والعقل، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٣٧]

الله هو الرب الذي تألهه القلوب، وتحن إليه النفوس، وتتطلع إليه الأشواق، وتحب وتأنس بذكره وقربه، وتشتاق إليه، وتفتقر إليه المخلوقات كلها، في كل لحظة وومضة، وخطرة وفكرة في أمورها الخاصة والعامة، والصغيرة والكبيرة، والحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومنشؤها وباريها، وهي تدين له سبحانه، وتقر وتفتقر إليه في كل شئونها وأمورها .. إنه الله العظيم ..

« وهو العظيم بكل معنىً يوجب التعظيم لا يحصيه من إنسان »

« لماذا الحديث عن الله أهل العظمة والكبرياء؟ لأن الحديث عنه أعظم كلام، وأجمع كلام، وأحلى كلام، لماذا الحديث عن الله؟ لأن القرآن كله جاء في الحديث عنه في عظمته في خلقه في أمره في نهييه في قضائه في تصريفه في تدبيره. لماذا الحديث عن عظمة الله؟ لأن عظمة العظيم العزيز الجبار ضعفت في قلوب كثير من البشر، فاعتدوا على محارم الله وطغوا، وفرطوا في جنب الله وبغوا، فضعفت في قلوبهم هيبة الله، وتناسوا سطوة الله، وتغافلوا عن جبروت الله، وما قدروا قوة الله وبطش الله - كما سيأتي بيانه -، فها نحن اليوم نتكلم عنه والحياء يملأ وجوهنا، والخجل يعم قلوبنا، فمن نحن حتى نمدحه أو نمجده أو نثني عليه لكن نقدم العذر بين يديه أننا لا نستطيع أن نتكلم عن كل عظمته أو نحيط بها قدراً وعلماً، وما ذكرناه في كتابنا هذا ما هو إلا ذرة في عظمته، وبيانا لنسمة من جلاله وهيبته فالله أحق من مدح وأجل من ذكر وأعظم من عُبد »

[من محاضرة: سبحانك ما أعظمك إعداد: فيصل الشدي بتصرف يسير للمناسبة]

لا شيء أعظم من الله، ولا حديث أحسن من الحديث عنه، فذكره دواء، وكتابه شفاء، واتباع أمره نجاء.

يَتَحْدُث الْنَّاس عَن الْعُظَمَاء، وَيَتَحَدَّث الْنَّاس عَن الزُّعَمَاء ..

وَيَتَحَدَّث الْنَّاس عَن أُوْلِي الْقُوَّة وَالْسَّطْوَة وَالْعِز وَالْجَبَرُوْت ..

وَلَكِن .. كَثِيْرا مِن الْنَّاس لَا يَفْقَهُوْن وَلَا يَعْلَمُوْن وَلَا يُدْرِكُوْن ..

مَا لِلَّه عَز وَجَل مِن عَظَمَة بَالِغَة .. هِي أُوْلَى وَأَحْرَى أَن تَذْكُر ..

وَهِي أَوْلَى وَأَحْرَى أَن تُسَطِّر .. وَهِي أَجَل وَأَعْلَى مِن أَن يُحِيْط بِهَا عِلْم عَبْد .. فالله تبارك وتعالى عظيم في ذاته .. عظيم في أسمائه .. عظيم في صفاته .. عظيم في ملكه وسلطانه عظيم في خلقه وأمره .. عظيم في دينه وشرعه .. ذو الملك والملكوت والكبرياء والعظمة .

ومن عظمة الله سبحانه وتعالى : أن قدره جاوز حدود الإدراك والخيال والعقل حتى لا يتصور أحد الإحاطة بكنهه وحقيقته تعالى

إليك ! وإلّا لا تُشدُّ الركائبُ — ومنك ! وإلّا فالمؤمِّلُ خائبُ

وفيك ! وإلّا فالزَّمانُ مُضيَّعٌ — وعنك ! وإلّا فالمُحَدِّثُ كاذبُ

لديك ! وإلّا لا قرارَ يطيبُ لي — إليك ! وإلّا لا تسيلُ السواكبُ

وكل سماع لا لقولك زلات

وكل وقوف لا لبابك خيبة — وكل عكوف لا إليك جنايات

وكل اهتمام دون وصلك ضائع — وكل اتجاه لا إليك ضلالات

وكل رجاء دون فضلك آيس — وكل حديث عن سواك خطيئات

سبحان من لو سجدنا بالجباه على — حرارة الجمر والمحمي من الإبر

لم نبلغ العشر من مقدار نعمته — ولا العشير ولا عشراً من العشر

يا رب حمدا ليس غيرك يحمد — يا من له الخلائق تصمد

أبواب كل مملك قد أوصدت — ورأيت بابك واسعا لا يوصد

سهر العيون لغير وجهك ضائع — ورضى النفوس بغير حبك باطل

مهما كتبنا في علاك قصائداً — بالدمع خطت أو دم الأجفان

فلأنت أعظم من مديحي كله — وأجل مما دار في الحسبان

شكر وتقدير

قال صلى الله عليه وسلم : (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) [أبو داود ٤٨١١ والترمذي ٢٠٣٧ صحيح الجامع ٧٧١٩]

وقال ابن أبي الدنيا : أنشدني الحسين بن عبد الرحمن :

لو كنت أعرف فوق الشُّكر منزلةً ... أعلى من الشكر عند الله في الثَّمن

إذا منحتكها منِّي مهنَّدةً ... شكراً على صنع ما أوليت من حسن

إذا أنت لم تزدد على كل نعمة ... لموليكها شكراً فلست بشاكر

وقال قال محمود الوراق رحمه الله :

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علي له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله ... وإن طالت الأيام واتصل العمر

إذا مس بالسراء عمّ سرورها ... وإن مس بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلا له فيه منّة ... تضيق بها الأوهام والبر والبحر

فالنعمة تحتاج إلى شكر، ثم إذا شكرتها، فهي نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان، وإن شكرت في الثانية، فهي نعمة تحتاج إلى شكر ثالث، وهكذا أبدا، قال تعالى : ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل:١٨] فأول الشكر وآخره لولي الحمد ومستحقه ذي الفضل العظيم والمنن الوفيرة له الأسماء الحسنى والصفات العلا فله سبحانه وتعالى الحمد كله وله سبحانه وتعالى الشكر كله لا منتهى لحده ولا حد لمنتهاه، له الحمد والشكر أولا وآخراً ظاهراً وباطناً كما ينبغي لجلال وجه وعظيم سلطانه .

لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فلا حمد إلا أن تمن بنعمة ... تعاليت لا يقوى على شكرك العبد

بعد شكر الله عز وجل أرى لزاما علي أن أزجي الشكر بل أتقدم بوافر الشكر إلى كل من ساهم من أهل العلم في إخراج الرسالة على هذا النحو سواء من علمهم وكتبهم أو بإبداء نصح ومشورة أو بمساعدة على تصحيح الرسالة وإبداء بعض الملاحظات القيمة أو طبع ونشر، فإني وإن لم أذكر أسماءهم فإني معترف لهم بالفضل والامتنان، أجزل الله لهم الأجر والمثوبة وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

إذا لم يتغير حالك بعد علمك بعظمة العظيم جل جلاله فاتهم نفسك، يا ضيعة العمر إن نجا السامع وهلك المسموع، ويا خيبة المسعى إن وصل التابع وهلك المتبوع.

تنبيه مهم للغاية: أخي على درب الحق: ما سنذكره في هذا الكتاب بعض عظمته سبحانه وتعالى وإلا فعظمة الله جل جلاله أجل من أن يحيط بها علم أو قلم أو عقل أو خيال أو تصور أو إدراك.

من القرآن الكريم

﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ [طه: ١٤]

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]

﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ٥٩ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٦٢ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦٓۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٣ أَمَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٦٤

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٥٩-٦٥]

تمثل الحوار الهادي الصريح، والتحديد المعجز، وهذا الحوار المؤثر يشمل على تلك الأسئلة المحيرة والبليغة المعجزة، فتأملها وتدبرها لتقف على شيء من عظمة الباري جل في علاه.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢-١٠٣]

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦-٢٧]

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [لقمان: ٢٨]

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٣]

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ [الأعراف: ٥٤]

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأنعام: ١٤]

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍۚ﴾ [الأنعام: ١٦٤]

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر ٦٢-٦٧]

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [هود:١٢٣]

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١-٣]

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر:٥٧]

﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الروم:٨]

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦ - ٣٧]

ولنا مع هذه الآيات وغيرها وقفات .

مما صح من السنة النبوية والآثار

قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم : (قال الله عز وجل : الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار) [رواه مسلم] .

(سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ، أَنْ تَقُولَ : اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلَهَ إلا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مَنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِذَنْبِي وَأَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ، فَاغْفِرْ ذُنُوبِي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أَنْتَ، مَنْ قالَها مُوقِنًا بَعْدَمَا يُصْبِحُ فَمَاتَ مِنْ لَيْلَتِهِ، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَها حِينَ يُمْسِي مُوْقِنًا بِهَا، كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ) [رواه البخاري] .

(«مَـا قَـالَ عَبْدٌ قَطُّ إِذَا أَصَابَهُ هَمٌّ وَحَزَنٌ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجِلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي، إِلَّا أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَ حُزْنِهِ فَرَحًا »، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَعَلَّمَ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ ؟ قَالَ: «أَجَلْ يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهُنَّ أَنْ يَتَعَلَّمَهُنَّ ») [رواه أحمد وغيره] .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) [رواه البخاري] .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ أَتَتْ فَاطِمَةُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تَسْأَلُهُ خَادِماً فَقَالَ لَهَا قُولِي : (اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ وَأَغْنِنَا مِنْ الْفَقْرِ) [أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ] .

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ! مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وَإِذَا أَمْسَيْتُ. قَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وشِرْكِهِ). وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «وَأَنْ أَقْتَرِفَ عَلَى نَفْسِي سُوءاً، أَوْ أَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ». قَالَ: قُلْهَا إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيتَ وَإِذَا أَخَذْتَ مَضْجِعَكَ). [الترمذي (رقم:٣٣٩٢) (رقم:٣٥٢٩)، أبي داود (رقم:٥٠٦٧) (رقم:٥٠٨٣)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترمذي (رقم:٢٧٠١)].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صلى الله عليه وسلم إِذَا قَامَ مِنْ اللَّيْلِ يَتَهَجَّدُ يقول: (اللَّهم لك الحمد أنت قيّوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السماوات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومَن فيهن، ولك الحمد أنت رب السماوات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنَّبِيُّون حق ومحمد صلى الله عليه وسلم حق والساعة حق .اللَّهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكَمْت، فاغفر لي ما قدمت وما أخّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت الْمُقَدِّم وأنت الْمُؤَخِّر، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك) [متفق عليه].

(اللَّهم تَمّ نُورك فَهَدَيت فَلَكَ الْحَمْد، وعَظُم حِلمك فَعَفَوْت فَلَكَ الْحَمْد، وَبَسَطْتَ يَدك فأعطيت فَلَكَ الْحَمْـد، ربنا وَجهك أكْرم الوُجوه، وجَاهك خير الجاه، وعطيتك أفضل العطية وأهنأها، تُطاع ربنا فتَشْكُر، وتُعْصَى ربنا فَتَغْفِر، تُجيب المضطر وتَكْشِف الضُّرّ، وتَشْفِي السَّقِيم، وتُنَجّي مِن الكَرْب، وتقبل التوبة، وتغفر الذنب لمن شئت، لا يَجزي آلاءك أحد، ولا يُحْصِي نعماءك قول قائل) [رواه ابن أبي شيبة من طريق عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه].

(الْحَمْـدُ لِلَّهِ اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ بِمَـا خَلَقْتَنَا وَرزَقْتَنَـا وَهَدَيْتَنَا وَعَلَّمْتَنَـا وَأَنْقَذْتَنَا وَفَرّجَتْ عَنَّا، ولكَ الْحَمْدُ بِالإسْلامِ وَالْقُرْآنِ، وَلَكَ الْحَمْدُ بِالأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْمُعَافَاةِ كَبَتَّ عَدُوَّنَا، وَبَسَطْتَ رِزْقَنَا، وَأَظْهَرْتَ أَمنَنَا وَجَمَعْتَ فُرْقَتَنَا، وَأَحْسَنْتَ مُعَافَاتِنَا، وَمِنْ كُلِّ مَا سَأَلْنَاكَ رَبَّنَا أَعْطَيْتَنَا، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى ذَلِكَ حَمْدًا كَثِيرًا لَكَ الْحَمْدُ بِكُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيْنَا فِي قَدِيمٍ أَوْ حَدِيثٍ، أَوْ سِرٍّ أَوْ عَلانِيَةٍ، أَوْ خَاصَّةً أَوْ عَامَّةً، أَوْ حَيٍّ أَوْ مَيِّتٍ أَوْ شَاهِدٍ أَوْ غَائِبٍ، لَكَ الْحَمْدُ حَتَّى تَرْضَى وَلَكَ الْحَمْدُ إِذَا رَضِيتَ) الْحَسَنُ إِذَا ابْتَدَأَ حَدِيثَهُ قال ذلك [رواه البيهقي في شُعب الإيمان].

فهو الحميد فكل حمـدٍ واقـع — أو كان مفروضًا على الأزمـان

هو أهلـه سبحانـه وبحمـده — كل المحامد وصف ذي الإحسان

فلك المحامد والمدائح كلها — بخواطري وجوارحي ولساني

ولك المحامد ربنا حمدًا كما — يرضيك لا يفنى على الأزمان

ملء السماوات العلا والأرض — والموجود بعد ومنتهى الإمكان

مما تشاء وراء ذلك كلـه — حمـدًا بغير نهاية بزمـان

[ذكره ابن القيم في نونيته]

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته، الحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته، الحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته، الحمد لله الذي خضع كل شيء لملكه.

(أَنَا الصَّغِيرُ الَّذِي رَبَّيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الضَّعِيفُ الَّذِي قَوَّيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْفَقِيرُ الَّذِي أَغْنَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الصُّعْلُوكُ الَّذِي مَوَّلْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الأَعْزَبُ

الَّذِي زَوَّجْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا السَّاغِبُ الَّذِي أَشْبَعْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْعَارِي الَّذِي كَسَوْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْمُسَافِرُ الَّذِي صَاحَبْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْغَائِبُ الَّذِي أَوِيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الرَّاجِلُ الَّذِي حَمَلْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الْمَرِيضُ الَّذِي شَفَيْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، وَأَنَا الدَّاعِي الَّذِي أَجَبْتَهُ فَلَكَ الْحَمْدُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ رَبَّنَا حَمْدًا كَثِيرًا عَلَى كُلِّ حَمْدٍ) [محارب بن دثار رواه البيهقي في شُعب الإيمان] .

إِلهَنَا: مَا أَعْدَلَكْ	مِلِيكُ كُلِّ مَنْ مَلَكْ
لَبَّيْكَ، قَدْ لَبَّيْتُ لَكْ	لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ
وَالمُلْكَ، لاَ شَرِيكَ لَكْ	مَا خَابَ عَبْدٌ سَأَلَكْ
أَنْتَ لَهُ حَيْثُ سَلَكْ	لَوْلاَكَ يَا رَبِّ هَلَكْ
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ	وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكْ
كُلُّ نَبِيٍّ وَمَلَكْ	وَكُلُّ مَنْ أَهَلَّ لَكْ
وَكُلُّ عَبْد سَأَلَكْ	سَبَّحَ أَوْ لَبَّى، فَلَكْ
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ	وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكْ
وَاللَّيْلَ لَمَّا أَنْ حَلَكْ	وَالسَّابِحَاتِ فِي الْفَلَكْ
عَلى مَجَارِي الْمُنْسَلَكْ	يَا مُخْطِئاً مَا أَغْفَلَكْ
جِّلْ وَبَادِرْ أَجَلَكْ	وَاخْتِمْ بِخَيْرِ عَمَلَكْ
لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ لَكْ	وَالْعِزَّ لاَ شَرِيكَ لَكْ
وَالْمُلْكَ لاَ شَرِيكَ لَكْ	وَالْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكْ

[قيل أن أبو نواس لبى بها في الحج] .

ولله در القائل : (والله الذي لا إله إلا هو الأمة لن تقوم إلا إذا عظمت الله، إلا إذا وقرت ربها، إلا إذا عبدت رب السماوات والأرض كما ينبغي) .

فليتك تحلو والحياة مريرة	وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر	وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود يا غاية المنى	فكل الذي فوق التراب تراب

والصحابي الجليل خبيب بن عدي رضي الله عنه يقول عندما صلبه الكفار ليقتلوه:

ولست أبالي حين أُقتَل مسلما على	أي جنبٍ كان في اللّه مضجعي
وذاك في ذات الإله وإن يشأ	يبارك على أوصال شلوٍ ممزع

وصدق من قال : « كفاني عزاً أن تكون لي رباً، وكفاني فخراً أن أكون لك عبداً »

لو أعلم أن لقياك يقتلني لأحضرت عند اللقاء أكفاني، ولو أعلم أن الحلم فيك يجمعني لأغمضت طوال الدهر أجفاني، اللّه لانمل من ذكره ..

اذكره في نفسك أخي المسلم ليذكرك في نفسه، أذكره في ملأ ليذكرك في ملأ خير منه، اذكره وأكثر من ذكره ليملأ قلبك طمأنينة وراحة وقلها : يا اللّه، اللّه كريم الاسم عليُّ الوصف .. سبحت له السموات والأرض ومن فيهن .. وفي الحديث القدسي :(من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم) [البخاري٧٤٠٥] .

سبحان اللّه وبحمده، ، سبحان اللّه العظيم

أحلى اللحظات وأجل الساعات إذا ذكرته، أشرف الرتب وأفضل القرب إذا سبحته، أرفع المقامات وأعظم الدرجات إذا شكرته، أحلى حياة في طاعة اللّه، فيا من يبحث عن السعادة ويا من يبحث عن الطمأنينة، ويا من أغلقت دونه أبواب الملوك والأغنياء، يامن داهمته الخطوب والأحزان، يامن كان المرض له رفيقا فأعياه، العلاج بين يديك وما أجمله من علاج، حين يكون قرب من الله وأنس باللّه ورضا للّه ورضا بقضاء الله وقدر اللّه .

أحبابي: **ما أجمل الحياة مع اللّه، «اللّه» ما أجملها من كلمة ! «اللّه» ما أعظمها من كلمة ! ما أحسنها من كلمة .. ما أعذبها من حروف .. «اللّه» كم من السكينة نشعر بها عند نطقها .**

هل تعلم !..

أن في القلب شعث لا يلمه، إلا الإقبال على اللّه ؟!.. وفيه وحشة لا تزيلها، إلا الأنس به ؟!.. وفيه حزن لا يذهبه، إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه ؟!.. وفيه آهات

وحسـرات لا يطفئهـا، إلا الرضا بأمـره ونهيـه ؟!.. وفيه فاقـة لا يسـدها، إلا محبته، والإنابة إليه وتعظيمـه ومراقبته والحياء منه، والمداومة على ذكره، والإخاص لـه ؟!..

ولو أعطي الدنيا وما فيها، لم تسد تلك الفاقة منه أبداً؟!.. [أهـمدارج السالكين ٢/٣٣٣]

إذا اسـتغنى الناس بالدنيا فاسـتغن أنت بالله .. وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله ..وإذا أنِسـوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله .. وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه، تنال بذلك غاية العز والرفعة [ابن القيم الفوائد:١٥٢]

القلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسر ولا يلتذ ولا يطيب ولا يسكن ولا يطمئن؛ إلا بعبادة ربه وحده، وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات، لم يطمئن، ولم يسـكن إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هـو معبوده ومحبوبـه ومطلوبة وبذلك يحصل له الفـرح وهذا لا يحصل إلا بإعانة الله له فهـو دائما مفتقر إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾ [الفاتحة:٥] [العبودية لابن تيمية بتصرف]

المؤمن لا يقنع من الله بأمر يسـكن إليه دون الله، ولا يفرح بما حصل له دون الله، ولا يأسى على ما فاته سـوى الله، ولا يسـتغني إلا بالله، ولا يفتقر إلا إلى الله، ولا يفرح إلا بموافقته لمرضاة الله، ولا يخاف إلا من سقوطه من نظر الله، فكله بالله، وكله لله، وكله مع الله، وسيره دائماً إلى الله . [المدارج ابن القيم]

لماذا سطرت هذا السفر ؟!!!

مـا عملنا هذا إلا إرضاء لله تبـارك وتعالى بالتقـرب إليه ببيان جانب من جوانب عظمته سبحانه وتعالى وليس هناك أحسـن من هذا ولا أجل ولا أعـظم من إيقاف أهـل العصر على شيء من جليل قدرته وعظيـم صنعته ورغبة منّا بتثبيت الإيمان في قلوبنا وقلب كل مؤمن، فإني أرى أن من أعظم أسـباب هداية الحيارى ورجوع العاصين هو الوقوف على عظمة الإله تبارك وتعالـى واستشعار القلوب لهيبة الرب عز وجل وكي يكون حجة داحضة في وجه كل جاحد.

"هذا الموضوع يحتاج إليه الكبير والصغير والرجل والمرأة لا سيما في هذا الزمان الذي

تكاثرت فيه الفتن وصار الإنسان يستطيع أن يصل إلى المنكر وهو في قعر بيته دون أن يشعر به أحد، وصار الإنسان يستطيع أن يطوف في أنواع الضلالات والشبهات وينظر في العقائد الفاسدة والمواقع والقنوات التي تبث الشبهات فتضلل الناس وتشكك الإنسان في عقيدته ودينه وهو في بيته بعد أن كان الناس لا يستطيع الواحد منهم أن يصل إلى مطلوبه من ذلك إلا بألوان الاحتيال والصعوبات، ولربما تعجزه وتقعده الحيلة فلا يستطيع أن يحقق مطلوباً لنفسه الذي تشتهي وتهوى، واليوم أيها الأحبة لا عاصم من أمر الله إلا من رحم يجلس المرء وهو في بيته يمكن أن يفعل ما يشاء ينظر إلى ما يشاء بل يمكن لهذا الإنسان أن يمارس كل ما لا يرضاه الله تبارك وتعالى دون أن يشعر بذلك أحد من الناس، أصبحنا أيها الأحبة نتقلب في فتن تجعل الحليم حيراناً، في حين أصبح كثير ممن جاوزوا سن ما يسمى بالمراهقة عادوا بعد ذلك إلى حال كان يجب أن ينزهوا أنفسهم عنها بعد اكتمال العقل والنضج وصار له من الذرية ما يكون حاجزاً من أن ينظر أو أن يفعل ما لا يليق خوف العواقب السيئة التي لربما نزلت بأهل بيته، حتى كثرت الشكاية من الزوجات على الأزواج، انتكس كثير ممن كان يرتاد المساجد ويظهر عليه سيما الصالحين انتكس على عقبه والسبب أنه عرض نفسه للفتنة أولاً فلم ينجو منها آخراً، ولذلك فإن في مثل هذه الأوقات أيها الأحبة لا بد من الحديث عن عظمة الله عز وجل التي تورث مراقبة الله عز وجل وخشيته إن القلوب إذا استشعرت عظمة ملك الملوك ملكها الخوف منه تبارك وتعالى .. والخشية .. والرهبة لم تعصه وأن نكرر هذا الحديث يعظ به الإنسان نفسه. حينما يتحدث ويعظ به إخوانه ويتردد ذلك في مجالسنا حيناً بعد حين فإن هذه القلوب يحصل لها ما يحصل من أنواع الغفلة شرود وقد ركبت في النفوس محبة الشهوات كما أن الفتن خطافة وقد يحمل الإنسان حب الاستطلاع على أن يرد موارد الهلكة فتعلق الشبه في قلبه ثم لا يستطيع بعد ذلك الخلاص منها وأعرف من هذا أمثلة كثيرة" [من محاضرة قيمة بعنوان: مراقبة الله لخالد السبت، بتصرف يسير]

وهناك سؤال مهم هو لماذا يعصي الإنسان ربه؟ سؤال بسيط في شكله وصياغته؛ ولكنه عظيم في مضمونه؛ لاشك أن هناك الكثير من الإجابات، ولكن وجدت إجابة في كتاب الله تشخص الداء بدقة متناهية ألا وهي قول الله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾[الزمر: ٦٧] .

فضعف عظمة الله في قلب العبد هي التي تدفعه لارتكاب معصية العظيم سبحانه؛ كيف يعصى الله ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران:٨٣]

كيف يعصى الله وهو يقول: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الاعراف:١٤٣] هذا الجبل يندك من عظمة الله !!

ولكي نتصور أخي الكريم حقيقة وكنه التعظيم فإن علينا أن نتفكر في هذا المثال: انظر إلى حال رفقاء الملوك والأمراء والرؤساء إلا من رحم الله تجد أحدهم لا يستطيع أن يرد لهذا الملك أو لهذا الرئيس أمراً ولا أن يرتكب نهياً حتى وإن كان هذا الأمر والنهي يضره في بدنه أو ماله أو أهله، وعندما نسأله عن سر هذه الطاعة العمياء نجد أن تعظيمه لهذا الرئيس هو السبب الحقيقي لهذه الطاعة، إذاً فالتعظيم يولِّد في النفس الخوف من المعظَّم.

ولهذا ما فتئ علماء الأمة يجتهدون في تذكير الناس بمسألة تعظيم الله؛ فها هو الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله يصنف كتاب التوحيد، ويقرر فيه مسائل العقيدة ثم يختم كتابه بأبواب عديدة كلها تتعلق بتعظيم الله، مثل: باب فيمن لم يقنع بالحلف بالله باب التسمي بقاضي القضاة باب احترام أسماء الله باب لا يرد من سأل الله باب قوله: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ ﴾ [الزمر:٦٧] وهذا آخر باب ذكره الشيخ في كتابه القيم.

أخي المسلم: كيف بفؤادك وقلبك إذا تذكرت عظمة الله تعالى وعظيم كبريائه ورقابته وقربه ومشاهدته لك؟ أم كيف أخي حال جوارحك إذا تذكرت ملكه المحيط وجبروته وعزته التي لا توصف؟ فهل نحن معظمون لله أم لا؟ للإجابة عن هذا التساؤل لا بد أن ننظر إلى حالنا عند الإقدام على فعل طاعة من الطاعات: هل نؤديها رغبة ورهبة، خوفاً وطمعاً؟ أم أن الطاعة أصبحت عادة من العادات نعملها كل يوم دون استشعار الهدف من أدائها؟ وهل المرأة حين تلبس الحجاب الشرعي تلبسه لأنه شرعٌ من الله أم أنه تراث وتقاليد؟ كذلك ننظر إلى حالنا عند فعل المعصية: هل نحس كأننا تحت جبل يكاد أن يسقط علينا أم كذبابة وقعت على أنف أحدنا فقال بها هكذا؟ كذلك لننظر إلى حالنا أثناء أداء الصلاة والقيام لرب العالمين هل نستشعر عظمة من نقابله فنخشع في

صلاتنا أم تشغلنا الأفكار والهواجس ؟ وهل إذا قابلنا ملكاً من ملوك الدنيا صنعنا عنده مثل ما نصنع في صلاتنا ؟ إذا أجبنا عن هذه التساؤلات بكل تجرد فسنعرف يقيناً هل نحن معظمون للّه أم لا ؟ مع كل أسى وحزن وأسف : ضعفت عظمة اللّه في قلوبنا فنحن حين نصلي صعود وقيام تتحرك جوارحنا لكن .. قلوبنا لا تصلي فهي لاهية لا متدبرة ولا خاشعة فلا يكون لصلاتنا أثر ولا معنى فلا هي تنهانا عن المنكر ولا هي تجلو عن قلوبنا الهم، ولا على المشاق تعين .

كذلك في تلاوتنا للقرآن الكريم فكيف هي أوضاعنا ؟..

ألسنا نفتح المصحف وتتحرك شفاهنا وتعلوا أصواتنا، وقلوبنا تجول في الدنيا وتصول فهي لم تقرأ معنا؟؟

وكذلك في صيامنا فلا استشعار واحتساب وكف للنفس عن اللغو والصخب وتدبر أمر اللّه واستشعار الخضوع له. ولما ضعفت عظمة العظيم العزيز الجبار في قلوب المسلمين عصوه وأشركوا به وطلبوا الرزق من غيره سبحانه إنه اللّه جل جلاله ما قدرناه حق قدره ولا عرفناه حق المعرفة .. إذا ذكر اللّه لم توجل منا القلوب ولا تقشعر منا الجلود .. لأننا لم نتعرف عليه ولم نقدره قدره .. إذ القلوب عنه معرضة والعقول عن التفكر في آياته غافلة ..

ملأنا القلوب بملذات الحياة وتمتعنا وتلذذنا وتقلبنا بنعم اللّه .. ليتنا اكتفينا بذلك بل بارزنا اللّه بالمعاصي وتفاخرنا بالمجاهرة بها، وهو سبحانه يمهلنا لعلنا إليه نرجع وله نتوب ونستغفر، ولكننا اتبعنا ما تشتهيه النفس وتلتذ به العين ولم نطلب رضى اللّه حق الطلب لأننا ما قدرنا اللّه حق قدره، ألهتنا الملذات وجذبتنا المغريات وتمكنت الشهوات والشبهات من نبضات القلوب، فصرنا تائهين حائرين نبحث عن السعادة في غير مكانها . وكلما وجدنا باباً نظن السعادة من ورائه .. نجده باب الضنك والنكد والهم والكبد، ثم لا نتوب ولا نحن نتذكر، بل نسعى خلف مكائد الشيطان ونستمتع بتلبيس إبليس، وإذا قيل لنا اتق اللّه أخذتنا العزة بالإثم، وما ذاك إلا لأننا ما قدرنا اللّه حق قدره، أصبحت الحياة الدنيا شغلنا الشاغل وغطى حب الدنيا على قلوبنا فأصبحنا نرى المنكر ولا ننكر وتتعجب من المعروف ومن به يأمر. حاربنا اللّه جهارا نهارا وتكلمنا عن الأحكام

التي بها أمر وأصبحنا نرتكب المحرمات ونبحث عن الأدلة الواهية حتى نقف عليها وبكل فخر نقول " أدين الله به " نتكلم في الله بلا حذر منه، وهو القائل ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣٠]. لكننا ما قدرنا الله حق قدره، ندخل بيوت الله والتي هي أحب البقاع إليه ونحن محملون بأنواع المعاصي، تسمع الموسيقى تتصاعد في ذلك المكان الطاهر من جهاز أحدهم ونفسد خشوع المسلمين بأفعالنا التي نرى أن فيها التقدم ثم تنتهي الصلاة ولا كأن شيئا حدث، ولو أن أحدنا كان مدعوا إلى بيت أمير لأعد له عدته ولكان حذرا، أما « الله جل جلاله » فلا إلا ما رحم ربك، لأننا ما قدرنا الله حق قدره !

تخرج النساء إلى الأماكن العامة متبرجات تلبس الكاسي العاري والضيق القصير ثم تجادل بغير علم هذه الموضة والتقدم وتتهم ﴿ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الأحزاب: ٣٣] بالتخلف والرجعية وإذا قيل لها اتق الله ضحكت بسخرية وقالت ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [البقرة: ١٣٤] ومضت ورائحة العطر منها تفوح ليست جاهلة بالمعنى المعروف بل هي تحمل الشهادات العالية أخذتها العزة بالإثم، والله من فوق سبع سماوات يراها، ولكنها ما قدرت الله حق قدره. دعاة الفجور والسفور والعلمنة والفساد ينتسبون إلى الإسلام وهم يدعون إلى سبيل الشيطان يقدمون مصالحهم الشخصية بل الشهوانية على دينهم الذي به عزهم ويأخذون من الكفرة عاداتهم السيئة ويقلدون الغرب بما هو سيئ سخيف ويدعون إليه ويقولون إلى متى ونحن رجعيون متخلفون بينما تجد الذي لا بد أن نأخذه من الغرب مثل الصناعات والاختراعات والتقدم التقني ليس لهم فيه باع لأن الرجعية والتخلف هو بالتمسك بكتاب الله بزعمهم، يريدون المرأة سلعة تتناقلها الأيدي الخبيثة، أكبر همهم المرأة لماذا لا تخرج من بيتها ولم لا تسوق ولم لا تشارك الرجل ولم لا تخلع .

الحجاب، ولم.. ولم..

ننام ونستيقظ على مشاكل المرأة التي وضعوها، وهم متيقنون أن الله أعطى المرأة كل حقوقها وحافظ عليها ولكنهم اتبعوا أهواءهم ويسعون إلى إرضاء الشيطان الذي وعدهم بالتبرؤ منهم حال انتهاء مهمته وما زالوا مستمرين على الحنث العظيم، لأنهم ما قدروا الله حق قدره !

وظهر في زماننا ما يخالف تعظيم اللّٰه تعالى من الاستخفاف والاستهزاء بشعائر اللّٰه، والتطاول على الثوابت والتسفيه والازدراء لدين اللَّه، مع ما أصاب الأمة من وهن وخور وهزيمة نفسية .

ضعفت في قلوب كثيرمن البشر، فاعتدوا على محارم اللّٰه وطغوا، وفرطوا في جنب اللَّه وبغوا، فضعفت في قلوبهم هيبة اللَّه، وتناسوا سطوة اللّٰه، وتغافلوا عن جبروت اللَّه، وما قدروا قوة اللَّه وبطش اللّٰه، خفَتَتْ عظمةُ اللّٰه في نفوس بعضِ المسلمين اليومَ، وعظُم في نفوسهم قدرُ قوى الأرض البشريّة، حين رأوا مُنجزاتِ الحضارة المادّية ونتاجِها العلمي، من هندسةِ الصفات الوراثية إلى الاستنساخ إلى الصواريخِ العابِرة للقارّات إلى حرب النّجوم وضُروب المدافع والقنابل. هذا التطوّرُ السريع، والنموُّ الكبيرُ في آليّات التقدّم الماديِّ، جعَل فئامًا مِن الخلق يصابون بالانبهار، وتتسرّب إلى دواخِلهم الرّهبة والهلَع وتضطرِب نفوسُهم وتُهزَم عزائمُهم. وهذا يحطِّم المجتمعات ويزلزل بنيانها ويحوِّلها إلى مجتمعاتٍ حزينَةٍ منكسِرةٍ يائسَةٍ ضائعة. إذا كانت هذه المواهب والقدرات والفهوم والعقول هي خلق من خلقه، ورزق من رزقه فكيف بقدرة مانحها؟ وعلم معطيها؟ وعظمة واهبها سبحانه وتعالى .؟!!

وإليك عبد اللَّه : موقف الإسلام من التطورات العصرية :

إخوة الإسلام! إن دين الإسلام دين الشمول والكمال، فقد حثَّ على التدبر والتفكر في كون اللَّه، وشجَّع على استخدام العقل والفهم، ولم يترك شيئاً فيه نفعٌ للبشرية وخيرٌ لها إلا حثَّ عليه ورغَّب فيه، ولم يقف جامداً أمام الاكتشافات العلمية والمخترعات الحديثة، بل أمر باستخدامها في نصرة الإسلام وحياضه، والدفاع عن المسلمين وبلادهم، قال تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وما أحوج المسلمون اليوم إلى الاستفادة من العلوم المعاصرة، والصناعات الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية الصحيحة، فهي مصدر العزة والقوة والخير للبشرية جميعاً، وأنَّى لأمةٍ من الأمم مهما بلغت من التقدم العلمي والمادي والتحضر العصري، وإن ابتغت نفَقاً في الأرض أو سُلَّماً في السماء، أو جابت الأرض وغزت الفضاء أن تصل إلى ما تصبوا إليه من السعادة والقوة والنصرة والكرامة،

وهي في معزل عن العقيدة الإسلامية، ومنأىً عن تحكيم الكتاب والسنة ! أمة الإسلام ! لقد منَّ اللَّه على البشـرية في هذا العصر؛ إذ سخر لها ما نراه من الترقي في علوم الصناعة؛ الذي بلغ في زماننا -هذا- مبلغاً يفوق الوصف، فهذه المراكب البحرية والبرية والجوية، وهذه الآلات الحربية الحديثة التي تبهر العقول؛ بدقة صنعتها ووفرة منجزاتها، وأدائها لوظيفتها أداءً محكماً دقيقاً، وإن هذه الأمور من ابتلاء اللَّه لخلقه؛ لينظر من يستعين بها على طاعته، ويشكره عليها، ممن يكفر بها ويستعملها فيما يُسخط اللَّه. ويجب على المسلمين أن يعلموا أن ما وصلوا إليه من تقدم في مجالات الحياة لا يمكن أن يحصل لولا تعليم اللَّه عز وجل، فلو شاء لسلبهم العلم، وكانوا جاهلين بمصالحهم، ولكنه تعالى منَّ عليهم بالعلم والقدرة، ومهما أُوتي العباد من علم وقدرة فإنه يسيرٌ جداً بالنسبة إلى علم اللَّه وقدرته.

فعلينا أن نعتبر بهذه الوسائل الحديثة، على كمال اللَّه علماً وقدرةً ورحمة، وأنه وحده الخالق لهذه الأمور كلها: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الصافات:٩٦] فهو الذي أبدع هذه الصناعات، وهو الذي خلق صانعيها، وهو الذي دلَّهم وفهَّمهم، ومنَّ عليهم بالإدراك والعلم والعقل، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ﴾ [الأنعام:١٣٧]

كما ينبغي أن تزيد هذه المبتَكرات الجديدة في إيمان المؤمنين، وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى اللَّه عليه وسلم، فلا يمكن أن يحدث شيء من المحسوس، أو يُعلَم شيء من المعقول يخالف ما جاء به الكتاب والسنة أبداً، بدون تأوُّل أو تمحُّل. وقد أعمى اللَّه بصائر الكفار والمنافقين، فلم يعتبروا بهذه الآيات على عظَمة الخالق عز وجل، وكماله وقدرته وعلمه، فيفردوه بالعبادة، بل نظروا إليها نظرة التمتع العاجل بها، وكفروا بخالقها، وجحدوا نعمته، ونسبوا ذلك إلى علمهم وحولهم وقوتهم وعقولهم؛ فاغتروا بها وطغوا ولم يعتبروا بمن قبلهم.

والإنسان العاقل أمام بديع صنع اللَّه يرى فيها أدلة الإيمان على عظمة الخالق في ملكوته الملك فما يملك إلا أن تخشع جوارحه وتخضع وتذل وتستجيب فتفرد اللَّه بالعبادة وحده لا شريك له يقول تبارك وتعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت:٥٣]

فحريٌّ بالمسلمين حينَ تهزّهم عظمة البشر؛ استحضارُ عظمة خالقِ البشرِ سبحانه، الذي يدبّر أمور الممالك يأمر وينهى، يخلق ويرزُق، يميت ويحيِي، يداول الأيّام بين النّاس ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ﴾ [الإسراء: ٤٤]

فكل شيء يسبح الله عز وجل ويتلو الثناء له والتمجيد والاعتراف بعظمته وألوهيته وسلطانه الكامل وقدرته التامة وأحاديثه ومجده وعظمته ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ (١٨) ﴾ [الحج: ١٨]

كل الجمادات والنباتات والحيوانات تسجد لله .. بكثرتها.. بعظمتها .. إلا بعضا من مخلوق ضعيف شذ عن منظومة التسبيح في الكون ..ما بال الإنسان بعد ذلك يستنكف ويستكبر على خالقه ؟ ما باله يتمرد على نظام الحياة أجمع ؟ وماذا عساه يساوي في هذا الكون ؟ وأين مكانه في هذا العالم الفسيح ؟ يا عجبا من مضغة لحم .. كيف تسمع آيات الله تتلى عليها، فلا تلين ولا تخشع ولا تنيب .. فليس بمستنكر على الله عز وجل أن يخلق لها نارا تذيبها إذا لم تلن على كلامه وذكره ومواعظه !! كل هذه الكائنات، وتلك المخلوقات، تسبح خالقها وتقدسه، وأنت غافل لاه وقد خلقت لأجلك، وسخرها طوع أمرك، وقد كرّمك وفضّلك ؟! فمن الشاذ والغريب ؟! كيف تتمرد على خالقك، وتستنكف عن طريق الهداية، فتستظل وتختبئ حين تواقع المعصية وراء حائط يسبح ويسجد لربه !! أخي .. إما أنك تستشعر حرارة المعصية أو أنك لا تشعر بها !! فإن كنت لا تشعر فويحك أسرع لأنه الران، وهل تدري ما الران ؟ طبقة تغطي القلب لكثرة المعاصي فلا يشعر بعدها بحرارة الذنب إنها المعصية .كيف تتمرد على من عظمته ما أخبر به عن نفسه المقدسة بقوله: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٦٧) ﴾ [الزمر: ٦٧]

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض) رواه البخاري. هذا الكون بسمائه وأرضه وجباله وشجره ومائه وثراه وجميع المخلوقات يجعلها الله سبحانه وتعالى يوم القيامة على أصابعه ويجمعها في كفيّه سبحانه وتعالى، كما صحت بذلك

الأدلة. هذا يدلّ على عظمة اللّه سبحانه وتعالى، وصغر هذه المخلوقات الهائلة بالنسبة إليه سبحانه وتعالى ويدلّ على عظمته وكبريائه وجَبَروته سبحانه، ولهذا قال جل وعلا : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ ﴾ أي: ما عظّموه حقّ تعظيمِه .

حكمة بليغة، قال شيخ الإسلام: فإن عظمة اللّه تعالى وجلاله في قلب العبد يقتضي تعظيم حرماته وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب والمتجرئون على معاصيه ما قدروه حق قدره .

– ما أحوجنا إلى أن نتعرف على عظمة اللّه وعلى جلال اللّه، وعلى قوة اللّه، وقدرته وعظيم جبروته .

– وأنه يجب علينا أن نعرف عظمة اللّه عز وجل، وننزهه عن كل نقص، وإذا علمنا ذلك، ازدادت محبتنا وإجلالنا وتعظيمنا له ولأمره، قال تعالى: ﴿ مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح:١٣] أي : لا تعاملونه معاملة من توقرونه والتوقير: العظمة .

– قال الحسن البصري : ما لكم لا تعرفون للّه حقا ولا تشكرونه .

– وقال مجاهد :لا تبالون عظمة ربكم .

– وقال ابن عباس : لا تعرفون حق عظمته .

– قال ابن القيم : وهذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد وهو أنهم لو عظموا اللّه وعرفوا حق عظمته وحدوه وأطاعوه وشكروه فطاعته سبحانه اجتناب معاصيه والحياء منه بحسب وقاره. ومن أعظم الجهل قال ابن القيم : من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التعظيم والتوقير من الناس وقلبك خال من تعظيم اللّه العظيم وتوقيره فإنك توقر المخلوق وتجله أن يراك في حال لا توقر اللّه أن يراك عليها [الفوائد]

فتعظيم اللّه هو الحياة الحقة للقلوب، من أجل هذا جاء الكتاب ليخدم هذا الغرض كتابي هذا عن اللّه العظيم، عن العظمة، وأي عظمة أكبر من عظمة اللّه جل جلاله إنه اللّه العظيم جل جلاله

إهداء

تعـال معي لنتجول سـوياً أنا وأنت في رحاب مـا يقربنـا إلى مولانا جميعـاً في الدنيا والآخرة ترددت كثيراً قبل أن أكتب هذا الكتاب

واحتار فكري وقلمي فاستعنت بالله وسطرت هذا الكتاب لنفسي أولا ثم لك أخي الفاضل الحبيب ويشـهد الله أني أحبك فيه فربما قلت : كم من صديق عرفته وكم من رفيق صحبته لم يكن ناصحاً لي !! ويعلم الله أنه لم يشدني نحو شخصك . إلا حرصك على الخير وأهله . وأكبر دليل على ما أقول قراءتك لهذا الكتاب وحرصك على ما فيه لصلاح قلبك

أخي الغالي .. إن الناصح في هذا الزمن كالعملة النادرة ..

فكلٌ مشغول بنفسه ويسـعى أن ينال المجد لوحده وقليل من يعيش الهم لغيره . يفكر فيه ويصلح عيوبه ويسـدي له النصح ويبدي له المشاعر الصادقة ولأني أحبك .. أرجـو لك أن تنال الدرجات العلا في الجنة وأن تبتعد عن كل طريقٍ يؤدي للنار أعاذنا الله وإياك منها وأحببت أن أكون – إن شاء الله – أنا ذاك الأخ الصديق الناصح

فلا خيـر في الدنيـا إذا لـم يكـن بهـا　　　صديق صدوق صادق الوعد منصف

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : (ما تصدق مؤمن بصدقة أحب إلى الله عز وجل من موعظـة يعظ بهـا قومه فيفترقون قد نفعهم الله عز وجل بها ..) وسـئل الإمام أحمد : ما أفضل الصدقة ؟ فقال : (إن أفضل الصدقة موعظة تلقيها على أخيك المسلم فينتفع بها) إذا أحبك إنسان .. دلّك على طريق الجنة .. وألح عليك في ذلك .. أما غير ذلك .. فهو شقي غافل .. ويتمنى أن تكون مثله ، يقول أحد السلف : خير الإخوان من أحبك في الله وذكرك بالله وخوفك من عقاب الله ورغبك في لقاء الله وزاد قلبك تعظيما لله فذلك والله خير الزاد ليوم المعاد وذلك خير الإخوان .

عبد الله : اعلم أن أرق القلوب قلب يخشى الله ، وأعذب الكلام ذكر الله ، وأطهر حب الحب في الله ، فأنا أحبك في الله وأهدي إليك رسالة ، رسالة موسومة بـ [إنه الله العظيم جل جلاله انتبه الأمر جلل]

بعد هذه المقدمة أقول : هذا جهد وعمل مختصر في عظمة الله من جهد مقل جهد من بضاعته مزجاة، وخفاياه لا تخفى على مولاه، أسأل الله أن يتجاوز عن الجرأة والتقصير، وأن يستر بفضله في الدنيا والآخرة سرائر عبده الفقير، وأن يتقبل هذا العمل على ما فيه، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعل له القبول في الأرض وأسأله الدرجات العلى من الجنة آمين . أرجو أن يكون بحثنا في هذا الكتاب مفيدا للجميع ، ونعتذر عن كل تقصير فيه، وحسبنا أننا – إن شاء الله – لم نأل جهدا ولم ندخر وسعا في محاولة الوصول به إلى درجة الإتقان، إلا بذلناه لكن الكمال للّه وحده، ونسال الله التوفيق والسداد.

أخي على درب الحق : – وكما أسلفت – ما سنذكره في هذا الكتاب بعض عظمته جل جلاله وإلا فعظمة اللّه أجل من أن يحيط بها علم أو عقل أو خيال أو تصور أو إدراك تعالى اللّه عن ذلك علوا كبيرا وتقدس .

أخي القارئ لسان حالي وأنا أسوق هذا الكلام وأكتب هذا الرسالة أتمثّل قول إبراهيم التيمي رحمه اللّه : (ما عرضت قولي على عملي إلا خشيت أن أكون مكِّذبا) رغم زهده وورعه وتقواه إلا أنه كان مقللا لعمله. وأتمثل قول القحطاني في نونيته :

والله لو علموا خبيء سريرتي   لأَبى السّلام عليّ من يلقاني

وكان أيوب السختياني يقول : (إذا ذكر الصالحون كنت منهم بمعزل) وكان الحسن البصري – رحمه اللّه تعالى – كثيراً ما يعاتب نفسه ويوبخها بقوله : (تتكلمين بكلام الصالحين القانتين العابدين، وتفعلين فعل الفاسقين المرائين، واللّه ما هذه صفات المخلصين) وذُكر عند مخلد بن الحسين خُلق من أخلاق الصالحين فقال:

لا تعرضن بذكرنا في ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

قال الشافعي:

أحب الصالحين ولست منهم   لعلي أن أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي   ولو كنا سواء في البضاعة

فقال له من يعرف الفضل لأهله إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه اللَّه :-

تحب الصالحــين وأنت منهــم ومنكم سوف يلقون الشفاعــة

وتكره من تجارتــه المعــاصــي وقــاك اللَّه مـن شر البضـاعـة

فرحماك رحماك رحماك يا رب رحماك قال ابن الجوزي رحمه اللَّه : (والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به ، ففاته لذات الدنيا ، وخيرات الآخرة ، فقدم مفلساً مع قوة الحجة عليه) قال الإمام المنذري رحمهُ اللَّه : (ناسخ العلم النافع له أجره وأجر من قرأه أو كتبه أو عمل به ما بقي خطه ، وناسخ ما فيه إثم عليه وزره ووزر من عمل به ما بقي خطه) .

اللَّهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللَّهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما .

على كف النـدى أهـدي كتـابي وأرخـي في محبتكـم ركـــابي

فإن كان الـذي أهـدي يسيــرا ففيض الود أكمـل في النصـاب

وبعد هذه المقدمة فهذه الرسالة بين يديك

أسأل اللَّه أن ينفع بها كاتبها وقارئها وناشرها وأسـألُ أخاً انتفعُ بهذه الرِّسالة : أن يدعو لِكاتبها ، ولوالديه ، ولمشايخه ، ولجميع المسلمين ، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه الفقيرإلى ربِّه العَلي :

أحمد بن عبد اللَّه السُّلمي ١٤٣٣/١١/٥ هـ.

إنّ الحمـد للّه، نحمده ونسـتعينه ونسـتغفره، ونعوذ باللّه من شـرور أنفسـنا، ومن سـيّئات أعمالنا، من يهد اللّه فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شـريك له، العظيم المِلكُ الحقُّ العليُّ الكبير، تعالى في ألوهيّته وربوبيّتهِ عن الشّـريكِ والوزيرِ، وتقدّسَ في أحَدِيَّتِه وصَمَديتِه عن الصاحبةِ والولـدِ والوليِّ والنصير، وتنزَّه في صفاتِ كمالهِ ونعوتِ جلالِه عن الكُفـء والنظير، وعـزَّ في سلطانِ قَهره وكمالِ قـدره عن المُنازِعِ والمُغالبِ والمُعينِ والمُشيرِ، وجلَّ في بقائه وغِنَاهُ عن المُطعِمِ والمُجير، فله الحمدُ في الأولى والآخرةِ وهو الحكيمُ الخبير.

يا غافلاً عن إلهِ الكـــون يا لاهي	تعيش عمرك كالحيرانِ كالساهي
عظم اللّهِ واقصـدْ بابــه كرمـــاً	واللّهِ واللّهِ لا تلـقــى سـوى الله

مَنْ قَبِله فهو المقبول، ومَنْ حاربه فهو المخذول، ومَنْ التجأَ إليه عزَّ وحماه، ومَنْ توَّكل عليه كفاه، ومَنْ عظمه وراقبه وخشيه تولاه، ومَنْ نازعه قَصَمه، ومَنْ بارزه حَطَمه، ومن وحّده أكرمه، ومَنْ أشرك به حرمه.

إن قدَّسْناهُ أو سبَّحْناه أو مجّدْناه فهو الذي علَّمنا .. وإن حَمِدْناه أو كبَّرْناه أو وحَّدناه فهو الّذي ألهمنا .. إن عَبْدناه أو عظمناه أو شَـكَرْناه أو ذَكَرْناه فهو الّذي أكرمنا .. صفاتُ المدحِ في الكاملين ذرَّةٌ من كماله، ونعوتُ الفضلِ في الأبرار نفحةٌ من أفضاله، وألسـنةُ المادحين وأَقلامُ الواصفين حائرةٌ في جلاله ..

إليـك وإلاَّ لا تُشَـدُّ الركـائــبُ	ومنــك وإلا فـالمؤمِّــل خائــبُ
وفيـك وإلاّ فالكَــلامُ مضيـَّـعٌ	وعنـك وإلا فالمحـدِّثُ كــاذبُ

وأشـهد أن محمّداً عبده ورسـولُه، وصفيّه وخليله، إمام المرسلين، وخاتم النّبيّين .. صاحب الغرّة والتّحجيل، المشـهود بالرّسـالة في التّوراة والإنجيل. اللّهمّ صلّ وسلّم على حامل لواء العزّ في بني لؤيّ، وصاحب الطّود المنيف من بني قصيّ ..

اللّهمّ صلّ وسلّم على أعظم هادي، وأفضل داع وحادي، وشَرَفِ الحواضرِ والبوادي، وزينـةِ المجالس والنّـوادي .. اللّهمّ صلّ وسـلّم على صاحب المقـام المحمود، والحوض المورود، واللّواء المعقود، والفضل المشهود .. اللّهمّ صلّ وسلّم على من اصطفيته من أهل

مضر، وجعلته سـيّد البشر، ما اتّصلت عين بنظر، وسمعت أذن بخبر.. اللّهمّ صلّ وسلّم على من جعلته خاتم الأنبياء، وخيرا الأولياء، وأبرّ الأصفياء، ومن تركنا على البيضاء، لا يزيغ عنها إلاّ أهل الأهواء .اللّهمّ صلّ عليه وسـلّم صلاة وسـلاما دائمي النّماء، يملآن ما بين الأرض والسّـماء، وعلى آلـه الأطهار الأنقياء، وأصحابه الأبـرار الأتقياء ومن تبعهم بإحسان إلى يوم اللّقاء .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمـران: ١٠٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ألا إنّ أصدق الكلام كلام اللّه تعالى، وخير الهدى هدى محمّد صلّى اللّه عليه وسـلّم، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة في النّار، أمّا بعد: فاللّهمّ إنّا نبرأ من الثّقة إلاّ بك، ومن الأمل إلاّ فيك، ومن التّسـليم إلاّ لك، ومن التّفويـض إلاّ إليك، ومن التّوكلّ إلاّ عليك، ومن الصّبر إلاّ على بابك، ومـن الذلّ إلاّ في طاعتك، ومن الرّجاء إلاّ فيما يديك الكريمتين، ومن الرّهبة إلا لجلالك العظيم، اللّهم تتابع برّك واتّصل خيرك، وكمل عطاؤك، وعمّت فضائلك، وتمّت نوائلك، وبرّ قسمك، وصدق وعدك، وحـقّ على أعدائك وعيدك، ولم تبق حاجة لنا إلاّ قضيتهـا ويسّرتها يا أرحـم الرّاحمين.

ربِّ لك الحمد العظيم لذاتـك	حمـدا وليـس لواحـد إلاّك
إن لم تكن عيـني تـراك فإنّنـي	في كـلّ شـيء أستبيـن عُـلاك
يا أيّها الإنسـان مهـلا ما الّـذي	باللّه جـلّ جلالـه أغـراك

من أين أبدأ والمحامد كلها لك يا عظيم ويا مصوُر ويا صمْد، احترتُ في أبهى المعاني أن تفي بجلال قدرِك فاعتذرتُ ولم أزدْ [العظمة د: عايض القرني بتصرف يسير]

أيها الأخ المبارك المحب الحبيب أيها الابن الأديب الأريب النجيب، أحضر معي القلب وأشغل الفكر وأعرني السمع واجمع الحواس .

باللّه ثق وله أنب وبه استعن .. فإذا فعلت فأنت خير معان أقرأ بتمعن وروية أسأل اللّه عز وجل أن ينفعني وإياك بما نقرأ

عبد اللّه : احمد اللّه أن شرفك وأعلى قدرك بأن جعلك عبدا له سبحانه فهذه واللّه وباللّه وتاللّه هي السعادة بل عين السعادة وأساسها وفصها ونصها وقمتها كيف لا تكون حظيت بذلك وأنت الذي حملك إيمانك فطهرت أطرافك بالوضوء دخلت بيت اللّه عظمت إلهك بالركوع خضعت له بالسجود أنت صاحب الفم المعطر بذكر اللّه ودعائه والقلب المنور بتعظيم اللّه وإجلاله فهنيئا لك ثم هنيئا بإيمانك وطوبى لك ثم طوبى بتوحيدك الذي هو سبب وجودك وسره في هذه الحياة وقدومك إلى هذا الكون.

ومما زادني عزا وفخرا	وكدت بأخمصي أطأ الثريا
دخولي تحت قولك يا عبادي	وأن صيرت أحمد لي نبيا
يا هذه الدنيا أصيخي واشهدي	أنا بغير محمد لا نقتدي
لا تسألوا عن عنصري أو نسبي	إنه الإسلام أمي وأبي

فاعترف بذلك واحمد اشكر سر ابتهج افرح بهذه النعمة عض عليها بالنواجذ سل اللّه الثبات عليها حتى تلقاه : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] . ثم ادع أخبر انشر بشر أسمع أعلم نبه أيقظ دل وجه اصدح انصح اصرخ اصدع حدث الناس بهذه النعمة : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ [الضحى: ١١]

(**اثنان لا تنساهما أبداً : اللّه العظيم جل جلاله والدار الآخرة**) لن ترتوي يا قلب إلا بالإيمان ولن تكتحلي يا عين إلا برؤية الرحمن، ثم اعلم ان الإيمان باللّه عز وجل هو باب السعادة الأعظم . ومفتاح هذا الباب أن تتعرف على اللّه العظيم جل جلاله وتقدست أسماؤه فإذا عرف العبد اللّه حق المعرفة لان قلبه وخشعت جوارحه واستكانت لأمر ربه تبارك وتعالى. إن الإيمان بعظمة اللّه تعالى هو المحور الأساس في العقيدة الإسلامية . وهو الذي ينبني عليه بقية أركان العقيدة كلها والأدلة على عظمته سبحانه وتعالى

مبثوثة في كل ذرة من ذرات الكون، التي لا يملك كل ذي عقل سليم إلا أن يخر ساجدًا لمن خلق فأبدع. عبد الله إن الله قد شرع لنا عبادات متنوعة من أجل أن نعبده ونشكره، وإن من أهم العبادات القلبية التي شرعها الله لنا تعظيمه جل وعلا تعظيم الله عز وجل من أجل العبادات القلبية وأهم أعمال القلوب التي يتعين ترسيخها وتزكية النفوس بها، فتعظيم الله عبادة يجب تحقيقها والتركيز عليها - كما سيأتي بيان ذلك - والله جل وعلا عظيم قد جاوزت عظمته عز وجلّ حدود العقول، ومن معاني عظمته تعالى أنه لا يستحق أحد من الخلق أن يعظَّم كما يعظَّم الله، فمن حلف بغير الله معظما للمحلوف به كتعظيمه لله فهو شرك أكبر مخرج من الملة وإلا كان شركا أصغر غير مخرج من الملة ويكفي إنه شرك فالحذر الحذر من الحلف بغير الله مطلقا.

أكرر: لا يجوز القسم من المخلوق إلا بالله، أما الله عز وجل، فإنه يقسم بما شاء من مخلوقاته، فهي دليل على ربوبيته وألوهيته ووحدانيته وعلمه وقدرته ومشيئته ورحمته وحكمته وعظمته وعزته؛ فهو سبحانه يقسم لأن إقسامه بها تعظيم له سبحانه. [مجموع الفتاوى، بتصرف]

ثم اعلم أخي وفقك الله: أنه على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم لله تعظيما وإجلالا فمن كان بالله أعرف كان منه أخوف. تعظيمُ الله في القلوب وإجلالُه في النفوس والتعرّف على آلائه وأفضالِه وقدرُه حقَّ قدره هو والله زادُ العابدين وقوّة المؤمنين وسلوَى الصابرين، وهو سياج المتَّقين.

من الذي عرف الله فاستهان بأمره أو تهاون بنهيه؟! ومن الّذي عظّمه فقدّم عليه هواه؟! وما قَدَره من غدَا عنه لاه، فالله سبحانه يُعبد ويُحمَد ويُحَبّ لأنه أهلٌ لذلك ومستحقُّه، بل ما يستحقّه سبحانه لا تناله قدرَة العباد ولا تتصوّره عقولُهم؛ ما أحوجنا لهذا الأمر خصوصا في هذا الزمن الذي ظهرت فيه بعض الأمور المنافية لتعظيم الله والمنافية لتعظيم شعائر دينه عز وجل. - كما أسلفنا في المقدمة - إن استشعار عظمة الله تعالى وجلاله وملكه الذي لا تحيط به العقول وجبروته إن ذلك شغل القلوب التي عرفت الله تعالى وأفردته العبادة والقصد المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشا وأنعمهم بالا وأشرحهم صدرا وأسرهم قلبا وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة.

الله العظيم جل جلاله

مــدح نفســه قبل أن يمدحــه المادحون وأثنى علــى جلاله قبل أن يثــني عليه المثنون ووصــف عظمته قبل أن يصفه الواصفــون فقال عن نفســه : ﴿ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ ﴾ [طه: ١٤]

[إنه الله العظيم جل جلاله انتبه الأمر جلل]

الله : كلمة تزلزل القلوب، وتهز الأركان، تقشــعر جلود المؤمنين عند ذكرها إنه العظيــم، إن الناظــر في أحوال الناس ليعجب من هذه النفوس التي إذا ذكِّرت بالله لم تتذكر، وإذا وُعظت لم تتعظ، وإذا قُرئت عليها آيات الوعد والوعيد لم تبك ولم تتأثر ولا شك أن هذا نذير خطر على العبد إذا لم يراجع نفسه ويحاسبها ويذكرها بالله تعالى، ولعل من أعظم الأســباب التي أوصلت الإنســان إلى هذه الحالة المتردية عدم استشعار عظمة الله في القلوب والبعد عن خشيته والخوف منه سبحانه .

و في هذا الكتاب سنتناول هذه المسألة المهمة، ألا وهي تعظيم الله جل جلاله

!! .. أين نحن من تعظيم اللّه عز وجل .. !!

وقبل الكلام عليها نذكر باختصار وإيجاز أسطرا عن أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العليا.

- **أسماء اللَّه الحسنى وصفاته العليا**

أهمية العلم عن اللَّه عز وجل:

- أعظم علم هو الذي يتعلق بمعرفة اللَّه عز وجل، بأسمائه وصفاته، لأن شرف العلم من شرف المعلوم، والمعلوم هنا هي ذات اللَّه وأسمائه وصفاته، فأول أصل من أصول الإيمان: أن تؤمن باللَّه، كيف تؤمن باللَّه؟ بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

- أول سؤال يُسأل عليه العبد في القبر من ربك؟ ولا أحد يظن أن الإجابة سهلة، إذا لم يعرف الرب سبحانه وتعالى في هذه الدنيا بأسمائه وصفاته.

وكل اسم من أسماء اللَّه الحسنى يحتاجه المؤمن في حياته، أن يعلم به ثم يوقن ثم يحقق هذه الصفة، إذن (علم، يقين، تحقيق صفة)،

- أتى في القرآن (فاعلم، ولتعلموا، وليعلموا) أكثر من واحد وثلاثين مرة في القرآن دلالة على وجوب معرفة الناس بربهم وبخالقهم. قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] أول فرض فرضه اللَّه على خلقه: معرفته. فإذا عرفه الناس عبدوه " فينبغي للمسلمين أن يعرفوا أسماء اللَّه وتفسيرها فيعظموا اللَّه حق عظمته، ولو أراد رجل أن يتزوج إلى رجل أو يزوجه أو يعامله طلب أن يعرف اسمه واسم أبيه وجده، وسأل عن صغير أمره وكبيره، فاللَّه الذي خلقنا ورزقنا - ونحن نرجو رحمته ونخاف سخطه - أولى أن نعرف أسماءه ونعرف تفسيرها". [قوام السنة الأصفهاني].

وقالَ ابنُ القيِّمِ رحمهُ اللَّهُ تعالى في نُونِيَّتِهِ المُباركةِ:

والعلْمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لها	مِنْ رابعٍ والحقُّ ذُو تبيانِ
علمٌ بأوصافِ الإلهِ وفعلِهِ	وكذلكَ الأسماءُ للرَّحْمَنِ
والأمرُ والنهيُ الذي هوَ دينُهُ	وجزاؤُهُ يومَ المعادِ الثانِي
والكلُّ في القرآنِ والسُّنَنِ التي	جاءَتْ عن المبعوثِ بالفُرْقَانِ

وقـال رحمـه اللّه : (أَفْضَلُ العِلـمِ والعَمَلِ والحـالِ: العِلمُ بـاللّهِ وأسـمائِهِ وصفاتِهِ وأفعالِهِ، والعملُ بمرْضَاتِهِ، وانجذابُ القلبِ إليهِ بالحُبِّ والخوفِ والرجاءِ، فهذا أشْرَفُ ما في الدُّنيا، وجزَاؤُهُ أشرفُ ما في الآخِرَةِ).

وأجلُّ المقاصدِ معرفةُ اللّهِ ومحبَّتُهُ والأُنْسُ بقربِهِ، والشَّوقُ إلى لِقَائِهِ والتَّنَعُّمُ بِذِكْرِهِ، وهذا أجَلُّ سـعادةِ الدُّنيا والآخرةِ، وهذا هوَ الغايَةُ التي تُطْلَبُ لِذَاتِها. وإنَّما يشـعرُ العبدُ تمامَ الشُّعورِ بأنَّ ذلكَ عينُ السـعادةِ إذا انكشفَ لهُ الغطاءُ وفارقَ الدُّنيا ودخلَ الآخرةَ، وإلاَّ فهوَ في الدنيا - وإنْ شـعرَ بذلكَ بعضَ الشعورِ - فليسَ شعورُهُ كاملاً للمعارضاتِ التي عليهِ، والمحنِ التي امْتُحِنَ بها، وإلاَّ فليسـت السعادةُ في الحقيقةِ سِوَى ذلكَ. وكلُّ العلـومِ والمعارفِ تَبَـعٌ لهذهِ المعرفـةِ، مُـرَادَةٌ لأجْلِها، وتفاوتُ العلومِ في فضلِها بحَسَـبِ إفضائِها إلى هذهِ المعرفةِ وبُعْدِها، فَكُلُّ علمٍ كانَ أقربَ إفضاءً إلى العلمِ باللّهِ وأسمائِهِ وصفاتِهِ فهوَ أعلى ممَّا دُونَهُ، وكذلكَ حالُ القلبِ؛ فكلُّ حالٍ كانَ أقربَ إلى المقصودِ الذي خُلِقَ لهُ فهوَ أشـرفُ ممَّا دُونَهُ، وكذلكَ الأعمالُ، فكلُّ عملٍ كانَ أقربَ إلى تحصيلِ هذا المقصودِ كـانَ أفضلَ منْ غيرِهِ، ولهذا كانت الصَّلاةُ والجهادُ منْ أفضلِ الأعمالِ وأفْضَلِهَا لقُرْبِ إفضَائِها إلى المقصودِ.

وهكـذا يجبُ أنْ يكونَ؛ فإنَّ كلَّ ما كانَ الشيءُ أقربَ إلى الغايَـةِ كانَ أفضلَ من البعيدِ عنهـا، فالعمـلُ المُعِدُّ للقلبِ المُهَيِّئُ لهُ لِمَعرفةِ اللّهِ وأسـمائِهِ وصفاتِـهِ ومحبَّتِهِ وخوفِهِ ورجائِهِ أفضلُ ممَّا ليسَ كذلكَ.

وإذا اشـتركـتْ عِدَّةُ أعمالٍ في هذا الإفْضَاءِ فأفضلُهـا أقْرَبُها إلى هـذا المُفْضِي، ولهذا اشتركت الطَّاعاتُ في هذا الإفضاءِ فكانتْ مطلوبةً للّهِ، واشتركت المعاصي في حَجْبِ القلبِ وَقَطْعِهِ عنْ هذهِ الغايَةِ فكانتْ مَنْهِيًّا عنها، وتأثيرُ الطاعاتِ والمعاصي بحَسَبِ درجاتِها .

وتكمن أهمية معرفة أسماء اللّه وصفاته فيما يلي :-

١- معرفـة اللّه تفرض عبادته والخشـوع له: إن تمـام العبادة متوقـف على المعرفة باللّه، والإنابة إليه والإقبال عليه، والإعراض عمن سواه، ، وكلما ازداد العبد معرفة بربه، كانت عبادته أكمل، وهو أول فرض فرضه اللّه على خلقه: معرفته، فـإذا عرفه الناس عبدوه وأدى ذلك إلى اليقين بحق العبودية للّه وأثمر الإخلاص له في عبادته.

٢- معرفه اللّه سـبب في محبته: تعتبر معرفة اللّه سبب محبته فتقوى المحبة على قـدر قوة المعرفة وتضعف على قدر ضعف المعرفـة باللّه، وإن قوة المعرفـة للّه تدعو إلى محبتـه، وخشيتـه، وخوفه، ورجائه، ومراقبتـه، وإخلاص العمل له، وهذا هو عين سعادة العبد، ولا سبيل إلى معرفة اللّه إلا بمعرفة أسمائه الحسنى، والتفقه في معانيها

٣- معرفة اللّه سبيل للتوكل عليه: أن معرفة اللّه والعلم بأن اللّه خالق الأسباب ومسـبباتها ولا خالق غيره ولا مقدر غيره سبب قوي للتوكل على اللّه، كما أن العلم بتفرد اللّه بالضـر والنفـع، والعطـاء، والمنع، والخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة كما تقتضي المعرفة بأسـماء اللّه الحسـنى يثمر للّه عبودية التوكل عليه باطنًا وظاهـرًا، ولأن الرزق بيد اللّه وحده كما تقتضي معرفة أسماء اللّه الحسنى، فعلى العاقل التوكل على اللّه والاعتماد بوعده فان اللّه كاف لعبده .

٤- معرفة اللّه وسيلة إلى معاملته بثمراتها: من لوازم معرفة اللّه التضرع، والخوف، والذكر القلبي يمتنع انفكاكه عن التضرع والخوف، وفهم معاني أسماء اللّه هي وسيلة إلى معاملته بثمراتها من الخوف والرجاء، والمهابة، والمحبة والتوكل وغير ذلك من ثمرات معرفة الصفات، كما يعتبر الخوف من اللّه من كمال المعرفة باللّه لأنه لم يأمن مكر اللّه.

٥- معرفة اللّه أكبر عون على تدبر كتاب اللّه: إن في تدبر معاني أسماء اللّه وصفاته أكبر عون على تدبر كتاب اللّه، وذلك لأن معرفة أسماء اللّه وصفاته وأفعاله يساعد على التدبر وفهم معاني القرآن وفيه مجالاً رحباً ومتسعاً بالغاً.

٦- معرفـة اللّه تورث الأدب مـع اللّه: إن معرفة اللّه يورث حقيقة الأدب مع اللّه فلا يكون للعبد تقدير إلا ما قدر اللّه. ولا يكون له مع تقدير اللّه، إلا الطاعة والقبول والاستسلام، مع الرضى والثقة والاطمئنان، قال ابن القيم: «إن الأدب مع اللّه تبارك وتعالى هو القيام بدينه والتأدب بآدابه ظاهرًا وباطنًا. ولا يسـتقيم لأحد قط الأدب مع اللّه إلا بثلاثة أشـياء: معرفته بأسـمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشـرعه وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة لينة متهيئة لقبول الحق علمًا وعملاً وحالاً» .

٧- معرفـة اللّه لهـا لذة يعرفها من عرف اللّه : إن لذة معرفـة اللّه ومحبته وعبادته وحده لا شريك له والرضا به هو العوض عن كل شيء ولا يتعوض بغيره، فقد حكي عن

علي أنه قال «لذة معرفة اللّه شغلتني عن لذائذ طعام الدنيا».

وقال ابن القيم -رحمه اللّه-: وليست حاجة الأرواح قط إلى شيء أعظم منها إلى معرفة بارئها وفاطرها ومحبته وذكره والابتهاج به، وطلب الوسيلة إليه، والزلفى عنده، ولا سبيل إلى هذا إلا بمعرفة أوصافه وأسمائه، فكلما كان العبد بها أعلم كان باللّه أعرف، وله أطلب، وإليه أقرب، وكلما كان لها أنكر كان باللّه أجهل، وإليه أكره، ومنه أبعد. واللّه ينزل العبد من نفسه حيث يُنزله العبد من نفسه.

ويقول الإمام ابن القيم -رحمه اللّه-: «لا سعادة -أي للعباد-، ولا فلاح ولا صلاح لهم ولا نعيم إلا بأن يعرفوه -أي ربهم- ويعبدوه ويكون وحده غاية مطلوبهم، ونهاية مرادهم وذكره والتقرب إليه قرة عيونهم وحياة قلوبهم فمتى فقدوا ذلك كانوا أسوأ حالا من الأنعام بكثير، وكانت الأنعام أطيب عيش منهم في العاجل، وأسلم عاقبة في الآجل». [الصواعق المرسلة (١/٣٦٦)].

يقول الإمام ابن القيم -رحمه اللّه-: «على قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به: أشدهم له تعظيما وإجلالا». [مدارج السالكين (٢/٤٩٥)].

ويقول الشيخ ابن سعدي -رحمه اللّه-: «وبحسب معرفته -أي العبد- بربه يكون إيمانه، فكلما ازداد معرفة بربه ازداد إيمانه، وكلما نقص نقص، وأقرب طريق يوصله إلى ذلك: تدبر صفاته وأسمائه من القرآن» [تفسير السعدي (١/٢٤)].

فما أحوجنا أيها الأحبة أن نتعرف على اللّه بأسمائه وصفاته. ويقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي في هذا المقام: إن الإنسان إذا سمع وصفاً وصف به خالق السموات والأرض نفسه، أو وصفه به رسوله، فليملأ صدره من التعظيم، ويجزم بأن ذلك الوصف بالغ من غايات الكمال والجلال والشرف والعلو ما يقطع جميع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون القلب منزهاً معظماً له (جلّ وعلا)، غير متنجّس بأقذار التشبيه..

وتعظيم اللّه وإجلاله لا يتحقق إلا بإثبات الصفات للّه - تعالى - كما يليق به سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، والذين ينكرون بعض صفاته تعالى ما قدروا اللّه عز وجل حق قدره، وما عرفوه حق معرفته، ولما كان من أسماء اللّه

-تعالى- الحسنى: المجيد والكبير والعظيم فإن معنى هذه الأسماء: أن الله - عز وجل- هو الموصوف بصفات المجد والكبرياء والعظمة والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجلّ وأعلى، وله التعظيم والإجلال، في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه، وإجلاله، والخضوع له، والتذلل لكبريائه.

فإذا عرفت الله حق معرفته بتوحيد ألوهيته وتوحيد ربوبيته وتوحيد أسمائه وصفاته، فإنه حين ذاك يعظم الله وقدره في قلبك، ويقع وقاره في قلبك؛ فإذا وقرت الله بقلبك، عظمت عندك مخالفته، لأن مخالفة العظيم ليست كمخالفة من دونه.

أهمية معرفة الأسماء الحسنى :-

١- معرفة أسماء الله وصفاته أصل التوحيد

٢- معرفة الأسماء والصفات سبب في زيادة الإيمان

٣- معرفة الأسماء والصفات أشرف المعارف

٤- معرفة الأسماء والصفات هي الطريق لمعرفة الله

٥- معرفة الأسماء والصفات هي الطريق لعبادة الله عز وجل

[مختصرة من رسالة الماجستير للدكتور فواز الكردي (تحقيق العبودية بمعرفة أسماء الله وصفاته)].

ولذلك كله كان إحصاء أسماء الله تعالى من أعظم موجبات الجنة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة) [رواه البخاري]

وإحصاء الأسماء والصفات يكون من خلال :-

١) حفظها، بأن يستودعها قلبه.

٢) معرفة معانيها، فيتعلم معانيها وكيفية عبادة الله عزَّ وجلَّ بمقتضاها.

٣) العمل بمقتضاها، فإذا علم أنّه الأحد فلا يُشرك معه غيره.

٤) دعاؤه بها، كما أمرنا الله جلَّ وعلا ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾.

٥) التحقق، بأن ينظر في الآفاق ويتفكّر في آلاء الله سبحانه وتعالى.

وأنا في هذا المقام سأقوم بنقل مختصر لمبحث أحسبه رائع عن «آثار التعبد بأسماء اللَّه وصفاته» للشيخ محمد بن عبد اللَّه الزغيبي يقول الباحث حفظه اللَّه :

« إن البحث في أسماء اللَّه وصفاته وفق ما جاء في الكتاب والسنة هو من أجلِّ المعارف وأشرفها . ولن نتعرض في هذا البحث المتواضع لكل ما يتعلق بالأسماء الحسنى ، ولكننا سنعرض لجزئية صغيرة ، ولكنها مهمة وعظيمة ، ألا وهي التعبد بأسماء اللَّه وصفاته الحسنى ، فإنه باب عظيم يضم بين جوانبه مسائل من التعبد ، فمنها : إحصاء ألفاظها وعددها ، وكذلك : الدعاء بها ، وثالثها : ما نحن بصدده ، وهو فهم معانيها ومدلولها ، وفهم معانيها ومدلوها له مترادفات أخرى ذكرها ابن القيم في ثنايا كتبه ، وهي : إدراك موجبها ، وآثارها ، ومقتضياتها ، ومتعلقها ، ولوازمها ، وأحكامها .. فكل هذه المترادفات المتقاربة تعني التعبد للَّه بأسمائه وصفاته ، إذ كل اسم له تعبد مختص به علماً ومعرفة وحالاً ، وله صفة خاصة ، وكل صفة لها مقتضى وفعل ، إما لازم ، وإما متعدٍّ ، ولذلك الفعل تعلق بمفعول هو من لوازمه ، وهذا في خلقه ، وأمره ، وثوابه ، وعقابه ، وكل ذلك آثار الأسماء الحسنى وموجباتها . ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها ، وتعطيل الأوصاف عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال . فمثلاً اسم (السميع) من أسماء اللَّه الحسنى ، ولا بد من إثبات حكمه ومقتضاه ، وهو أنه يسمع السر والنجوى ، ويسمع ضجيج الأصوات ، على اختلاف اللغات .. وإدراك هذا الأثر من اسمه (تعالى) يورث العبد حالاً من التعبد والمراقبة والإنابة إلى ربه (سبحانه وتعالى) .

واعلم أن التعبد بالأسماء والصفات الحسنى درجات ومراتب وأنواع كما سبق ، وكلما زاد علم العبد باللَّه (جل وعلا) ارتفع في درجة التعبد ، وأكمل الناس عبودية هو المتعبد بجميع الأسماء والصفات التي يطلع عليها البشر ، فلا تحجبه عبودية اسم عن آخر ، كمن يحجبه التعبد باسمه (القدير) عن التعبد باسمه (الحليم) (الرحيم) ، أو يحجبه عبودية اسم (المعطي) عن عبودية اسم (المانع) ، أو عبودية اسم (الرحيم) و(العفو) و(الغفور) عن اسمه (المنتقم) ، أو التعبد بأسماء التودد والبر واللطف والإحسان عن أسماء العدل والجبروت والعظمة والكبرياء .. ونحو ذلك . وهو (سبحانه) يحب موجب أسمائه وصفاته ، فهو عليم ويحب كل عليم ، جواد يحب كل جواد ، عفو يحب العفو وأهله ،

حيي يحب الحياء وأهله، شكور يحب الشاكرين، صبور يحب الصابرين، حليم يحب أهل الحلم، وإذا كان (سبحانه) يحب المتصفين بأثر صفاته فهو معهم بحسب نصيبهم من هذا الاتصاف، وهو ما يسمى بالمعية الخاصة .

ومن هذه الآثار :

١- الأنس بالله ولمّ شعث القلب : (وذلك إنما هو أثر تجلي الأسماء والصفات الحسنى على قلب العبد، فترتفع حجب الغفلة والشك والإعراض، ويتم استيلاء سلطان المعرفة على القلب وقد استولى على العبد نور الإيمان بالأسماء والصفات ومعرفتها، ودوام ذكرها، والنظر إلى الواحد الفرد، الأول فليس قبله شيء، الآخر الذي ليس بعده شيء، الظاهر الذي ليس فوقه شيء، الباطن الذي ليس دونه شيء، سبق كل شيء بأوليته، وبقي بعد كل شيء بآخريته، وعلا فوق كل شيء بظهوره، وأحاط بكل شيء ببطونه) .

(وإذا بلغ العبد في مقام المعرفة إلى حدٍّ كأنه يكاد يطالع ما اتصف به الرب -سبحانه- من صفات الكمال ونعوت الإجلال، وأحست روحه بالقرب الخاص، حتى يشاهد رفع الحجاب بين روحه وقلبه وبين ربه، فإن حجابه هو نفسه، وقد رفع الله عنه ذلك الحجاب بحوله وقوته، فأفضى القلب والروح حينئذ إلى الرب، فصار يعبده كأنه يراه) .

٢- تعظيم الله (سبحانه وتعالى) : فمن شاهد الصفة فلا بد أن يشاهد متعلقاتها، فإن النظر في متعلقاتها يكسب التعظيم للمتصف بها . فمن شاهد صفة الكلام مثلاً زادته تعظيماً لله (تعالى) ولا بد، إذ لو أن البحر يمده من بعده سبعة أبحر، وأشجار العالم كلها أقلام يُكتب بها كلام الرب (جل جلاله) لفنيت البحار ونفدت الأقلام، وكلام الله (عز وجل) لا يفنى ولا ينفد، فمن شاهد الصفات الأخرى بمثل هذه المشاهدة من العلم والقدرة ونحوها، وجال قلبه في عظمتها : ازداد معرفة وتعظيماً لله (سبحانه) .

٣- إدراك مقتضيات الصفات طريق لإثباتها : فوجود هذا الكون المدبر المحكم الواسع يتطلب ربّاً مالكاً حكيماً عليماً، وكذلك وجود المخلوقات بأنواعها وأشكالها يوجب وجود خالق، ووجود الجناية والتقصير من العبد يوجب إثبات اسم (الغفار) .. وغيره من الأسماء والصفات .

٤- إدراك أسرار الشريعة وحقيقة الأحكام الشرعية : فمن كانت له معرفة بأسماء اللَّه وصفاته، واستقرار آثارها في الخلق والأمر، رأى الخلق والأمر ينتظمان بها أتم انتظام، ورأى سريان آثارها فيها، وعلم بحسب معرفته ما يليق بكماله وجلاله أن يفعله، وما لا يليق، فاستدل بأسمائه على ما يفعله وما لا يفعله، فإنه لا يفعل خلاف موجب حمده وحكمته، وكذلك يعلم ما يليق به أن يأمر به ويشرعه مما لا يليق به، فإذا رأى في بعض الأحكام جوراً أو سفهاً وعبثا ومفسدة، فليعلم أنه ليس من أحكامه ودينه، وأنه بريء منه ورسوله ؛ فإنه إنما أمر بالعدل لا بالظلم، وبالمصلحة لا بالمفسدة، وبالحكمة لا بالسفة).

٥- الطمأنينة : والطمأنينة إلى أسماء الرب وصفاته نوعان : أحدهما : طمأنينة إلى الإيمان بها وإثباتها واعتقادها، وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العبودية، فمثلاً : التعبد باسم (القدير) يوجب الطمأنينة إلى القَدَر وإثباته، ويقتضي الطمأنينة إلى مواضع الأقدار التي لا قدرة له على دفعها، فيسلِّم لها، ويرضى بها، ولا يسخط، ولا يشكو، ولا يضطرب إيمانه، فلا يأسى على ما فاته، ولا يفرح بما آتاه اللَّه ؛ لأن المصيبة فيه مقدرة قبل أن تصل إليه وقبل أن يُخلق . فهذه طمأنينة إلى أحكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم، وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها .

أمثلة توضح كيفية التعبد بمعاني الأسماء والصفات : سنتطرق لبعض الأسماء والصفات .

وإلا فإن توضيح ما مضى لجميع الصفات أمر يطول، ولكن يمكن فهم الأسماء والصفات على ما سنذكره :

١- السميع : إذا استشعر العبد بقلبه سمعه (سبحانه) لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، وأنه سواء عنده من أسر القول ومن جهر به، ولا يشغله من جهر عن سمعه لصوت من أسر، ولا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كصوت واحد، فعلم أن اللَّه يسمعه : فلا يقول إلا خيراً، بل يستحي أن يسمع اللَّه من كلامه ما يخزيه ويفضحه عنده، وإنما يشتد في ألا يسمع منه إلا الكلام الحسن، بل ويكثر منه ؛ حتى يحظى عند ربه (سبحانه) .

ويستشعر أن الله يسمع كلام أعدائه، وأن الله ليس بغافل عنهم ولا يرضى ما يقولون، فعند ذلك يعلم أن الله معه وأنه ناصره لا محالة، وقد قال ابن القيم في النونية معبراً عن هذا المعنى :

وهو السميع يرى ويسمع كل ما	في الكون من سر ومن إعلان
ولكل صوت منه سمع حاضر	فالسر والإعلان مستويان
والسمع منه واسع الأصوات	لا يخفى عليه بعيدها والداني

٢- العزيز : وسنتعرض لطرف من معنى هذا الاسم العظيم، وهو مشاهدة عزة الله (سبحانه) في تقديره (تعالى) على عبده بالمعاصي والذنوب . فيشاهد عزة الله بأن قلّب قلبه وصرّف إرادته على ما يشاء (سبحانه)، وحال بين العبد وقلبه وأن يعرف أنه مدبّر مقهور، ناصيته بيد غيره، لا عصمة له إلا بعصمته، ولا توفيق له إلا بمعونته فهو ذليل حقير، في قبضة عزيز حميد .

٣- الودود : فهو يحب عباده الصالحين ويحبونه ؛ فإن العبد إذا شاهد بقلبه غنيّاً كريماً جواداً، عزيزاً قادراً، كل أحد محتاج إليه بالذات، وهو غني بالذات عن كل ما سواه، وهو مع ذلك يود عباده ويحبهم، ويتودد إليهم بإحسانه وتفضله عليهم : كان له من هذا الشهود حالة صافية خالصة من الشوائب .

٤- السلام : وحقيقة هذه اللفظة (السلام) هي : البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب، فإذا علمت أن الله هو (السلام) فتعلم أن تجاوزه عنك في معصيتك وذنبك سلام من أن تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة، كما أن عذابه سلام عن أن يكون ظلماً أو قسوة، بل هو محض حكمته وعدله . وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب وخلاف مصلحة العباد ورحمتهم .

وكذلك محبته لمحبيه وأوليائه سلام من عوارض محبة المخلوق للمخلوق من كونها محبة حاجة إليه أو تعلق أو انتفاع بقربه . فتأمل كيف تضمن اسمه (السلام) كل ما نُزِّه عنه (تبارك وتعالى)، واستشعر هذا بقلبك ؛ فإنه يبعث على تعظيم ربك (سبحانه) .

٥- الجبار : ولاسمه (الجبار) ثلاثة معان :

أ- أنه الذي يجبر ضعف الضعفاء من عباده ويجبر كسر القلوب المنكسرة، فكم جَبَر من كسير، وأغنى من فقير، وأعز من ذليل، فإذا عرف العبد هذا المعنى تعبد لله بمقتضاه، وسأله بأن يجبر كسره، ويعينه على عبادته .

ب- أنه القهار، فهو يجبر عباده على ما أراد مما اقتضته حكمته، فيستشعر العبد أن أفعاله بقدرة الله، ويعلم أن أعداء الدين لن يصيبوه إلا بما قضى الله وأراد .

ج- «أنه العلي بذاته فوق جميع مخلوقاته، فلا يستطيع أحد منهم أن يدنو منه، فيبعثه ذلك على تعظيم ربه وإدراك عزته واستعلائه . والله أعلم، وصلِّ اللَّهم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم» أهـ

تنبيه : حديث سرد الأسماء الحسنى ضعيف :

(إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) ثم سرد الأسماء الحسنى وبألفاظ مختلفة بزيادة ونقص [وانظر: النهج الأسنى (١/٥٠-٥٤) الدعاء للطبراني (٢/١١١و١١٢) م المقصد الأسنى . مجموع الفتاوى (٦/٣٨١و٣٨٢) القواعد المثلى (١٧و١٨) تخريج حديث الأسماء الحسنى (٤٣ إلى آخر الرسالة) كشف الحجاب (٦٨) ضعيف الجامع (١٩٤٣و١٩٤٤و١٤٩٥) الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات (١٣-١٤) مجموع الفتاوى (٨/٩٧و٩٦) شأن الدعاء (٣٦) الفتح (١١/٢١٧) الأباطيل والمناكير (١/ ٥٩) م الميزان (٢/٦٢٧) التلخيص (٤/٥٦,٢) تفسير ابن كثير (٣/٦٢٠و٦٢١) الوادعي م . المحلى (٨/٣١) تحفة الذاكرين (٦٣-٦٦) أحاديث معللة ظاهرها الصحة (٣٦٤) الأسماء والصفات للبيهقي (١/٦و١٠) م قاعدة جليلة في قواعد الاسماء الحسنى . لسان (٤/ ٥٢٢٥) صحيح الأذكار وضعيفه (١/٣,٢) الدعوات الكبير (٢/٢٦٢) م] .

من حيث المتن :

- الاضطراب والاختلاف في الروايات : فهناك مخالفة بين هذه الروايات في الترتيب، وزيادة ونقص بينها .

- أنه ورد في بعض الروايات أسماء شاذَّة لا يصح نسبتها إلى الله عَزَّوَجَلَّ ؛ إمَّا لأَنها ليست كاملة الحسن كالمنتقم مثلاً [وانظر كلام شيخ الإسلام على هذا الاسم في مجموع الفتاوى (٨/٩٦)]، أو لعدم ورودها بصيغة الاسم [لأَنَّ الأسماء هي التي يُشْتَقّ منها الصِّفة] كالرشيد والمعز والمذل والمحصي، كلاها لم ترد بصيغة الاسم]. والقاعدة : (أن أسماء الله تعالى توقيفية لا مجال للعقل فيها وعلى هذا فيجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة فلا يزاد فيها ولا ينقص لأن العقل لا يمكنه إدراك

ما يستحقه تعالى من الأسماء فوجب الوقوف في ذلك على النص لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦] وقوله: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٦] ولأن تسميته بما لم يسم به نفسه أو إنكار ما سمى به نفسه جناية في حقه تعالى فوجب سلوك الأدب في ذلك والاقتصار على ما جاء به النص .

أَقوالُ العلماءِ في سَردِ هذه الأسماء :

١- نقل الحافظ عن الدوادي قوله: (لم يثبت أنَّ النَّبي ﷺ عيَّن الأسماء) .

[فتح الباري (٢١٧/١)]

٢- وقال في بلوغ المرام: (والتحقيق أن سردها إدراج من بعض الرواة وليس مرفوعاً).

[ص (٢٥٤)]

٣- وقال الصنعاني رحمه الله في سبل السلام : (اتفق الحفاظ من أئمة الحديث أن سردها إدراج من بعض الرواة) . [١،٨/٤]

٤- قال البيهقي : (يُحْتَمَلُ أَنَّ التَّفسيروقع من بعض الرُّواة، وكذلك في حديث الوليد بن مسلم) . [الأسماء والصِّفات (٣٢/١)]

٥- قال شيخ الإسلام : ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث، من كلام النبي ﷺ ، بل هذا ذكره الوليد بن مسلم عن سعيد بن عبد العزيز أو عن بعض شيوخه).

٦- قال ابن كثير: (والذي عَوَّل عليه جماعة من الحفّاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث [أي حديث الوليد بن مسلم] مُدرَجٌ فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد وعبد الملك بن محمد عن زهيربن محمد أَنه بلغه عن غيرواحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك . أي أنهم جمعوها من القرآن) . [تفسيره (٢٦٩/٢)]

٧- يرى ابن الوزير عدم صِحَّة جميع الرّوايات التي سردت الأسماء الحسنى، حتى رواية الوليد بن مسلم، وأنَّ من صحَّح هذه الروايات متساهل في التَّصحيح .

[العواصم من القواصم في الذَّب عن سنة أبي القاسم (٢،١/٧-٢،٧)]

٨- قال الشيخ محمد العثيمين : (لم يصح عن النبي ﷺ تعيين هذه الأسماء، والحديث المروي في تعيينها ضعيف) .

٩- ضعَّفه الشيخ الألباني .

• خلاصة القول : أن هذه الزيادة مدرجة في الحديث ولا يصح رفعها، لأن غاية ما في ذلك أنّ سرد هذه الأسماء اجتهاد من بعض الرّواة، والتي يندرج فيها الخطأ والصَّواب .

فلو ثَبَت أَنَّ النَّبي ﷺ هو الذي سردها، لما اجتهد بعض السَّلف في إخراجها من النّصوص وهم يعلمون أنه ﷺ قد عدَّها في الحديث .

هل هُناك حِكمة في عدم تعيينها ؟ .

واعلم أنّ في عدم تعيينها حكمة بالغة، وهي أن يتطلبها الناس ويتحرونها في كتاب اللّه وسنة رسوله ﷺ، حتى يحرص العباد ويجتهدوا في عبادة اللّه عَزَّوَجَلَّ بجميع ما يعرفون من الأسماء الحسنى . [المجموع الثمين من فتاوى الشيخ محمد العثيمين (٦٩/٢)]

وإليك قواعد في أسماء اللّه الحسنى

القاعدة الأولى : أسماء اللّه كلها حسنى .

القاعدة الثانية : أسماء اللّه أعلام وأوصاف .

القاعدة الثالثة : أسماء اللّه تعالى توقيفية .

القاعدة الرابعة : أسماء اللّه تعالى غير محصورة بعدد معين .

القاعدة الخامسة : أنه يجب أن يحذر المسلم من الإلحاد في أسماء اللّه والإلحاد فيها أي الميل بها عما يجب فيها .

فهذه بعض القواعد في أسماء اللّه وصفاته .

تنبيه : وهناك مخالفات في بعض من كتب في أسماء اللّه وصفاته لمعرفة كثير من هذه المخالفات انظر عبداللّه الغصن في بحثه القيم عن أسماء للّه الحسنى حيث قَوَّم ما كتبه (الزجاج والخطابي والبيهقي والقشيري والغزالي والرازي والشرباصي) عن أسماء اللّه الحسنى في ضوء منهج أهل السنة والجماعة [شحاته]

من المراجع المهمة :

- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى للعلامة ابن عثيمين

- «وِللَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا» دِرَاسَةٌ تَرْبَوِيَّةٌ للآثَارِ الإيمَانِيَّةِ وَالسُّلُوكِيَّةِ لأَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى» للشيخ عبد العزيز بن الجليّل. قرئ على الشيخ عبدالرحمن ناصر البراك.

- المِنْهَاجُ الأَسْنَى فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى للدُّكتور: زين محمد شحاته. وقدم له: عبد الرحمن المحمود.

- أسماء اللّه الحسنى ـ عبد اللّه بن صالح الغصن.

- أسماء اللّه الحسنى من القرآن الكريم والحديث الصحيح ـ زين محمد شحاته.

- شرح أسماء اللّه الحسنى ـ عبد الرحمن بن ناصر السعدي.

- شرح أسماء اللّه الحسنى في ضوء الكتاب والسنة ـ سعيد بن علي بن وهف القحطاني.

- مَنْهَجُ الإِمَامِ ابْنُ قَيِّمِ الجَوْزِيَّةِ فِي شَرْحِ أَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى، تأليف: مشرف بن علي بن عبد اللّه الغامدي. (مجلد١، ٥..ص، دار ابن الجوزي، رسالة ماجستير)

- «وللَّهِ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى» - شرح ابن القيم لأسماء اللّه الحسنى - للدكتور عمر الأشقر.

- نَظَرَاتٌ في كُتُب أسماءِ اللَّهِ الحُسنى للشيخ خالد السبتِ

[اللّه جل جلاله]

- ذكر اسم (اللّه) في القرآن في (٢٧٢٤) مرة.
- اللّه أصله الإله بمعنى مألوه أي معبود.
- إلاه: فلما أدخلت عليه الألف واللام حذفت الهمزة تخفيفا.
- معنى اللّه: هو الذي يألهه العباد حبا وتذللا خوفا ورجاء تعظيما وطاعة له بمعنى مألوه أي هو الذي تألهه القلوب أي تحبه وتذل له.

- هو المعبود محبة لعظم آلائه وتعظيما لعظمة سلطانه .
- وقيل أنه اسـم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سـئل به أعطى وذلك لخصائصه التي انفرد بها عن سائر الأسماء.

١) لا يطلق على غير الله كان العرب لا يطلقونه على غير الله ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزمر:٣٨]

- وقال تعالى ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ ﴾ [مريم:٦٥] أي تعلم من اسمه الله سوى الله .

- لما كان من اختصاص هذا الاسم بالله وجب أن يكون من أسمائه سبحانه وتعالى.

٢) هذا الاسـم هو الأصل في أسـماء الله وسائر الأسماء مضاف إليه ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف:١٨٠] فأضاف سائر الأسماء إليه .

- كذلك يقـال الرحمـن الرحيم الملك القدوس كلها من أسماء الله ولا يقال الله اسم الرحمن الرحيم.

٣) اسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى والصفات العليا فهو دال على إلهيته المتضمنة كثبوت صفات الإلهية مع نفي أضدادها عنه .

- فهو مستلزم لجميع معاني الأسماء دال عليها بالإجمال والأسماء تفصيل لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم «الله» .

- مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى بمعنى:-

«الله» دال على كونه مألوهاً معبوداً تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً وفزعاً إليه في الحوائج والنوائب وذلك مستلزم لكمال ربوبيته ورحمته المتضمنة لكمال الملك والحمد التي تسـتلزم لجميع صفات الكمال من الحياة والسمع والبصر والقدرة والتكلم والحكمة. الخ

٤) قولـه تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ خص هذين الاسـمين بالذكر دلالة على أنها أشرف من غيرها ثم إن اسم «الله» أشرف من اسم الرحمن لأنه قدمه في الذكر.

- اسم الرحمن يدل على كمال الرحمة ولا يدل على كمال القهر والغلبة والعظمة

والقدس والعزة أما اسم الله يدل على كل ذلك فصفات الجمال والجلال تختص به .

– هذا الاسم له خاصية غير حاصلة في سائر الأسماء وهي أنها إذا أُدخل عليها النداء «ال» سقط التعريف فلا يقال يا الرحمن.. .بل يا رحمن .أما الاسم «الله» يقال يا الله فالألف واللام للتعريف كالجزء الذاتي في الاسم وعدم سقوطهما يدل على أن هذه المعرفة لا تزول أبداً .

وفي الحديث : (أحب الأسماء إلى الله «عبد الله» و«عبد الرحمن») [رواه الإمام مسلم في صحيحه (٢١٣٢)] أما الحديث المشهور: (خير الأسماء ما حُمد وما عبد) فلا يصح .

لأن التعلق الذي بين العبد وبين الله هو العبودية المحضة وهو الرحمة المحضة. فالغاية التي أوجد الإنسان لأجلها أن يتأله له وحده محبة وخوفا ورجاء وتعظيما وإجلالاً فيكون عبد الله فقط عبده لما في اسم الله من معاني الإلهية التي يستحيل أن تكون لغيره. ولما غلبت رحمته غضبه كانت الرحمة أحب إليه من الغضب وكان «عبد الرحمن» أحب إليه من «عبد القاهر». [تلخيص كتاب النهج الأسمى في شرح أسماء الله الحسنى من الكتاب والسنة] . «تم التلخيص لكتاب الدكتور حمد الحمود النجدي بواسطة طلبة العلم الشرعي بتصرف»

الله .. اسم (الله) هو الاسم الجامع للأسماء الحسنى، ويعني في لسان العرب، المألوه، أي المعبود المستحق للألوهية، وهي العبادة، كما قال تعلى: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام:٣] أي: المعبود في السماوات والمعبود في الأرض، والتأله في لسان العرب التعبد.

فمعنى اسم الله: هو الإله الذي تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً .

وهو الإله الجامع لجميع صفات الكمال والجلال والجمال ؛ فله الأسماء الحسنى والصفات العلى، فمعنى اسم (الله) يشتمل على معنيين عظيمين متلازمين:

المعنى الأول: هو الإله الجامع لجميع صفات الكمال والجلال والجمال.

المعنى الثاني: هو المألوه أي المعبود الذي لا يستحق العبادة أحد سواه.

والعبادة لا تسمى عبادة حتى تجتمع فيها ثلاثة أمور:

الأمـر الأول: المحبـة العظيمـة، فالعبادة هي أعظم درجات المحبة، ولذلك لا يجوز صرفها لغير الله عز وجل، ومن صرفها لغير الله فقد أشرك كما قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ ﴾ [البقرة: ١٦٥]

فالعابد مُحِبٌّ لمعبوده أشـد المحبة؛ يقدِّم محبته علـى محبة النفس والأهل والولد والمال، لا يهنأ إلا بذكر محبوبه، ولا يأنس إلا بفعل ما يحبه، فذكره في قلبه ولسانه لا يكل ولا يمل من ذكره، بل يأنس بذكره في كل أحيانه، ويجتهد في كسب رضاه ومحبته، حتى لو بلغ الأمر به أن يضحي بنفسـه في سبيله، وهذه المرتبة من المحبة لا يستحقها أحد غير الله عز وجل.

الأمر الثاني: التعظيم والإجلال، فإن العابد معظِّمٌ لمعبوده أشـد التعظيم، ومُجِلٌّ له غايةَ الإجلالِ، فالتعظيم من لوازم معنى العبادة.

ولذلك تجد المؤمن بالله معظِّماً لربه جل وعلا، ومعظماً لحرماته وشـعائره، كما قال تعـالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ ﴾ [الحـج: ٣٠] وقـال: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحـج: ٣٢] فتعظيـم الشـعائر والحرمات من آثار تعظيم المؤمن لربه جل وعلا، وإجلاله له.

الأمـر الثالث: الذل والخضوع والانقياد، يقال طريق معبَّد أي مذلَّل، فالعابد منقاد لمعبـوده خاضع له. وهذا الذل والخضـوع والانقياد لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل. وذل العبد لله عز وجل وانقياده لطاعته هو عين سـعادته، وسـبيل عزته ورفعته ومن ذل لله رفعه الله وأعزه، ومن اسـتكبر واستنكف أذله الله وأخزاه، وسلط عليه من يسومه سوء العذاب، ويذله ويهينه.

وهـذه الأمور الثلاثة (المحبـة والتعظيم والانقياد) هي معاني العبـادة ولوازمها التي يجـب إخلاصها لله عـز وجل، فمن جمع هـذه المعاني وأخلصها لله فهو مـن أهل التوحيد والإخلاص، ويبقى عليه أمر آخر وهو الاتباع فيعبد الله عز وجل بما شرعه الله وبينه لنا رسـوله الكريم صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾. [النحل: ٤٤]

وبتحقيق هذين الشرطين : إخلاص العبادة لله عز وجل، واتباع النبي صلى الله عليه وسلم، يكون العبد من المسلمين الموعودين بدخول الجنة، ومن نقض شرطاً منهما فليس من أهل الإسلام والعياذ بالله.

فالشرط الأول هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله. والشرط الثاني هو معنى شهادة أن محمداً رسول الله. ولا يصح إسلام عبد حتى يشهد هاتين الشهادتين.

ولذلك فإن من شهد أن لا إله إلا الله فقد عاهد الله أن يخلص العبادة له وحده وقد علمتَ معنى العبادة فيما سبق من الشرح والبيان، فإذا شهدت أن لا إله إلا الله فاعلم أنك قد عاهدت الله أن تحبه أعظم محبة، وأن تعظمه أعظم تعظيم، وأن تخضع له وتنقاد لأمره. وهذا الاسم العظيم ثابت لله – جل وعلا – بالكتاب، والسنة، والإجماع .

ويتبين مما مضى أن الله هو : المألوه المعبود بحق، ذو الألوهية، والعبودية كلها، على خلقه أجمعين.

يقول ابن القيم –رحمه الله– :

وهو الإله الحق لا معبود إلا	وجهه الأعلى العظيم الشان
بل كل معبود سواه فباطل	من عرشه حتى الحضيض الداني

[من متن القصيدة النونية لابن القيم : (١ / ٣٥)]

فهو الله الذي لا يسكن العبد إلا إليه، فلا تسكن القلوب إلا بذكره، ولا تفرح العقول إلا بمعرفته، لأنه سبحانه الكامل على الإطلاق دون غيره. وهو الذي لا يفزع العبد، ولا يلجأ إلا إليه، لأنه لا مجير حقيقة إلا هو، ولا ناصر حقيقة إلا هو. وهو الذي يلجأ إليه العبد بكل ذرة في كيانه، التجاء شوق ومحبة، فهو سبحانه الكامل في ذاته وصفاته، فلا يأنس إلا به، ولا يفتر عن خدمته، ولا يسأم من ذكره أبدًا. تكاد القلوب المؤمنة أن تتفتت من فرط محبتها له، وتعلقها به. وهو الذي يخضع له العبد، ويذل، وينقاد تمام الخضوع والذل والانقياد، فيقدم رضاه على رضا نفسه، في كل حال، ويبعد، وينأى عن سخطه بكل طريق، هذا مع تمام الرضا، والمحبة له سبحانه، فهو يذل، وينقاد له سبحانه، مع تمام الرضا بذلك، والمحبة له – جل وعلا – حيث إنه الإله الحق، الكامل في ذاته وصفاته،

المستحق لذلك كله. ومعنى أن الإله هو المألوه وحده، أي: هو المستحق أن يُفرد بالعبادة وحده، وهذا هو أهم معاني هذا الاسم للعبد، وذلك حيث إن الله - عز وجل - ما خلق الجن، والإنس، إلا لتحقيق هذه الغاية، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦]

فإن الله عز وجل خالق كل شيء، وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره، ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقان:٢] فكل شيء مما سواه مخلوق مربوب، ومن خلق الله عز وجل الإنسان: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ﴾ [السجدة:٧]

• **تنبيه:**

لا يشرع ذكر الله باسم الجلالة «الله» مفردًا فكل الأذكار الصحيحة الواردة لا يذكر فيها مفردًا ولا غيره من الأسماء.

فمن الأخطاء كتابة «الله» وحدها هي كلمة يقولها الصوفية ويجعلونها بدلاً من الذكر يقولون: الله، الله، الله، وعلى هذا فتلغى وسواء على الجدران أو الرقاع أو اللوائح ونحوها .. [المناهي اللفظية ابن عثيمين١٦]

الذكر بلفظ الله الله أو هو هو « الله ..الله» يكثر بعض الناس من تكرار لفظ الجلالة مفردًا على سبيل الذكر، وهذا خلاف هدي النبي (صلى الله عليه وسلم) لأن لفظ الجلالة لم يرد إلا مقترنًا بالثناء والوصف الجميل: «الحمد لله»، «الله أكبر»، «سبحان الله»، وهكذا، أما ذكر لفظ الجلالة وحده دون ثناء فهو أمر مبتدع، لم يرد في الشرع، ولم يفعله أحد من السلف.

[العظيم سبحانه وتعالى]

ذكر الفيروز أبادي في القاموس المحيط في معنى التعظيم قال: العِظم بكسر العين خلاف الصِغر، وعظَّمه تعظيماً وأعظمه أي فخمه وكبره، واستعظمه أي رآه عظيماً. وقال الرازي في مختار الصحاح: عظُم الشيء أي كبُر فهو عظيم، وقال ابن منظور في لسان العرب: العظيم الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدود العقول.

جاء اسم اللّه (العظيم) في القرآن الكريم تسع مرات مفرداً ومقروناً، كما في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾، ﴿ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.

والعظمة والعظموت: الكبرياء والعظم خلاف الصغر فهو الكبير الذي لا يحده حد لا يحيط بعلمه بشر ولا يقدر قدره إلا هو سبحانه فهو عظيم بذاته وصفاته وهو عظيم بمعنى معظم أي يعظمه خلقه وملائكته وأنبياؤه ورسله والفاقهون من عباده ويعظمه كونه وسماؤه وأرضه ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤]

وكذلك جاءت السنة بهذا الاسم الجليل، فمن ذلك قول النبي صلى اللّه عليه وسلم: « كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان اللّه العظيم سبحان اللّه وبحمده ». [رواه البخاري (٦٠٤٣) ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة - رضي اللّه عنه-]

و عن عبد اللّه بن عمرو - رضي اللّه عنهما- : « أن النبي صلى اللّه عليه وسلم كان إذا دخل المسجد قال أعوذ باللّه العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم». [رواه أبو داود (٤٦٦) وصححه الألباني]

وقد أمر النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يسبح بهذا الاسم في الركوع حيث قال:«فأما الركوع فعظموا فيه الرب» . [رواه مسلم(٤٧٩) من حديث ابن عباس -رضي اللّه عنهما-]

وقد جاء أيضًا هذا الاسم في السنة مقترنا باسمه سبحانه «الحليم »، كما ثبت عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه كان يدعو عند الكرب فيقول: «لا إله إلا اللّه العظيم الحليم، لا إله إلا اللّه رب العرش العظيم، لا إله إلا اللّه رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم» . [رواه البخاري(٦٣٤٥) ومسلم(٢٧٣٠) من حديث ابن عباس -رضي اللّه عنهما-]

ووجه الاقتران بين هذين الاسمين الكريمين واضح وذلك بأن اللّه -عز وجل- مع أنه العظيم الجبار المتكبر القاهر فوق عباده فإنه سبحانه الجليل الرحيم الرؤوف بعباده، والجمع بين هذين الاسمين الجليلين يدل على صفة كمال وجمال، فلم تمنعه عظمته سبحانه وقدرته على خلقه أن يحلم عنهم ويصفح ولم يكن حلمه سبحانه عن ضعف وعجز، بل عن عظمة وقدرة وقهر. [كتاب وللّه الأسماء الحسنى لعبد العزيز الجليل (ص٢٤٤)]

أما معنى هذا الاسم الكريم فقد تطرق إليه غير واحد من العلماء، فمثلا الإمام ابن

القيم -رحمه اللَّه- ذكر اسم الجلالة العظيم في عدة مواضع من كتبه، فذكره في كتابه بدائع الفوائد (١٤٥/١) وقال: (العظيم: هو من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال).

وقال أيضا -رحمه اللَّه- في نونيته:

وهو العظيم بكل معنى يُوجب التعظيمَ لا يُحصيه من إنسَان الكافية الشافية (البيت ٣٢٢٢) ويقول الشيخ ابن سعدي - رحمه اللَّه-: «العظيم الجامع لجميع صفات العظمة والكبرياء والمجد والبهاء الذي تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء وإن جلت في الصفة فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم». [الحق الواضح المبين (ص٢٧)]

فهو سبحانه عظيم في كل شيء، في ذاته وفي أسمائه وصفاته، قال الشيخ ابن سعدي - رحمه اللَّه-: «لا يحصي أحد ثناء عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه عباده». [تفسير السعدي (ص٢٥٩)]

وهو العظيم بكل معنىً يوجب	التعظيم لا يحصيه من إنسان
وهو الجليل فكل أوصاف	الجلال له محققةٌ بلا بطلان

(العظيم) الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة و(العظيم) هو الواسع في ذاته، الكامل في صفاته، العزيز المجيد، الكبير، فاللَّه تبارك وتعالى عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه، عظيم في صفاته، عظيم في ملكه وسلطانه، عظيم في خلقه وأمره، عظيم في دينه وشرعه، ذو الملك والملكوت والكبرياء والعظمة، ومن عظمة اللَّه سبحانه وتعالى: أن قدره جاوز حدود الإدراك والخيال والعقل حتى لا يتصور أحد الإحاطة بكنهه وحقيقته تعالى.

عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه - صلى اللَّه عليه وسلم -: (قال اللَّه عز وجل: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار)، وروي بألفاظ مختلفة منها (عذبته) و(وقصمته)، و(ألقيته في جهنم)، و(أدخلته جهنم)، و(ألقيته في النار). [الحديث أصله في صحيح مسلم وأخرجه الإمام أحمد ٨٦٧٧ وأبو داود ٤٠٩٠، وابن ماجة ٤١٧٤، وابن حبان في صحيحه وغيرهم، وصححه الألباني]، فيجب الإيمان بذلك وإثبات العظمة والكبرياء للَّه، فالكبرياء والعظمة صفتان من صفاته - سبحانه وتعالى ولا يلزم من إطلاق لفظ الإزار

والرداء أن تكون العظمة والكبرياء شيئين منفصلين عن الله سبحانه وتعالى، ونقول آمنا بالله وما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسـول الله على مراد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والله أعلم. - فهو العظيم، وهو العزيز الجبار المتكبر، الله ذو الكبرياء والعظمة والجلال والبقاء والسـلطان والقدرة والكمال ذو الملك والملكوت والعظمة والجبروت والحي الذي لا يموت . والعبد يقف بين يدي ربه خاشعا متذللا خافضا رأسه ينظر إلى موضع سجوده يفتتحها بالتكبير وفيه دلالة على تعظيم الله فالله أكبر مما سـواه من الدنيا والمناصب والأموال .. ويطأطئ العبد رأسه بالركوع ويعفر جبهته في التراب مستجيرا بالله منيبا إليه، ولهذا كان الركوع مكان تعظيم الله تعالى وكان السجود مكان سؤال الله، قال صلى الله عليه وسلم «فأما الركوع فعظموا فيه الرب عز وجل وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم» . [رواه مسلم]

﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الجاثية: ٣٦-٣٧]

وقال ابن القيم : (وأما الجبار من أسماء الرب تعالى، هو الجبروت وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : (سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة) [أبو داود] فالجبار اسم من أسماء التعظيم كالمتكبر والملك والعظيم والقهار) . [شفاء العليل ص١٢١]

أيها الأحبة وبعد أن عرفنا أن نصوص الكتاب والسنة دلت على هذا الاسم الكريم [الله العظيـم] وتوقفنـا عند بعـض معانيه الجليلة، فقد نتسـاءل مـا واجبنا تجاه الله العظيم ؟ هذا ما سطرناه في هذا الكتاب.

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٥٤]

آية الكرسي هذه أفضل آية في كتاب الله - تعالى - كما روى أبيٌّ بن كعب - رضي الله عنه - أنَّ النَّبيَّ - صلى الله عليه وسـلم - سـأله: (أيُّ آية في كتاب الله أعظم؟) قال: «اللَّهُ ورسولُه أعلم»، قال: فردَّدها مرات، ثم قال أبيٌّ: «آية الكُرْسِيّ»، قال: (لِيَهْنِكَ العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إنَّ لها لسانًا وَشَفَتَيْنِ تُقَدِّسُ الملِكَ عِنْدَ ساقِ العَرْشِ)؛

[أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ وَاللَّفْظُ لَهُ] .

آية الكرسي هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلها، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها وجعلها وردا للإنسان في أوقاته صباحا ومساء وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، كقوله (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض) فاللّه تعالى أكبر من كل شيء، وقد قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم (ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة) [رواه البيهقي في الأسماء والصفات، وصححه الألباني بطرقه] . وقال: قال أبو ذرّ - رضي اللّه عنه - سمعت رسول اللّه - صلى اللّه عليه وسلم- يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض) وعن ابن مسعود قال: (بين السماء الدنيا والتي يليها خمسمائة عام، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام، والعرش فوق الماء. واللّه فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم) [رواه الطبراني في المعجم الكبير، وأخرجه ابن مهدي، ورواه بنحوه المسعودي].

قال الحافظ الذهبي -رحمه اللّه تعالى-: وله طرق .عَنْ سَعِيد بْن جُبَيْر عَنْ اِبْن عَبَّاس قَالَ : (سُئِلَ النَّبِيّ - صَلَّى اللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - عَنْ قَوْل اللّه عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ قَالَ كُرْسِيّه مَوْضِع قَدَمَيْهِ وَالْعَرْش لَا يُقَدِّر قَدْره إِلَّا اللّه عَزَّ وَجَلَّ) [رواه الحاكم] .

وأن الكرسي الذي وسع السمٰوات والأرض، فهو موضع القدمين للّه عز وجل، أما العرش فإنه لا أحد يقدر أن يصف العرش ويصف عظمته إلا اللّه عز وجل لأن مقداره عظيم .

واللّه أكبر عرشه وسع السما ... والأرض والكرسي ذا الأركان

وكذلك الكرسي قد وسع الطبا ... ق السبع والأرضين بالبرهان

وهذا يدل على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي أنه يسع السموات والأرض على عظمتهما وعظمة من فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات اللّه تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلا هو، وفي عظمة هذه

المخلوقات تحار الأفكار وتكل الأبصار، وتقلقل الجبال وتكع عنها فحول الرجال، فكيف بعظمة خالقها ومبدعها، والذي أودع فيها من الحكم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السموات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلهذا قال: ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾ أي: يثقله ﴿ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ﴾ بذاتـه فوق عرشـه، العلي بقهره لجميع المخلوقات، العلي بقدره لكمال صفاته فهو سبحانه متصف بكل معاني العلو وهي ثلاثة :

علو الذات : فهو مستو على عرشه بائن من خلقه .

وعلو القهر : فهو القاهر فوق عباده .

وعلو القدر : فهو العظيم الذي لا حد لعظمته .

فسبحانه من إله عظيم .

وهو العلـي فكـل أنـواع ... العلو لـه ثـابتة بلا نـكـران

وهو العظيم بكل معنىً يوجـب ... التعظيم لا يحصيه من إنســان

وهو الجليل فكـل أوصــاف ... الجلال لـه محققةٌ بـلا بطـلان

(العظيـم) الذي تتضاءل عند عظمته جبروت الجبابـرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة .

ولعلنا – بفضل اللّه – نقف مع آية من كتاب اللّه .. وأي آية ؟! إنها أعظم آية في كتاب اللّه إنها آية جمعت مظاهر العظمة كلها .. إنها آية الكرسي .. لماذا آية الكرسي ؟

- كلما تكاثفت عليّ سحب الهموم وأحاطت بي الأحزان والغمـوم وغلبتني الوساوس والظنون .. تأملت في آية الكرسي فوقع بصري على قوله تعالي ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ فأحسسـت بها تهز قلبي وتزلزل كيـاني وتحطم أحزاني وكأنها تخاطبني : ربك عز وجل يتولى إمدادك ورعايتك ويتولى حفظك ونصرتك ويذهب آلامك ومتاعبك .. فإذا هزتك الأحوال، وطوقتك الحوادث، وحلت بك الكربات، فقل لقلبك : أتدري في كنف من أنت ؟ .. أنت في كنف وحمى الركن الذي لا يضام، والقوة التي لا تُرام، والعزة التي لا تُغلب .. حسبك ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .
- كلما هممت بمعصية أو غلبتني شهوة أوغرتني نفسي الأمارة بالسوء فأوقعتني

في شـباك الهوى .. طالعت قول ربي في آية الكرسي ﴿ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ فاضطرب فؤادي وارتجفت أوصالي وتزلزلت جوارحي .. ويحك يا نفس .. أتدرين من يراقبك ؟ من يطّلع على ظاهرك وباطنك ؟ إنه اللّه عز وجل ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ [غافر:١٩] يا اللّه ! حتى خائنة الأعين ! الخائنة التي يظن الإنسـان أنه وحده الذي يحسـها ويعرفها، وألا أحد في الوجود كله يراها أو يفهمها؟ إنه لشعور رهيب أن تحس فجأة بأنك موضوع تحت المراقبة .. المراقبة الدقيقة التي لا تترك صغيرة من عملك ولا كبيرة إلا أحصتها وسجلتها عليك .

- كلما ضعفت في مواجهة الشدائد والأزمات وكدت أنهار أمام الخطوب والملمات .. فضاقت عليّ السـبل، وبارت الحيل، وتقطعت الحبال، وضـاق الحال .. إذ بآية الكرسي توقظني من غفلتي وكأنها تعاتبني هل نسـيت الملك عز وجل الذي ﴿ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ ؟ أما علمت أن الملك سـبحانه ﴿ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن:٢٩] .. فهلا رفعت إليه شكواك ؟! هلا قصدت باب مولاك ؟! .. ويحك .. أنسيت ما خولك وأعطاك ؟ أما خلقك فسواك ؟ .. أما ألهمك الإسلام وهداك ؟ .. أما قربك بفضله وأدناك ؟ .. أما بِره في طرفة عين يغشاك ؟

- كلمـا ردد لسـاني قولـه تعـالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ .. سـارع قلـبي وجوارحي بالسجود للّه عز وجل .. ألا ما أروع السجود للّه .. فهو أقصى درجات العبودية، وأجل مظاهر التذلل، وأصدق دلائل الإذعان، أجمل رسائل الحب وأعذب مناظر الخشـوع وأفضل أثواب الافتقار وهو انطـراح للجبار، وتذلل للقهـار .. إلهي .. سـجد لك قلبي وخشعت جوارحي وهتف لساني معلنا أن العظمة للّه، والكبرياء للّه، والاستعلاء للّه، والقوة للّه، والجبروت للّه، والملك للّه، والعبودية للّه .

فحقيق بآية احتوت على هذه الأسماء والصفات والمعاني الجليلة أن تكون أعظم آية في كتاب اللّه ويحق لمن قرأها بتدبر وتفهم أن يمتلئ من اليقين والعرفان والإيمان .

فسبحان من له العظمة العظيمة والكبرياء الجسيمة والقهر والغلبة لكل شيء، فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية وتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه وإحاطة علمه وسعة سلطانه وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه وعلوه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمنة لجميع الأسماء الحسنى والصفات العلا [مختصرا وبتصرف يسير من كتاب بعنوان: (وربك فكبر) .. تقديم أ.د. عبد الحي الفرماوي] .

الله هو الرب الذي تألهه القلوب، وتحن إليه النفوس، وتتطلع إليه الأشواق، وتحب وتأنس بذكره وقربه، وتشتاق إليه، وتفتقر إليه المخلوقات كلها، في كل لحظة وومضة، وخطرة وفكرة في أمورها الخاصة والعامة، والصغيرة والكبيرة، والحاضرة والمستقبلة، فهو مبديها ومعيدها، ومنشؤها وباريها، وهي تدين له سبحانه، وتقر وتفتقر إليه في كل شئونها وأمورها وبيده مقاليد الأمور وتصريف الأحوال ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل:٢٥-٢٦]، ﴿ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنعام:١٨] ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾ [طه:١١١] قال ابن عباس وغيره : أي خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحي الذي لا يموت القيوم الذي لا ينام، وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل في نفسه الذي كل شيء فقير إليه لا قوام له إلا به الله ذو العزة والجبروت، العزة له، والجبروت له، والعظمة له، والكبرياء له، والسلطان له، والملك له، والحكم له، الأمر له، الحمد له، والقوة له، والتسبيح له، والتقديس له، ما أعظم شأنه! وأقربه من خلقه !، وألطفه بعباده !

أشرقت لنوره السماوات والأرض، وأنار بوجهه الظلمات، روى مسلم (إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) فإذا كانت سبحات وجهه الأعلى لا يقوم لها شيءٌ من خلقه فما الظن بجلال ذلك الوجه الكريم وجماله وبهائه وعظمته وكبريائه؛ لذا كان أعظم نعيم أهل الجنة التلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم – جل جلاله – وهو موقفٌ عظيم يتجلى فيه كبرياء الله وعظمته وجماله وجلاله.

لك الحمد والعلياء والمجد ربَنا فلا شيء أعلى منك مجداً وأمجدُ

مليكٌ على عرش السماء مهيمنٌ بعزته تعلو الوجوه وتسجدُ

فسُبحان من لا يعرف الخلق قدره ومن هو فوق العرش فردٌ موحَدُ

- عندما يحار العقل أمام معجزة ربانية يصرخ صرخة داخلية يا اللَّه.
- عندما تعجب النفس بجمال كوني ومنظر جميل رائع تصرخ من أعماقها يا الله .
- عندما نرى الجمال بكل صورة، جمال الصورة وجمال الخَلق والخُلق يسعد اللسان بقول يا الله .
- عندما تضيق النفس وتداهمنا الأحزان والهموم والأوهام نرددها بانشراح صدر يا الله .
- عندما يضيق الطريق وتظلم الدنيا أمام حلم أو أمنية أو رغبة نرى أن تحقيقها سعادة لنا نقول يا اللَّه.
- عند ما نسير في دروب الحياة المليئة بالشهوات والشبهات والمشكلات نبحث عن عون من الله .
- عندما نقترف المعاصي ونتخبط في الآثام ويضيق الصدر ويصبح العيش ضنكاً والدنيا نكداً نلهج بطلب العفو من الله .
- عندما تداهمنا الأمراض ويعتل الجسم وتضعف القوى ونبحث عن العلاج نطلب الشفاء من اللَّه .
- عندما يداهمنا خريف العمر وتتساقط أوراق العمر ويحدودب الظهر ويضعف العقل نردد يا اللَّه .
- عندما يقترب منا الموت ونرى ملك الموت وهو ينزع الروح ونطلب الثبات نقول يا اللَّه .

اللَّه هو الذي يجيب الدعوات ويقيل العثرات ويغفر الخطيئات ويستر العورات ويكشف الكربات ﴿ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾ [الإخلاص:٢] الذي لا يُقضى أمرٌ إلا بإذنه، فله السيادة المطلقة على هذا الكون الرحيب، الَّذي لا يعلم مداه ومحتواه إلا هو، ولا ينازعه في

هذه السيادة أحد، فهو المقصود وحده بالدعوات، المجيب لأصحاب الحاجات. وصمديَّته هذه تعني استغناءه الذاتي عمَّا سواه، وافتقار جميع المخلوقات إليه؛ في وجودها وبقائها وسائر أحوالها . إذا اضطرب البحر، وهاج الموج، وهبت الرياح العواصف، نادى أصحاب السفينة يا اللَّه! وإذا ضل الحادي في الصحراء، ومال الركب عن الطريق، وحارت القافلة في السير نادوا يا اللَّه! وإذا وقعت المصيبة، وحلت النكبة، وجثمت الكارثة، نادى المصاب يا اللَّه! وإذا أوصدت الأبواب، وأسدلت الستور في وجوه السائلين، صاحوا يا اللَّه! وإذا بارت الحيل، وضاقت السبل، وانتهت الآمال، وانقطعت الحبال، نادوا يا اللَّه! إليه يصعد الكلم الطيب، والدعاء الخالص، والدمع البريء، والتفجع الواله. إليه تمد الأكف في الثناء، والأيادي في الحاجات، والأعين في الملمات، والأسئلة في الحوادث! باسمه وحده لا شريك له تشدو الألسن وتستغيث وتلهج وتنادي، وبذكره وحده لا شريك له تطمئن القلوب وتسكن الأرواح وتنادي يا اللَّه! [من كتاب لا تحزن :عايض القرني]

سأل رجلٌ جعفر الصادق رحمه اللَّه، فقال له : يا إمام من هو اللَّه ؟!

فقال له: ألم تركب البحر ؟ قال : بلى .قال : هل حدث مرة أن هاجت الريح عاصفة ؟ قال : نعم . قال : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم . قال :فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟ قال : نعم . قال : ذلك هو اللَّه !

ومصداق ذلك في كلام اللَّه عز وجل ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الإسراء:٦٧]

إنَّ الإنسان في ذلك الموقف ينسى كل أحدٍ، ويغفل عن كل شيء، ولا يجد في قرارة نفسه إلاَّ أن هناك إلهاً عظيماً قادراً على أنْ ينَّجيه إذا شاء ألا هو اللَّه .

اللَّه جل جلاله منه المنجى، وإليه الملجأ، وبه الإستعاذة من شر ما هو كائن بمشيئته وقدرته لذا كان من دعائه صلى اللَّه عليه وسلم «اللَّهم إني أسلمت نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وفوضت أمري إليك، وألجأت ظهري إليك، رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك .. » [متفق عليه] . ما كان للَّه عز وجل يبقى . وما كان لما سواه يزول .

اللَّه كلمة تزلزل القلوب، وتهز الأركان، تقشعر جلود المؤمنين عند ذكرها إنه اللَّه العظيم. صلاح السـماوات والأرض .. وانتظام الكون .. وانسجام المخلوقات مع بعضها .. يدل على أن الخالق واحد لا شريك له .. ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٢]

خلق السـماوات والأرض .. واختلاف الليـل والنهار .. وأصناف الجماد والنبات والثمار .. وخلق الإنسان والحيوان .. كل ذلك يدل على أن الخالق العظيم واحد لا شريك لـه .. ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر: ٦٢] . وتنوع هذه المخلوقات وعظمتها .. وإحكامها وإتقانها .. وحفظها وتدبيرها كل ذلك يدل على أن الخالق واحد يفعل ما يشاء .. ويحكم ما يريد .. ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر: ٦٢]

فكر في الكون تجدُ أمامَك نافذة واسـعةً سعةَ الكون كلِّه، إعجازٌ باهر، وآيات كريمة، قـد كتِبت بحروفٍ كبيرة واضحة على صفحاتِ الكون كله، ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣]

اللَّه جل جلاله وتقدسـت أسماؤه وعم نواله ملأت كل شيء عظمته وقهر كل شيء ملكه وأحاط بكل شيء علمه وفي الحديث : (قام موسى النبي عليه السلام خطيبا في بني إسـرائيل، فسـئل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم. فعتب اللَّه عليـه إذ لم يَرُدَّ العلم إليـه، فأوحى اللَّه إليه أنَّ عبدا من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك .– وفيه – فجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر نقرة أو نقرتين في البحر فقال الخضر يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم اللَّه إلا كنقرة هذا العصفور في البحر) [البخاري] فعلم البشر وعلم الخلائق كلها لا يساوي شيئًا أمام علم اللَّه المطلق.

ومهمـا ارتقى البشـر في علومهـم ودرجاتهم؛ من رسـل وأنبياء وعلمـاء وغيرهم؛ فلن تكون تلك العلوم إلا كمثقال ذرَّة من علوم اللَّه، ولن يستطيع أحد منهم أن يعلم شيئاً ممَّا انفرد اللَّه تعالى بعلمه هو العليم المحيط : أي الَّذي يحيط علمه بجميع الكائنات والعوالم، فهو صانعها ومُنْشِـؤُها ولم تكن شـيئاً مذكوراً. وهو اللَّه الَّذي يعجز أي مخلوق ـ كائناً من كان ـ عن أن يستوعب بعضاً من علومه إلا في حدود الأسباب والإمكانات الَّتي يهيِّؤُها

عزَّ وجل له . فمهما تطوَّرت علوم الإنسان وتقدمت فهي تدور في فلك الاكتشافات دون الخلق، وكلُّ ما يفعله لا يعدو كونه استقراءً واستنتاجاً لقوانين اللَّه في الخلق . فإذا كان علماء الأرض قاطبة ـ منذ اكتشافاتهم الأولى وإلى يومنا هذا ـ لم يدركوا من علوم هذا الكون إلا النَّزْرَ اليسير، فأنَّى لهم أن يحيطوا بعلوم اللَّه الَّتي يفوق الإلمام بها كلَّ تصوُّر وتقدير، وحتَّى لو أنهم اتَّخذوا من كلِّ أشجار الأرض أقلاماً، ومن بحارها مِداداً لوصفها وبيان عظمتها لنَفِد ذلك كلُّه قبل أن يفرغوا من رصدها وتدوينها؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الكهف: ١٠٩] وقال أيضاً: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ ﴾ [لقمان: ٢٧] واللَّه لو كان البحر محابر والسموات السبع والأرضون دفاتر فلن تفي في تدوين فضله وأفضاله ولن تبلغ في بيان عظمته وبديع فعاله.. ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان: ١٦]، ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [فصلت: ٥٣]، ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾ ﴾ [فصلت: ٥٤].

ألا إن اللَّه بكل شيء مما خلق محيط علما بجميعه، وقدرة عليه، لا يعزب عنه علم شيء منه أراده فيفوته، ولكن المقتدر عليه العالم بمكانه . ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] . فما بالك أيها الإنسان لو جمعت علوم الأولين والآخرين وقال لك رب العالمين ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

فعلوم اللَّه عزَّ وجل المتعلِّقة بما خلق من أكوان ومَجَرَّات وعوالم مختلفة، والتَّرابط القائم بين جميع المخلوقات، أوسع وأعقد من أن تحيط بهما عقول البشر فرادى ومجتمعين، وهم مدعوُّون بالتالي لدراستهما وتتبُّعهما والاستفادة منهما. واللَّه عزَّ وجل عالم بالظَّاهر والباطن، وعلمه شامل للماضي والحاضر والمستقبل يحيط بجميع الكائنات في الحياة الدنيا وفي الآخرة، ويشمل ما نعلمه وما نجهله؛ وأقرب مثال على شموليَّة علمه يبدو واضحاً في الإنسان نفسه، الَّذي هو من خلق اللَّه، والَّذي استطاع بواسطة عقله أن يصل إلى مستوى رفيع من العلم والخبرة أَهَّله لأن يطلق قمراً صناعياً يرصد ما يجري

تحت مساره، ويصوِّره بدقَّة شديدة، ثمَّ يعيد إرسال الصور إلى المحطات الأرضية وهي في غاية الوضوح، دون أن يغيب عنه شيء من تفاصيل هذه العملية المعقَّدة. فإذا كان الأمر بالنسبة للإنسان المخلوق - على ضعفه - كذلك، فما بالك بالنسبة للخالق العظيم الَّذي خلق المجرَّات بأعدادها اللامتناهية؟! فهل يعقل أن يغيب عنه شيء ممَّا خلق؟ ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١]

اللَّه بديع السماوات والأرض، اللَّه نور السماوات والأرض، اللَّه ذو الجلال والإكرام اللَّه مالك الملك عنت الوجوه لنور وجهه وعجزت العقول عن إدراك كنهه .. أشرقت لنور وجهه الظلمات واستنارت له الأرض والسماوات وصلحت عليه جميع المخلوقات.

عِنْدَمَا نَتَأَمَّل قَوْل اللَّه عَز وَجَل .. فِي قِصَّة مُوْسَى عَلَيْه الْسَّلَام لَمَّا طَلَب أَن يَرَى رَبَّه : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يقول الرسول صلى اللَّه عليه وسلم وقد قرأ هذه الآية وقال هكذا (ووضع الإبهام على المفصل الأعلى من الخنصر) ثم قال عليه السلام: (فساخ الجبل) أي: تجلى من اللَّه هذا المقدار فساخ الجبل .. (حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه) هَذَا الاسْتِشْعَار لِعَظَمَة اللَّه يُقَوِّي الْإِيْمَان، قَال ابْن الْقَيِّم رَحِمَه اللَّه : إِسْنَادِه صَحِيْح عَلَى شَرْط مُسْلِم. عن مجاهد ﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإنه أكبر منك وأشد خلقا ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾، فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل يندك على أوله. فلما رأى موسى ما يصنع الجبل، خر صعقا. هذا الجبل بصخوره الصماء يقف خاشعاً متصدعاً أمام كلمات اللَّه! ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحشر: ٢١] سبحان اللَّه، هذه المخلوقات الصلبة تؤمن باللَّه، وتذل لعِزَّته وتخشع، وتتواضع لعظمته وتخضع، سبحانه ما أعظمه. قال ابن كثير: أي فإذا كان الجبل في غلظته وقساوته لو فهم هذا القرآن فتدبر ما فيه لخشع وتصدَّع من

خوف الله -عزَّ وجلَّ- فكيف يليق بكم أيها البشر أن لا تلين قلوبكم وتخشع وتتصدع من خشية الله وقد فهمتم عن الله أمره وتدبرتم كتابه والله ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج: ١٨]

هذا الكون كله حيوانه وجماده ونباته في عبودية لله أترضى أن تكون أنت وحيداً فريداً طريداً مع العاصين؟

لو عظَّم الناس الله ما عصوه وما عصاه إلا من جهل عظمة الله.

ويصف ابن القيم رحمه الله عظمة الله بكلام عذب جميل فيقول: (يدبر أمر الممالك ويأمر وينهى ويخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويقلب الليل والنهار، ويداول الأيام بين الناس، ويقلب الدول فيذهب بدولة ويأتي بأخرى، وأمره وسلطانه نافذ في السماوات وأقطارها وفي الأرض وما عليها وما تحتها وفي البحار والجو، قد أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً.. ووسع سمعه الأصوات فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلطه كثرة المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ذوي الحاجات، وأحاط بصره بجميع المرئيات فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة والسر عنده علانية.. ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن: ٢٩]

يغفر ذنباً، ويفرج هماً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويهدي ضالاً، ويرشد حيراناً، ويغيث لهفاناً، ويشبع جائعاً، ويكسو عارياً، ويشفي مريضاً، ويعافي مبتلى، ويقبل تائباً، ويجزي محسناً، وينصر مظلوماً، ويقصم جباراً، ويستر عورة، ويؤمن روعة، ويرفع أقواماً، ويضع آخرين، لو أن أهل سماواته وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، كانوا على أتقى قلب رجل منهم، ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولو أن أول خلقه وآخرهم، وإنسهم وجنهم، كانوا على أفجر قلب رجل منهم، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، ولو أن أهل سماواته وأهل أرضه، وأول خلقه وآخرهم، وإنسهم

وجنهـم، وحيهم وميتهم، و رطبهم و يابسـهم، قاموا على صعيد واحد فسـألوه فأعطى كلا منهم ما سأله، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.. هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس دونه شيء، تبارك وتعالى أحق من ذكر، وأحق من عبد، وأولى من شكر، وارأف من ملك، وأجود من سُئل، هو الملك الذي لا شريك له، والفرد فلا ند له، والصمد فلا ولد له، والعلي فلا شبيه له، كل شيء هالك إلا وجهه، وكل شيء زائل إلا ملكه.. لن يطاع إلا بأذنه، ولن يعصى إلا بعلمه، يطاع فيشكر، ويعصى فيغفر، كل نقمة منه عدل، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد، وأدنى حفيظ، أخذ بالنواصي، وسجل الآثار، وكتب الآجال، فالقلوب له مفضية، والسر عنده علانية، عطاؤه كلام وعذابه كلام ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢] [الوابل الصيب ص: ١٢٥]

نماذج من مظاهر عظمة الله عز وجل

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾

يقـول المولى عـز وجـل : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾ ذم الله سـبحانه وتعالى طائفة من عباده عدم توقيرهم له عز وجل كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، فقال: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾، وهذه الآية تكرر ورودها في القرآن في ثلاثة مواضع؛ في سـورة الأنعام قال الله تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍۗ ﴾ [الأنعام: ٩١]، وفي سـورة الحـج قال الله تعـالى: ﴿ مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج: ٧٤]، وفي سـورة الزمـر قـال الله تعـالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وتكرر ورود هذه الآية يدل على عظم معناها وأهميته، وقد كان النبي صلى الله عليه وسـلم يتلوها على أصحابه في خطبه كما جاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسـول الله صلـى الله عليه وسـلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنـبر: « ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسـول الله صلى الله عليه وسـلم يقول هكذا بيده ويحركها يقبل بها ويدبر يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرن به ». [رواه أحمد وصححه الألباني في ظلال الجنة، ١/٢٩٠، (٥٤٦)].

وكان النبي صلى الله عليه وسـلم يذكر بها وبمعناها كلما ذُكر مظهر من مظاهر عظمة الله تعالى وجبروته، فقد جاء رجل من أهل الكتاب فقال: «يا أبا القاسم أبلغك أن الله تبارك وتعالى يحمل الخلائق على أصبع والسـموات علـى أصبع والأرضين على أصبع والشـجر على أصبع والثرى على أصبع قال : فضحك رسـول الله صلى الله عليه وسـلم حتى بدت نواجذه وقرأ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ ﴾» [البخـاري (٦٩٧٨) وغير موضع، ومسلم (١٩-٢١)].

يقول ﷺ (كَتَبَ اللَّه مَقَادِيرَ الْخَلَائِق قَبْل أَنْ يَخْلُق السَّمَاوَات وَالْأَرْض بِخَمْسِينَ أَلْف سَنَة وَعَرْشُه عَلَى الْمَاء) [رواه مسلم] . ويَقُولُ ﷺ : " إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يَصْرِفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ "، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ اصْرِفْ قُلُوبَنَا إِلَى طَاعَتِكَ " [رواه مسلم] .

ويقول ﷺ (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا الملك أنا الديان) [أحمد في المسند وابن أبي عاصم في السنة البخاري معلقا] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم(يقبض الله الأرض يوم القيامة، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، فأين ملوك الأرض) [رواه البخاري ومسلم] .

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمًا عَلَى هَذَا الْمِنْبَرِ، يَعْنِي مِنْبَرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَحْكِي رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالأَرَضِينَ السَّبْعَ فِي قَبْضَتِهِ، ثُمَّ بَسَطَهَا، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا اللَّهُ، أَنَا الرَّحْمَنُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْقُدُّوسُ، أَنَا السَّلامُ، أَنَا الْمُؤْمِنُ، أَنَا الْمُهَيْمِنُ، أَنَا الْعَزِيزُ، أَنَا الْجَبَّارُ، أَنَا الْمُتَكَبِّرُ، أَنَا الَّذِي بَدَأْتُ الدُّنْيَا، وَلَمْ تَكُ شَيْئًا، أَنَا الَّذِي أَعَدْتُهَا، أَيْنَ الْمُلُوكُ ؟ أَيْنَ الْجَبَابِرَةُ ؟ !) [جزء الحسن بن عرفة العبدي والأسماء والصفات للبيهقي] .

عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجرِ قلب واحد منكم ما نقص من ملكي شيئا، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر، يا عِبادي إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم

إياها، فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) [رواه مسلم].

ويَقُولُ صلى الله عليه وسلم : « يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَقَالَ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغُضْ مَا فِي يَمِينِهِ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ » [البخاري ومسلم] .

قال رسول الله -صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم-: «قال الله -تعالَى-: ومَن أظلم ممَّن ذهب يَخلق كخَلْقي، فلْيَخْلُقوا حبةً، ولْيخلُقوا ذرةً، أو لِيَخْلُقُوا شعيرةً» [البخاري] .

روى أبو صفوان الأموي بإسناده إلى كعب الأحبار قال : قال الله عز وجل في التوراة: «أنا الله فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمور عبادي، ولا يخفى علي شيء في السماء ولا في الأرض » [وقد ذكره الذهبي في كتاب « العلو » وابن القيم في كتاب « اجتماع الجيوش الإسلامية » وقال الذهبي : رواته ثقات . وقال ابن القيم رواه أبو الشيخ وابن بطة وغيرهما بإسناد صحيح] ، عن كعب، عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفا عليه قال : (خلق الله أربعة أشياء بيده : العرش، والقلم، وآدم، وجنة عدن، ثم قال لسائر الخلق : كن فكان) [رواه الطبري في «جامع البيان» (٢٠/١٤٥)، والدارمي في «نقضه على المريسي» (ص/٢٦١)، وأبو الشيخ الأصفهاني في «العظمة» (٢/٥٧٩)، والآجري في «الشريعة» (رقم/٧٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/٣٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات»(٢/١٢٦)] ، عن ابن مسعود أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظمها ثم يقول: يا رب ذكر أم أنثى ؟ فيقضي ربك ما شاء الله ويكتب الملك ثم يقول: يا رب اجله فيقول ربك ما شاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أمر ولا ينقص) [أخرجه مسلم والبخاري وأبو داود والطبراني] . وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : « يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ يَا رَبِّ : أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ : أَذَكَرٌ، أَوْ أُنْثَى ؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ، وَأَثَرُهُ، وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ » .[مسلم]

وقال ﷺ (خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم كما وصف لكم) . [مسلم]

عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (إن في الجنة شجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها) . [البخاري ومسلم]

وقــال ﷺ (إِنَّ فِي الْجَنَّــةِ مِائَــةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَــا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَــبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّــمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَــأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْــأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، - أُرَاهُ - فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ) . [رواه البخاري]

وقــال ﷺ (ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُــمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا، فَلا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾ [الأعراف:٤٣]) . [رواه مسلم]

وقال ﷺ - في حديث الشــفاعة - (فيقال يا محمد ارفع رأســك وقل تسمع وسل تعطه واشــفع تشــفع فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله .) متفق عليه .

وقــال ﷺ . - في حديــث الشــفاعة - « ثــم أرجــع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد . ثم أخر له ســاجدا . فيقال لي : يا محمد ! ارفع رأســك . وقل يسمع لك . وسل تعط . واشفع تشفع . فأقول : يا رب ! ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا الله . قال : ليس ذاك لك (أو قال ليس ذاك إليك) ولكن، وعزتي ! وكبريائي ! وعظمتي ! وجبريائي ! لأخرجن من قال : لا إله إلا الله » . [مسلم]

وقال ﷺ (يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألفــ مَلَك يجرونها) [رواه مسلم] . قال ابن مسعود ومقاتل : تقاد جهنم بسبعين ألفــ زمام، كل زمام بيد سبعين ألف ملك، لها تغيظ وزفير، حتى تنصب عن يسار العرش .

تفكر في عدد الملائكة المسؤولين عن تحريك جهنم، وهو: أربعة مليارات وتسع مئة مليون مَلَك !

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُــولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ إِذْ سَــمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ رَسُــولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَــلَّمَ : (أَتَدْرُونَ مَا هَذِهِ ؟ "، قُلْنَا : اللَّهُ وَرَسُــولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ : " هَذِهِ حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَالآنَ انْتَهَى إِلَى قَعْرِ النَّارِ) . [مسلم]

وقال ﷺ « ناركم هذه التي يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءا من نار جهنم، قالوا : والله إن كانت هذه لكافية، قال : إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها » . [رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣)]

فإن كانت هذه النار جزء من سبعين جزءا من النار .. وفضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها .. فكيف هو عذاب جهنم ؟؟

وقال الله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [مريم: ٩٠] قال الضحاك بن مزاحم – في تفسير هذه الآية: يتشققن من عظمة الله – عز وجل – .أي: تكاد السموات يتشققن من عظمة الله عز وجل. كيف لا يعظم سبحانه وشأنه عظيم، قال الله تعالى: ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ ﴾ [مريم: ٩٠] .. إن السماوات تكاد تتشقق وتتفطر من عظمة الله تعالى فكيف تذهل القلوب عن عظمة الرب جل وعلا!!؟

﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٠]، فإذا كانت الجبال تنهد غيرة على التوحيد والإيمان فكيف بقلب المؤمن الذي يخاف الله ويرجو رحمته فإنه أولى وأحرى .

غضب السموات والأرض والجبال من أجل الله:

فإن السموات والأرض والجبال تغضب أن دُعي للرحمن ولدٌ، وتحزن أن هؤلاء السفهاء يسُّبون الله الواحد الأحد، سبحانه وتعالى عما يصفون.

إلى هؤلاء الذين ادعوا أن لله ولدًا، أما تخافون أن تنفطر فوق رؤوسكم السماء أو تبتلعكم الأرض أو تنهد عليكم الجبال؟

هو سبحانه العظيم الذي لا أعظم منه العلي بذاته فوق عرشه العلي بقهره لجميع المخلوقات العظيم الذي قهر جبروت الجبابرة .. وصغرت في جانب عظمته وجلاله أنوف الملوك القاهرة وهو سبحانه العظيم الذي خلق الخلائق كلها . ودبر الأوامر كلها وهو سبحانه وحده العظيم الذي لا يعجزه شيء.

فالكل مفتقر إليه لذاته ... في أسر قبضته ذليل عانِ

اعلم أرشدني الله وإياك : أن حقيقة تعظيم الله تكمن في توحيد الله في ربوبيته

وألوهيته وأسـمائه وصفاته وعدم الإشـراك به . والعبودية الحقة له بحيث يقف عند أوامره ونواهيه ولا يتجاوز ذلك، وأن يحكِّم شرعه، وأن يستجيب ويبادر إلى فعل أمره وتـرك نهيـه، وأن يمتلئ القلب بحب اللّه وخوفـه وإجلاله ورجـاء ثوابـه . وتقديم مراد اللّه على مراد النفس وتقديم شـرعه وحكمه على غـيره ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]. أي يرضوا رضاءً تاماً .

يقول عز من قائل ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٤]

فالعلاقة بين العبد وبين ربه ليست محصورة في ساعة مناجاة في الصباح، أو في المساء فحسـب، ثـم ينطلق المرء بعدها، في أرجـاء الدنيا غافلا لاهيا، يفعل مـا يريد دون قيد ولا محكم ؛ كلا هذا تدين مغشـوش، العلاقة الحقة، أن يذكر المرء ربه حيثما كان، وأن يكون هذا الذكر مقيدا مسالكه بالأوامر والنواهي، ومبشراً الإنسان بضعفه البشري، ومعينا له على اللجوء إلى خالقه في كل ما يعتريه . فمثلا التسـبيح :تنـزيهٌ للّه عن كل ما لا يليق به، والتحميدُ : إثباتٌ لأنواع الكمال للّه في أسمائه وصفاته وأفعاله، والتهليلُ : إخلاصٌ وتوحيدٌ للّه وبراءةٌ من الشرك، والتكبير: إثبات لعظمةِ اللّه، وأنّه لا شيء أكبرُ منه .

فكلمة اللّه أكبر معناها أن اللّه سـبحانه وتعالى أكبر من كل شيء في هذا الوجود، وأعظم وأجل وأعز وأعلى من كل ما يخطر بالبال أو يتصوره الخيال .ولهذا فإن على العبد إذا تلفظ بهذه الكلمة عليه أن يستحضر هذه المعاني.

فالذكر نوعان: قال القاضي عياض: وذكر اللّه تعالى ضربان: ذكـر بالقلب وذكر باللسان وذكر القلب نوعان:

- أحدهما: وهو أرفع الأذكار وأجلها: الفكر في عظمة اللّه تعالى وجلاله وجبروته وملكوته وآياته في سماواته وأرضه .

- **والثاني:** ذكره بالقلب عند الأمر والنهي فيتمثل ما أمر به ويترك ما نهى عنه ويقف عما أشكل عليه .

- **وأما ذكر اللسـان** مجرداً فهو أضعف الأذكار ولكن فيه فضل عظيم كما جاءت به الأحاديث [شرح النووي على مسلم] ثمرة ذكر الله تعالى: إن ذكر الله عز وجل، يحيي في نفوسهم استشعار عظمة الله، وأنه على كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ولا يؤوده حفظهما فحينها يشعر الذاكر بالسعادة وبالطمأنينة يغمران قلبه وجوارحه ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد:٢٨]

ولتعلم أن ذكر الله ليس فقط كما نعلم من أن نظل نقول بالألسن سبحان الله والحمد لله وهكذا ولكن ذكر الله تعالى ذكر بالقلب أولاً وأخيراً فانظر قوله تعالى عن الذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم من المؤمنين ﴿ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾[آل عمران:١٣٥] وهذا يعني أنهم أولاً ذكروا الله في قلوبهم وتذكروا عظمته سبحانه فخافوه وعظموه فاستغفروه ورجوا رحمته ومغفرته سبحانه وتعالى .

إن المسلم لم يُخلق ليندفع مع التيار، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار، بل خُلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية، ويفرض على البشرية اتجاهه، ويملي عليها إرادته، لأنه صاحب الرسالة، وصاحب العلم اليقين، ولأنه المسئول عن هذا العالم وسيره واتجاهه، فليس مقامه مقام التقليد والإتباع، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة، ومقام الإرشاد والتوجيه، ومقام الآمر والناهي .

نعم الشرع يحكم حياتنا بأكملها الدستور والأغلبية والقاضي والحاكم والصناديق الشفافة كل ذلك وغيره لا بد أن يضبط بشرع الله .

قال تعالى : ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣].

تلك الحقيقة هي أن المسلم ليس له حق التصرف في شيء من أمر نفسه، بل وقف لله ولدعوته والجهاد في سبيله، فكل شعرة فيه، بل كل حاسة من حواسه، وعضو من أعضائه، بل كل نعمة أنعمها الله عليه أو موهبة يجب أن تصرف في الوجه الذي يحبه الله .

حياة الإنسان بتوحيده ..

إنَّ قيمة الإنسان الحقيقية تظهر عندما يجعل ربه تعالى محور حياته فيجعل كل ذرة من ذرات جسـده وكل حركة من حركاته وكل نَفَسٍ من أنفاسه يجعل ذلك كله للّه الواحد الأحـد ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾. [الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣]

[يقول اللّه عز وجل : قُل يا محمد لهؤلاء المشركين : إنَّ صلاتي، ونُسكي؛ أي : ذَبحي للّه وحده، لا لِلأَصنام ولا للأَموات ولا للجنِّ ولا لِغير ذلك مما تَذبحونه لِغير اللّه، أو على غير اِسم اللّه، بل وحياتي وموتي للّه تعالى، فإنَّ اللّه عز وجل لا شَـريك لـه في أُلوهيّته ولا ربوبيّته ولا أسـمائه وصِفاته، وبذلك التّوحيد الخالص أمَـرَني ربي عز وجل، وأنا أوَّل مَن أَقرّ وانقاد للّه من هذه الأُمَّة].

إن التجرد الكامل للّه عز وجل وحده بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة: بالصلاة، والاعتكاف، وبالمحيا، والممات، والشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه .

إنها العبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات وتخلصها للّه وحده، للّه رب العالمين، المهيمن، المتصرف، المربي، والحاكم للعالمين، في إسلام كامل لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها للّه عز وجل ولا يحتجز دونه شيئاً في الضمير، ولا في الواقع .

إنَّ الكونَ كله مطيع للّه عز وجل، خاضع لسلطانه، مسبح بحمده، فإذا تمرد العبد أصبح شاذا في هذا الكون الهائل المتجه إلى اللّه وحده بالطاعة والخضوع والخشوع . وإنه لعيب كل العيب وعار كل العار أن يكون الكون كله في اتجاه، وهو في اتجاه معاكس لطريق الحق طريق الهدى والنور، فواعجباً أن يبغي الإنسان غير اللّه عز وجل رباً ومعبوداً حاكماً وموجهاً مصرفاً ومهيمناً، رغم أنه مأخوذٌ بنيته وعمله محاسب على ما كسبه من طاعة ومعصية، فلماذا يبغي الإنسان غير اللّه عز وجل رباً فيجعل شرعه شرعاً، وأمره أمراً، وحكمه حكماً، وهذه الدلائل من الكون كلها حاضرة شاهدة أن اللّه عز وجل وحده هو الربُّ الواحد المتفرد ! .

ولا يكفي في الإنسان أن يقول بلسانه : (لا إله إلا الله)، ولو كانت كافية لتسارع إليها المشـركون، إن كلمة التوحيد (لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّه) التي دعا إليها رُسُـل اللَّه جميعا تقتضي صياغة الحياة كلها وفق شريعة اللَّه، تقتضي صياغة النظام الاقتصادي حسب ما يريده اللَّه عز وجل، بعيداً عن أنظمة الشرق الشيوعية وأنظمة الغرب الرأسمالية .

نعم إنَّ كلمة التوحيد تقتضي ألا تؤخذ الأحكام والتشـريعات والنظم إلا من كتاب اللَّه عز وجل وسنة نبيّه، كما تقتضي التسليم بأنَّ الذي يملك أن يقول : هذا حلال وهذا حـرام، وهـذا خطأ وهذا صواب، وهذا حق وهذا باطـل، وهذا صالح وهذا فاسـد، الذي يملك ذلك كله هو اللَّه عز وجل وحده .

إنهـا تقتـضي أن يجرد الإنسـان ولاءه للَّه عـز وجل ولرسـوله صلى اللَّه عليه وسـلم وللمؤمنين، ويبرأ مما سـواهم، بحيث يكون قلبه متحركاً بهذا الشعور، لا يملك إلا أن يميل إلى أهل الحق والإيمان، ويفرح بانتصارهم ويدعو لهم ويحزن لمصابهم .

ولنعلم جميعاً أنَّ سعادتنا نحن المسلمين ذكوراً وإناثا في الالتزام بشريعة ربّنا عقيدة وسلوكاً، ومنهجاً للحياةِ فيما يجب علينا نحو ربنا، وفيما يجب علينا فيما يكونُ بيننا، وفي الالـتزام الشَّـخصي في أفراحنا وأتراحنا في أزيائنا ولباسـنا، في نومنا ويقضتنا، وأخذنا وعطائنا، وأكلنا وشـربنا، وفي كل شيء منّا، ابتداءً بالقاعدة والأسـاس الأصيل، بالتوحيد والصلاة، وانتهاءً بأصغر شيء من أمورنا، وبذلك نكون مسلمين حقاً، نسعى في إرضاء مولانا عز وجل ونسـتجيب لندائه حيث يقول تعالى : ﴿ ٱسۡتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلۡجَإٖ يَوۡمَئِذٖ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٖ ﴿٤٧﴾ ﴾.[الشورى:٤٧]

ولا يصح شـرعا، ولا عقلا : أن نَتَلَقَّى من اللَّه عز وجـل الصلاة والصوم، ونَتَلَقَّى من الغرب أو الشـرق الأحوال الشـخصية، أو العادات والتقاليد، أو اللباس أو الزفاف وما يتبعه قبل وبعد أو الحجاب .

﴿ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٥] .

فالذي تَعَبَّدَ خلقه بالتوحيد والصلاة والصوم، هو الذي تَعَبَّدَهُم بالحجاب والآداب في اللباس، والأعراس، والأزياء، وفي الأكل والشرب، والنوم واليقظة، حتى في آداب الخلاء وغير ذلك، وهكذا سائر ما تعبدنا الله عز وجل به، يجب علينا أن نؤديها لربنا طائعين مختارين وأن نتعامل مع الناسِ على نحو ما شرع الله عز وجل عبوديةً لله وأداء لما افترض، الله أكبر كيف تذهل القلوب عن عظمة الله قال جل وعلا: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧]

إن الله -تعالى- لم يخلق الخلق ولم يرسل الرسل ولم ينزل الكتب إلا من أجل تحقيق غاية من أسمى الغايات ألا وهي عبادته -سبحانه- وتحكيم شرعه، ولا يمكن أن تصل العبادة إلى أعلى كمالها إلا بتعظيم المعبود.

فلو علم العباد ما لله من عظمة ما عصوه، ولو علم المحبون أسماءه وصفاته وكماله وجلاله ما أحبوا غيره، ولو علم العباد فضله وكرمه ما رجوا سواه، فالله تعالى رجاء الطائعين وملاذ الهاربين وملجأ الخائفين.

هل تعلم أن الطير يسبح بحمد ربه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [النور:٤١]. هل تعلم أن الرعد يسبح بحمد ربه: ﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ ﴾ [الرعد:١٣]

إن الأرض تسجد لربها .. والنجوم تسجد لربها .. والشمس تسجد لربها .. والقمر يسجد لربه .. والجبال تسجد لربها .. والشجر يسجد لربه ..والدواب تسجد لربها .. قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ ﴾ [الحج:١٨]

سجود ما في الكون لله تعالى: ورد في سورة الحج آية (١٨) سجود الدواب فما هي كيفية هذا السجود؟. الحمد لله اعلم أن هذا الكون بكل ما فيه من مخلوقات هي معبدة لله إما اختيارا أو إكراها .. فالمؤمن يعبد الله اختيارا ويثاب على عبادته سبحانه والكافر وإن كان شاردا عن ربه تاركا لعبادته فذرات جسده وكل ما فيه يعبده سبحانه وتعالى بل

ويسبحه عز وجل لكننا بقصور عقلنا وحواسنا لا نشعر بهذا التسبيح ولا نعقله، يقول تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤]، والمقصود أن كل مخلوق فهو خاضع لله عابد له عبادة لائقة بحاله ووضعه، فالشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب كلها خاضعة لله تسبحه سبحانه وتعالى وتسجد له ولكل واحد منها عبوديتها اللائقة بها لله عز وجل، يقول تعالى: ﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلۡجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٞ مِّنَ ٱلنَّاسِۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج:١٨]، ويقول تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِّلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن دَآبَّةٖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ [النحل:٤٨-٤٩].

يقول الإمام ابن كثير: (يخبر الله تعالى عن عظمته وجلاله وكبريائه الذي خضع له كل شيء ودانت له الأشياء والمخلوقات بأسرها؛ جماداتها وحيواناتها ومكلفوها من الإنس والجن والملائكة فأخبر أن كل ما له ظل يتفيأ ذات اليمين وذات الشمال أي بكرة وعشيا فإنه ساجد لله تعالى. قال مجاهد: إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله عز وجل) فأثبت سبحانه وتعالى السجود لكل الكائنات وبين كيفية سجود بعضها وهو بفيء ظلالها ذات اليمين والشمال، ولا يلزم أن يكون سجودها على سبعة أعضاء إذ هذا خاص بالمسلمين أما سجود بقية الكائنات فهو في كل مخلوق بحسبه، يؤكد أن هذا السجود يراد به حقيقة السجود أنه ظاهر النص أولا فإذا لم يرد مانع صحيح من حمل الآية على هذا الظاهر وجب الأخذ به، يؤكده كذلك أن عطف سجود الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب على سجود الملائكة والبشر يدل على حقيقة هذا السجود للكائنات كلها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والسجود من جنس القنوت فإن السجود الشامل لجميع المخلوقات هو المتضمن لغاية الخضوع والذل وكل مخلوق فقد تواضع لعظمته وذل لعزته واستسلم لقدرته ولا يجب أن يكون سجود كل شيء مثل سجود الإنسان على سبعة أعضاء ووضع جبهة في رأس مدور على التراب فإن هذا سجود مخصوص من الإنسان ومن الأمم من يركع ولا يسجد وذلك سجودها كما قال تعالى: ﴿ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ ﴾ [البقرة:٥٨] وإنما قيل ادخلوه ركعا ومنهم

من يسجد على جنب كاليهود فالسجود اسم جنس ولكن لما شاع سجود الآدميين المسلمين صار كثير من الناس يظن أن هذا هو سجود كل أحد كما في لفظ القنوت) .

[جامع الرسائل ١/ ٢٧]

ويقول رحمه الله : (ومعلوم أن سجود كل شيء بحسبه ليس سجود هذه المخلوقات وضع جباهها على الأرض) [مجموع الفتاوى ٢١/ ٢٨٤]، فمما يدخل في هذا السجود كمال خضوع هذه المخلوقات لله وانقيادها له سبحانه وذلها لربوبيته وعزه وسلطانه، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله : (وهو سجود الذل والقهر والخضوع فكل أحد خاضع لربوبيته ذليل لعزته مقهور تحت سلطانه تعالى) [مدارج السالكين ١/ ١٠٧] .

كما أن سجود هذه المخلوقات سجود حقيقي يليق بهذه المخلوقات كل بحسبه فسجود الإنسان لائق به وهو ما كان على الهيئة المعروفة وعلى الأعضاء السبعة وسجود الشمس يليق بها كما صح في الحديث عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِي الله عَنْه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ : (أَتَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟) قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: (فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا وَتَسْتَأْذِنَ فَلا يُؤْذَنَ لَهَا يُقَالُ لَهَا ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ﴾) [رواه البخاري ٣١٩٩]، فسجودها سجود حقيقي يناسب الشمس لكن كيف تسجد لله تحت العرش ؟ الله سبحانه هو الأعلم بكيفية هذا السجود وظاهر الحديث يأبى أن يكون معنى السجود مجرد خضوعها لأمر الله سبحانه وانقيادها لطاعته بل هو خضوع وذلة وانكسار وانقياد بسجود حقيقي لا نعلم كيفيته، وكذا يقال في القمر والشجر والدواب وسائر الكائنات كل له سجود يناسبه ويليق به، فالواجب على المؤمن أن لا يجعل من جهله بكيفية سجود بعض الكائنات مانعا من التصديق والإيمان بهذا السجود بل الواجب عليه الإيمان بما أخبر الله به من سجود الكائنات له سبحانه .

الإسلام سؤال وجواب؛ حتى الضفدع يسبح بحمد ربه حين يغفل البشر، فعن المغيرة بن عتيبة قال : قال داود عليه الصلاة والسلام :(يا رب، هل بات أحد من خلقك طول الليل أذكر لك مني ؟ فأوحى الله إليه : نعم .. الضفدع ..) [رواه أحمد بإسناد جيد]

وفي حديـث عن ابن عمـرو مرفوعا : (لا تقتلوا الضفادع فإن نقيقها تسـبيح، ولا تقتلوا الخفـاش، فإنه لما خرب بيت المقدس قال : يا رب سـلطني على البحر حـتى أغرقهم) [صحيح الجامع للألباني وقال البيهقي إسناده صحيح].

والظاهـر في مثل هـذا الذي صح عن عبد اللَّه بن عمرو مـن النهي عن قتل الخفاش والضفدع أنه في حكم المرفوع لأنه لا مجال للرأي فيه. لأن علم تسبيح الضفدع وما قاله الخفـاش لا يكون بالرأي، وعليه فهو يدل على منع أكل الخفاش والضفدع. وحتى النمل يسبح فعن أَبِي هُرَيْرَةَ – رضي اللَّه عنه – قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ – صلى اللَّه عليه وسلم – يَقُولُ « قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ تُسَبِّحُ » . [البخاري كتاب الجهاد ٣٠١٩]

بل الكون كله يسبح الله تعالى قال اللَّه تعالى : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤]. قال الشيخ السعدي رحمه اللَّه في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) : ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ ﴾ مـن حيـوان ناطق وغير ناطق ومن أشـجار ونبات وجامـد وحي وميـت ﴿ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ ﴾ بلسـان الحال ولسـان المقـال. ﴿ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡ ﴾ أي: تسبيح باقي المخلوقات التي على غير لغتكم بل يحيط بها علام الغيوب.

قـال اللَّه تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿١﴾ ﴾ [الجمعة: ١]. قال الشيخ السعدي رحمه اللَّه في تفسيره (تيسير الكريم الرحمن) أي: يسبح للَّه، وينقاد لأمره، ويتألهه، ويعبده، جميع ما في السماوات والأرض، لأنه الكامل الملك، الذي له ملك العالم العلوي والسفلي، فالجميع مماليكه، وتحت تدبيره، ﴿ ٱلۡقُدُّوسِ ﴾ المعظم، المنزه عن كـل آفة ونقص، ﴿ ٱلۡعَزِيزِ ﴾ القاهر للأشـياء كلها، ﴿ ٱلۡحَكِيمِ ﴾ في خلقه وأمره، فهذه الأوصاف العظيمة مما تدعو إلى عبادة اللَّه وحده لا شـريك له، فلا إله إلا اللَّه العظيم سبحت له الأفلاك وخضعت له الأملاك.

عظمة الله في كمال علمه

علمه سبحانه علم من اطلع على السرائر، وكشف ما في الضمائر، وأحاط بالأول والآخر، والباطن والظاهر.. ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[الأنعام: ٥٩] .

سبحانه علم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون سبحانه الورقة تسقط بعلمه، الهمسة تنبس بعلمه، الكلمة تقال بعلمه، النية تعقد بعلمه، والقطرة تنزل بعلمه، والخطوة تنقل بعلمه، جاءت خولة بنت ثعلبة تشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها، تُسرّ إليه بحديثها وعائشة في ناحية الغرفة ما تسمع حديثها، وينزّل الله على رسوله ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [المجادلة: ١]، فماذا أمام عائشة أن تقول إلا: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات. قالت عائشة: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تكلمه وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول فأنزل الله عز وجل ﴿ قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا ﴾ إلى آخر الآية [رواه البخاري] .

أرسل موسى إلى فرعون فشكا له موسى جبروت فرعون، وظلمه وبطشه فقال الله ﴿ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦] . بات نفر من المنافقين يحيكون الدسائس للمسلمين فأنزل الله ﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ . [النساء: ١٠٨] ، أهـ[الشدي] ومعنى السميع..أي الذى يدرك المسموعات ؛ أي كلام أي همس أي سكت أي لفظ من إنس أو من جن أو من طير أو من حيوان لا يعزب عن الله ولا يغيب عن سمع الله مهما كثرت الأصوات ومهما اختلطت الأصوات فالله جل جلاله لا يعزب عن سمعه شيء في الأرض ولا في السموات، السميع الذى مع علوه واستوائه على عرشه كما يليق بجلاله وكماله إلا إنه لا يعزبُ عنه صوت في الأرض ولا في البر ولا في البحر حتى ولو كان في قاع قاع البحر؛ وإلا فقل لي بربك من الذى سمع يونس وهو في بطن الحوت ؟؟

لما خرج مغاضباً من قومه والتقمه الحوت وأخذه الحوت ؛ ونزل به إلى قاع قاع البحر

فاجتمعت عليه الظلمات؛ فيعيش في جو البحر فلا يراه مخلوق من البر؛ ثم يعيش في باطن الحوت فلا يراه مخلوق من البحر؛ ثم تجتمع عليه ظلمة قبر الحوت من الداخل فلا يفطن إليه أحد ولا يراه أحد ولا يشعر به أحد وهو وسط هذه الظلمات الحالكة إذا نادى بقلبه قبل لسانه ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ [الأنبياء:٨٧] قال الله: ﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨ ﴾ [الأنبياء:٨٨]

من الذى سمع يونس عليه السلام وهو جل جلاله على عرشه قد استوى على كرسيه فوق سماواته وجميع مخلوقاته ومع ذلك يسمعه وهو في قاع قاع البحار إنه الله السميع.

من الذى سجل قول النملة لسليمان ﴿ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١٨ ﴾ [النمل:١٨]

من الذي سجل قول النملة لسليمان ..؟؟!!

أليس هو الله السميع الذي لا يعزب عن سمعه أي مسموع لا من طير ولا من حيوان ولا من إنس ولا من جن، أزمة الأمور كلها بيده ومَرادُّها إليه، مستوٍ على سرير ملكه استواء يليق بجلاله وعظمته لا تخفى عليه خافيةٌ في أقطار مملكته.. تصعد إليه شئون العباد وحاجاتهم وأعمالهم فيأمر - سبحانه - بما شاء فينفذ أمره ويغلب قهره ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ٢٩ ﴾ [الرحمن:٢٩] وهو سبحانه فوق سمواته لا تخفى عليه خافية.. يسمع ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء.. لا تشتبه عليه الأصوات مع اختلاف اللغات وتنوع الحاجات، ولا تتحرك ذرة في كونه إلا بإذنه .

قال ابن منظور رحمه الله: فهو الله العالم بما كان وما يكون قبل كونه، وبما يكون ولما يكن من قبل أن يكون، لم يزل عالماً ولا يزال عالماً بما كان وما يكون ولا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، أحاط علمه بجميع الأشياء باطنها وظاهرها، دقيقها وجليلها، على أتم الإمكان.

قال السعدي: وهو الذي أحاط علمه بالظواهر والبواطن والإسرار والإعلان،

وبالواجبات والمستحيلات والممكنات، وبالعالم العلوي والسفلي، وبالماضي والحاضر والمستقبل، فلا يخفى عليه شيء من الأشياء .

وهو ما نظمه ابن القيم رحمه الله في (النونية):

فهو العليم أحاط علمًا بالذي ... في الكون من سر ومن إعلان

وهو العليم بما يوسوس عبده ... في نفسه من غير نطق لسان

بل يستوي في علمه الداني ... مع القاصي وذو الإصرار والإعلان

فهو العليم بما يكون غدًا وما ... قد كان والمعلوم في ذا الآن

وبكل شيء لم يكن لو كان كيف ... يكون موجودًا لذي الأعيان

فهو السميع يرى ويسمع كل ما ... في الكون من سرٍ ومن إعلان

فلكل صوت منه سمع حاضر ... فالسر والإعلان مستويان

والسمع منه واسع الأصوات لا ... يخفى عليه بعيدها والدَّاني

ويرى دبيب النمل في غسق الدُّجى ... ويرى كذاك تقلُّب الأجفان

لهو البصير يرى دبيب النملة ... السوداء تحت الصَّخر والصَّوَّان

ويرى مجاري القوت في أعضائها ... ويرى نِيَاطَ عروقها بعيان

ويرى خيانات العيون بِلَحْظِها ... إي والذي برأ الورى وبَرَاني

تأمل هذه الآية: ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١١]

قف قليلا، وتفكر: كم في هذه اللحظة من أنثى آدمية وغير آدمية ؟وكم من أنثى تزحف، وأخرى تمشي، وثالثة تطير، ورابعة تسبح، هي في هذه اللحظة تحمل أو تضع حملها ؟! إنها بالمليارات !وكل ذلك لا يخفى على الله تعالى !فما أعظمه من درس في تربية القلب بهذه الصفة العظيمة. [ليدبروا آياته . د. عمر المقبل]

والله جل وعلا بصير: أي متصف بالبصر، يرى سبحانه كل شيء من فوق سبع سماوات. يرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء، في الليلة الظلماء .

لو كان ليل دامس، ونملة سوداء، على صخرة سوداء، ودنوت منها واقتربت وحلَّقت بعينيك فإنك لا تراها، لكنَّ الله عز وجل يراها من فوق سبع سماوات، بل يرى جريان

الدم في عروقها، ويرى سبحانه كلَّ جزء من أجزائها، وكذا البعوض فهو سميع بصير، يسمع كلَّ الأصوات، ويرى جميع المخلوقات.

يا من يرى مد البعوض جناحها	في ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى مناط عروقها في نحرها	والمخ من تلك العظام النحل
ويرى خرير الدم في أوداجها	متنقلا من مفصل في مفصل
ويرى وصول غذا الجنين ببطنها	في ظلمة الأحشا بغير تمقل
ويرى مكان الوطء من أقدامها	في سيرها وحثيثها المستعجل
ويرى ويسمع حس ما هو دونها	في قاع بحر مظلم متهول
امنن علي بتوبة تمحو بها	ما كان مني في الزمان الأول

[نسبت هذه القصيدة إلى أبي العلاء المعري ونسبت للزمخشري]

عظمته في كمال قهره وعزه وجبروته

وإن من عظيم قدرة اللَّه عز وجل أنه إذا تكلم سبحانه بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي فإذا زال الفزع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: قال الحق وهو العلي بذاته وقهره وعلو قدره الكبير على كل شيء.

فعن النواس بن سمعان - رضي اللَّه عنه - قال. قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إذا أراد اللَّه -تعالى- أن يوحي بالأمر؛ تكلم بالوحي، أخذت السماوات منه رجفة أو قال: رعدة شديدة: خوفا من اَّلله -عز وجل- فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخروا للَّه سجدا. فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه اللَّه من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير. فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل). [صحيح البخاري التوحيد (٧٠٤٣)].

فدل هذا الحديث على مسائل عظيمة :

منها : إثبات الإدراك للسماوات والخوف من اللَّه، وأنها تدرك عظمة اللَّه، وتخافه، وهي جمادات، كما دلت على ذلك الأدلة الأخرى فإذا كانت السماوات تخافه، فكيف لا

يخافه ابن آدم هذا الضعيف المسكين؟ كيف لا يخاف من الله -سبحانه وتعالى- .

ومنها: أن الملائكة يخافون من الله، ويسجدون له، فدل على أنهم عباد محتاجون إلى الله -سبحانه وتعالى- فقراء إلى الله، فهذا يدل على بطلان دعائهم من دون الله، واتخاذهم وسائط، وشفعاء عند الله -عز وجل- الملائكة يشفعون، لكن لا يشفعون إلا بإذن الله -سبحانه وتعالى- ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النجم:٢٦] فلا تحصل الشفاعة عند الله إلا بشرطين: الإذن بالشفاعة، ورضاه عن المشفوع فيه، بأن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، أما الكافر فقال الله -تعالى- فيه: سورة المدثر الآية ٤٨ ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المدثر:٤٨]، ﴿ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ ﴾ [غافر:١٨] وليس الله مثل ملوك الدنيا يشفع الشفعاء عندهم ولو لم يأذنوا، ويضطر الملوك إلى قبول الشفاعة من أجل تأليف الكلمة، ومن أجل حاجتهم للوزراء، أما الله -جل وعلا- فإنه غني عن عباده، ولا أحد يتقدم بالشفاعة عنده إلا بإذنه، ومحمد -صلى الله عليه وسلم- أفضل الخلق، في يوم القيامة في المحشر إذا تقدمت الخلائق إلى محمد تطلب منه الشفاعة لفصل القضاء، لا يشفع إلا بعد أن يسجد لله -عز وجل- ويحمد الله بمحامد عظيمة، ويدعوه بدعاء، ثم يقال له: يا محمد، ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع، فالشفاعة ملك لله: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ ﴾ [الزمر:٤٤] ، وتطلب الشفاعة من الله، تقول: اللَّهم شفع في نبيك محمدا -صلى الله عليه وسلم- اللَّهم شفع في عبادك الصالحين، تطلبها من الله، أما أن تقول بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم: يا محمد اشفع لي، أو يا فلان اشفع لي، تطلبها من الميت فهذا لا يجوز. فطلب الشفاعة من القبور شرك أكبر، أما الحي فتطلب منه الشفاعة بأن يطلب منه أن يدعو الله -عز وجل- لمن احتاج إلى ذلك، أما الميت فلا يقدر على دعاء ولا يطلب منه شيء. هذا هو المقصود من إيراد هذا الحديث، وهو بيان حالة الملائكة مع الله -سبحانه وتعالى- وأنهم يخافونه، ويصعقون من هيبته -سبحانه وتعالى- ومن سماع كلامه، ويخرون لله سجدا، فدل على أنهم عباد فقراء إلى الله، ليس بيدهم شيء إلا ما أعطاهم الله -سبحانه وتعالى- فلا تجوز دعوتهم من دون الله -عز وجل- وإذا كان هذا في حق الملائكة ففي حق غيرهم من باب أولى وأحرى.

وفيه دليل على تعظيم كلام الله، وتعظيم القرآن الكريم؛ لأنه كلام الله، ووحي من الله، فيجب تعظيمه، والخشوع عند سماعه، والخوف مما فيه من الوعيد، والتهديد، والرجاء بما فيه من الوعد الكريم، فكلام الله -عز وجل- يكرم، ويهاب، ويعظم، ليس مثل كلام المخلوقين، وكذلك حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- يجل ويعظم؛ لأنه وحي من الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ [النجم: ٣-٤] فهو وحي من الله، وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومنها: أن الملائكة لا يعلمون الغيب، ويسألون غيرهم عما خفي عليهم.

عظمة الله وحاجة المخلوقات وافتقارها إليه: الحياة والموت بيد الله وتصرفه. وهو لا يحتاج إلى أحد. ولا إلى أي سبب. والمخلوقات كلها محتاجة إلى الله في خلقهم. وفي استعمالهم. وفى صفاتهم. والمخلوقات كلهم لا يملكون مثقال ذرة في السموات والأرض . ولا يملكون ضرا ولا نفعا. ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا. ولا يملكون كشف الضر عن أحد ولا تحويلا.

أشغل فكرك في نفسك لتعرف افتقارك إلى الله وعدم استغنائك عن الله تعالى:

من الذي خلق؟ من الذي بدأ؟ من الذي ينهى؟ من الذي أحيا؟ من الذي يميت؟ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ﴾ [الزمر:٣٦] ؟ بلى. أما يكفينا ربنا؟ أما تكفينا ولاية الله لنا؟. فليس لنا رب غير الله، والنعم التي في أيدينا ملك لله، النعمة من الله، والعطاء من الله، والمال الذي في يدك من الله، والصحة التي تختال بها من الله، والأنفاس التي تتردد في صدرك من الله، ولنا في هذه الدنيا أجل ولنا في هذه الدنيا رزق، ولن تستطيع قدرة من القدرات أن تحول بيننا وبين أجل قدره الله لنا ولا بين رزق قدمه الله تبارك وتعالى لنا على موائد فضله. ما خلق أحد معه ذرة في هذا الكون ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝٢٢ ﴾ [سبأ:٢٢]

﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٢٠ ﴾ [المرسلات:٢٠]، ألا ترون البداية والنهاية حاضرة في كل ساعة، أرحام توضع فيها قدرة الله جل وعلا، فتصير النطفة بشرا سويا، هل

يستطيع أحد غير الله أن يفعل ذلك ؟ كثيرا ما يذكرك ربك ببدايتك حتى لا تتكبر، ما هي البداية ؟ نطفة في رحم مظلم، وتتعلق بجدار الرحم. ثم تتحول إلى خلية أكالة، تأكل جدار الرحم، وتتحول إلى كتلة من الدماء، تأخذ منها غذاءها طازجا يوما بيوم، ثم تتكاثر هذه الخلية لتصبح مجموعة من الخلايا، ثم تتوجه كل مجموعة من الخلايا لأداء مهمة عظيمة،من الذي علم خلايا الأعصاب أن تصنع الأعصاب ؟ ومن علم خلايا العظام أن تصنع العظام ؟ ومن علم خلايا العضلات أن تصنع العضلات ؟ كل مجموعة من الخلايا تعمل في نظام بديع من أعطاها الأوامر ؟ ومن الذي يسر لها السبل ؟ الدورة الدموية في جسدك لا سلطان لك عليها، وعروقك تنضب بأمر الله وحده. واللقمة التي تأكلها تهضم بكبرياء الله وعظمته وجلاله، ولو أن الله عطل لك عضوا من أعضائك لتحيرت به، ولو أن الله أغلق لك عينا لتحيرت بها. ولو أن الله أخذ منك سمعك لتحيرت بالداء الذي أرسله إليك ربك جل وعلا،. وأنت في هذه الدنيا عجزك ظاهر، أنت عاجز إذا جعت، عاجز إذا ظمئت. عاجز إذا مرضت .. عاجز إذا مت ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ١٥ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ١٧ ﴾ [فاطر:١٥-١٧] ، ثم أعجز العجز يبدو منك حين يأتيك ملك الموت، فلا يكون منك حول ولا قوة، أنت عاجز أنت ضعيف، أنت فقير، أنت مسكين، من سينجيك من كل كرب وشدة ؟ ﴿ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ٦٤ ﴾ [الأنعام: ٦٤]

قال ابن قيم الجوزية، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤ ﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤]. وهذا كثير في القرآن يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ووسطه وآخره إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل عنه معرض عن التفكر فيه، ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره .

قـال الله تعـالى : ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [عبس:١٧-٢٢]، يتفكر الإنسـان في نفسـه، فـإن في خلقه من العجائب الدالـة على عظمة الله تعالى، مـا تنقضي الأعمار في الوقوف على عُشر عُشـره وهو غافل عن ذلك. وقد أمره الله تعالى بالتدبر في نفسه، فقال: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾. [الذاريات: ٢١]

قـال ابن القيم عن الرَّحِم : مَن الذي أوحى إليه أن يَتَضَايق عليك وأنت نُطْفة حتى لا تَفْسد هناك ؟ وأوحى إليه أن يَتَّسِع لك ويَنْفَسِح حتى تَخْرُج منه سليما إلى أن خَرَجْتَ فَريدا وَحيدا ضَعيفا لا قِشْـرة ولا لِباس ولا مَتاع ولا مَـال ؟ أحْوج خَلْق الله وأضعفهم وأفقرهم، فَصَرَف ذلك اللبن الذي كنت تَتَغَذَّى به في بَطن أمك إلى خِزَانتين مُعَلَّقَتين على صدرها ! تَحْمِل غذاءك على صدرها، كما حَمَلَتْك في بَطنها، ثم سَاقَه إلى تَيْنِك الخِزَانَتين ألْطَف سَـوْق على مَجَارٍ وطُرُقٍ قد تَهَيَّأت له، فلا يَزال وَاقِفًا في طُرُقه ومَجَارِيه حتى تَسْتَوفِي ما في الخزانة، فَيَجْرِي ويَنْسَاق إليك، فهو بِئر لا تَنْقَطِع مادَّتها، ولا تَنْسَدّ طُرُقها، يَسُوقها إليك في طُرُقٍ لا يَهْتَدِي إليها الطَّواف، ولا يَسْلكها الرِّجال، فمن رَقَّقَه لك، وصَفَّاه، وأطَاب طَعْمه، وحَسَّن لَونه، وأحْكم طَبْخَه أعْدَل إحْكَام ؟ لا بِالْحَارِّ الْمُؤذِي، ولا بالبَارِد الرَّدي، ولا الْمُرّ ولا المالـح، ولا الكَرِيه الرائحة، بل قَلَبَه إلى ضَرْب آخر مِن التغذية والمنفعة، خِلاف ما كان في البطن، فَوَافَاك في أشد أوقات الحاجة إليه على حين ظمأ شديد وجوع مفرط جمع لك فيه بين الشراب والغذاء فحين تولد قد تلمظت وحركت شفتيك للرضاع، فتجد الثدي الْمُعَلَّق كالإدَاوَة قد تَدَلَّى إليك، وأقبل بِدَرِّه عليك . اهـ. أمَا خَرَجْتَ مِن بَطْن أمك مَقْلُوبا لا تَرَى ولا تَعِـي ؟! ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ [النحل:٧٨] أما وَهَبك الله عَينين، لِتَرَى ؟ ومَنَحك أُذُنين، لِتَسْـمَع ؟ وحَبَاك قَلْبًا وَاعِيًا لِتَعِي وتُدْرِك ؟ بلى .. فَبِهَا أدْرَكْت ووعَيت وعَقَلْت وتعَلَّمْت ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [النحل:٧٨]، وهَداك سُـبُل السَّلام وسبيل الرشاد ﴿ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البلد:٨-١٠] ، إن لم تتفكر في نفسك التي بين جنبيك، ولم تَرَ دَقيق صُنع الله فيها فَدُونَك ما هو أعظم من ذلك خَلْق السَّماوات ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ ﴾ [نوح: ١٥]. وجَعَل فيهن ما تقوم به حياتكم

﴿ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ ﴾ [نوح: ١٦]. كيف لا يُوقَّر ولا يُرْجَى له وَقَار .. مَـن لا إله غيره ؟ ولا رب سـواه ؟ فلا خَالِق ولا رَازِق غَـيره ؟ ولا مُدَبِّر للأمْر إلاَّ إياه ؟ إذ لا كاشِف للبلوى إلاّ اللّه .. [ذكره الإمام ابن القيم – رحمه اللّه تعالى – في كتابه النفيس مفتاح دار السعادة]

صـرح أحد المهتدين إلى السـنة بأن سـبب هدايته هـو تدبره لقولـه تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ ﴾ [فاطر: ١٣-١٥]، لكن كيف تأثر بها؟ يقول هذا الأخ المهتدي: فلما تأملت قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ﴾ قلت: يا ناس الإمام علي فقير! والأئمة فقراء! ونحن فقراء إلى اللّه، فلماذا ندعوهم من دون اللّه؟ ومن هنا ابتدأت قصة الهداية للسنة، فلما ذاق طعمها، دعا إليها، فاهتدى على يده قرى شيعية بأكملها، فما أعظم بركات التدبر؟ ﴿ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾.[ص: ٢٩]

وإليك قصيدة رائعة للشاعر إبراهيم علي بديوي (سوداني) عميد معهد الإسكندرية الديني في مصر .

للَّه في الآفـاق آيــات لـعــــل	أقلـهـا هو مـــا إليـــه هداكـــا
ولعل مـا في النفـس مــن آيـاتـه	عـجب عجـاب لو ترى عيناكـــا
والكـون مشحــون بأســرار إذا	حـــاولْتَ تفســيرًا لهـا أعيــاكا
قل للطبيب تخطَّفته يـد الـردى	مـن يا طبيـب بطبِّــه أرْدَاكـــا ؟
قل للمريض نجـا وعُوفِيَ بعـدمـا	عجزت فنون الطــب من عافاكا ؟
قل للصحيح يمـوت لا من علـة	من بالمنـايا يــا صحيـح دهاكـا ؟
قل للبصير وكــان يحــذر حفـرة	فهَوَى بهـا من ذا الـذي أهــواكا ؟
بل سائل الأعمى خَطَا بين الزحام	بلا اصطدام من يقـود خطاكا ؟
قل للجنين يـعيـش معـزولا بـلا	راعٍ ومـرعى مـــا الذي يرعــاكا ؟
قل للوليد بكى وأجهـش بالبكـاء	لدى الولادة ما الــذي أبكـاكـــا ؟
وإذا تـرى الثعبــان ينـفث سمَّــهُ	فاسأله من ذا بالسموم حَشَاكَا ؟
واسأله كيـف تعيش يا ثعبـــان	أو تحيى وهـذا السـمُّ يملأ فَاكَـا ؟
واسأل بطون النَّحل كيف تقاطرت	شــهدًا وقل للشهد من حلاَّكـا ؟
بل سائـل اللبن المُصَفَّـى كـــان	بيــن دم وفرث ما الذي صفَّاكـا ؟
وإذا ترى ابن السودِ أبيضَ ناصعاً	فاسأله مــِنْ أيــن البيـاضُ أتاكا
وإذا ترى ابن البيضِ أسودَ فاحماً	فاسأله مـنْ ذا بالسـواد طـلاكـــا
وإذا رأيـت الحـــي يخـــرج مـــن	حَنَايا ميتٍ فاسأله مـن أحياكا ؟
قل للَّهواء تحثُّــه الأيـدي ويخفـى	عن عيـــون الناس مـن أخفاكـا ؟
قل للنبات يجـــفُّ بعـد تعهُّـــدٍ	ورعـــاية مــن بالجفـاف رَمَاكـا ؟
وإذا رأيـت النَّبــت في الصحـــراء	يربو وحده فاسأله مــن أَرْبَاكَـــا ؟
وإذا رأيـت البــدر يسـري ناشـــرًا	أنــواره فاســأله مــن أسْرَاكـــا ؟
واسأل شعاع الشمس يدنو وهي	أبعـد كل شيء ما الــذي أدنـاكـا ؟

قل للمرير من الثمار من الـذي — المرِّ من دون الثمـار غـذاكـا؟
وإذا رأيت النخل مشقوق النوى — فاسـأله من يـا نـل شقَّ نواكـا؟
وإذا رأيـت النـار شـبَّ لهيبهـا — فـاسـأل لهيب النـار من أوراكـا؟
وإذا ترى الجبل الأشَـمَّ مناطحـًا — مَمَ السَّحاب فسَلْه من أرساكا؟
وإذا تـرى صخرًا تفجـر بالميـاه — فسلـه من بالمـاء شقَّ صَفَاكـا؟
وإذا رأيت النهـر بالعذب الزُّلال — جــرى فسَلْه من الذي أجراكـا؟
وإذا رأيت البحر بالملـح الأُجـاج — طغى فسَلْه مـن الـذي أطغاكـا؟
وإذا رأيت الليـل يغشى داجيًـا — فاسأله مـن يا ليل حاك دُجاكـا؟
وإذا رأيت الصُّبح يسفـر ضاحيًا — فاسأله من يا صبح صاغ ضُحَاكا؟
ستجيب ما في الكون مـن آياتـه — عجـب عجـاب لو تـرى عيناكا
هذي عجائب طالما أخذت بهـا — عينــاك وانفتحت بهـا أذناكا!
يا أيها الإنسـان مهلاً مـا الـذي — بـالله جـل جـلاله أغـراكـا؟
ربي لك الحمد العظيـم لـذاتـك — حمـدًا وليـس لـواحد إلاَّكـا
يا مـدرك الأبصـار والأبصـار — لا تـدري لـه ولِكُنْهِـهِ إدراكًـا
إن لم تكـن عيني تـراك فـإنني — في كـل شـيء أستبيـن عُلاكـا
يا أيها الماء المهين من الذي سوَّاك — ومن الذي في ظلمة الأحشاء قد والاكا
ومن الذي غـذاك من نَعْمَـائِه — ومن الكـروب جميعهـا نجَّاكـا؟
ومن الذي شقَّ العيون فأبصرت — ومـن الـذي بالعقل قـد حلاَّكـا؟
ومن الـذي تعصي ويغفـر دائمًـا — ومن الـذي تنسى ولا ينسـاكـا

أَإِلَهٌ معَ اللَّه ؟ أَإِلَهٌ معَ اللَّه ؟

سل الواحة الخضراء والماء جاريا	وهذه الصحاري والجبال الرواسيا
سل الروض مزداناً سل الزهر والندى	سل الليل والإصباح والطير شاديا
وسل هذه الأنسام والأرض والسما	وسل كل شيءٍ تسمع الحمد ساريا
فلو جم هذا الليل وامتد سرمداً	فمن غير ربي يرجع الصبح ثانيا

أَإِلَهٌ معَ اللَّه ؟ أَإِلَهٌ معَ اللَّه ؟
أَإِلَهٌ معَ اللَّه ؟ أَإِلَهٌ معَ اللَّه ؟

فكر في الكون ..

فإن في هذا الكون من حولنا في بره وبحره وجوه، في حدائقه وصحرائه، وفي حره وبرده، وفي عزه وبؤسه فيه من الآيات ما يُوقر القلب تعظيماً للخالق، ويزيد الإيمان، ويشرح الصدور. وإذا تأملت ما دعا اللَّه سبحانه في كتابه عبادَه إلى الفكر فيه ؛ أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى، وبوحدانيته، وصفات كماله ونعوت جلاله ؛ من عموم قدرته، وعلمه، وكمال حكمته، ورحمته وإحسانه، وبره ولطفه، وعدله ورضاه وغضبِه، وثوابه وعقابه ؛ فبهذا تعرَّف إلى عباده وندبهم إلى التفكر في آياته . فانظر –أخي المسلم– إلى خلق السماوات والأرض وقد أثنى سبحانه في كتابه على المتفكرين في خلق السموات والأرض، وذم المعرضين عن ذلك فقال : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وتأمل خلقَ هذا السقف الأعظم مع صلابته وشدته ووثاقته، كيف أن اللَّه تعالى خلقه من دخان كما قال تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١] قال اللَّه تعالى عن السماء وشدة خلقها : ﴿ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ ﴾ [النبأ: ١٢]، وقال تعالى: ﴿ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النازعات: ٢٧–٢٨]، وقال: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ ﴾ [الأنبياء: ٣٢] .

فانظر إلى هذا البناء العظيم الشديد الواسع، الذي رفع سَمْكَه أعظمَ ارتفاع، وزيَّنه بأحسنِ زينة، وأودعَه العجائبَ والآياتِ، وكيف ابتدأ خلقه دخان .

ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والشمس والقمر، وهو سبحانه يُقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمُّنِهِ الآياتِ والعجائبَ الدالةَ عليه، وكلما كان أعظم آية، وأبلغ في الدلالة ؛ كان إقسامُه به أكثرَ من غيره ؛ ولهذا يعظم هذا القسم .

لقد تعرف إلى خلقه بأنواع التعرفات، ونصب لهم الدلالات، وأوضح لهم الآيات البينات ؛ ﴿ لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأنفال:٤٢] .

فارجع البصر إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها ودورانها، وطلوعها وغروبها، وشمسها وقمرها، واختلاف مشارقها ومغاربها ودُؤوبها في الحركة على الدوام من غير فتور في حركتها، ولا تغيُّرٍ في سيرها، بل تجري في منازل قد رُتِّبَت لها بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص، إلى أن يطويها فاطرُها وبديعُها . وانظر إلى كثرة كواكبها، واختلاف ألوانها ومقاديرها، فبعضها يميل إلى الحمرة، وبعضها إلى البياض، وبعضها إلى اللون الرصاصي . ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة سنة ثم هي في كل يوم تطلُع وتغرُب بسيرٍ سخَّرها له خالقها لا تتعداه ولا تُقَصِّرُ عنه، ولولا طلوعُها وغروبُها لما عُرف الليل والنهار، ولا المواقيت، ولا طَبَّق الظلامُ على العالم أو الضياء، ولما تميز وقت المعاش من وقت السبات والراحة .

وانظر كيف قدر لها السميع العليم سفرين متباعدين .

أحدَهما : سفرُها صاعدةً إلى أوجها (شمالاً)، والثاني : سفرُها هابطةً إلى حضيضها (جنوباً) تنتقل في منازل هذا السفر منزلةً منزلة حتى تبلغَ غايتها منه ؛ فأحدث ذلك السفرُ بقدرة الرب القادر اختلافَ الفصول من الصيف والشتاء، والخريف والربيع . فإذا انخفض سيرُها عن وسط السماء برَد الهواءُ، وظَهَرَ الشتاءُ، وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظُ، وتزايد الحر، وإذا كانت بين المسافتين اعتدل الزمان.

ولقد قامت مصالح العباد والحيوان والنبات بهذه الفصول الأربعة واختلفت بسببها الأقوات وأحوال النبات وألوانُه ومنافعُ الحيوان والأغذية وغيرها ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان:١١]،

ثم انظر إلى القمر وعجائب آياته كيف يُبديه الله كالخيط الدقيق ثم يتزايد نورُه، ويتكاملُ شيئاً فشيئاً كلَّ ليلة حتى ينتهي إلى إبداره وتمامه، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى ؛ ليظهر من ذلك مواقيتُ العباد في معاشهم وعبادتهم ومناسكهم، فبه تميزت الأشهر والسنين، وقام حساب العالم، مع ما في ذلك من الحكم والآيات والعبر التي لا يحصيها إلا الله.

وبالجملة فما من كوكب من الكواكب إلا وللرب تبارك وتعالى في خلقه حكم كثيرة في مقداره، ثم في شكله ولونه، ثم في موضعه من السماء وقربه من وسطها، وبعده وقربه من الكوكب الذي يليه وبعده منه .

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١٠-١١]

فكر في الأرض التي أكثر تعالى من ذكرها في كتابه، ودعا عباده إلى النظر إليها والتفكر في خلقها فقال تعالى ﴿ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الذاريات: ٤٨] ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر: ٦٤] ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠]، ﴿ إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلۡقِكُمۡ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الجاثية: ٣-٤] .

وهذا كثير في القرآن فانظر إليها وهي ميتة هامدة خاشعة، ﴿ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ ﴾ فتحركت ﴿ وَرَبَتۡ ﴾ فارتفعت واخضرت ﴿ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ﴾ [الحج: ٥] فأخرجت عجائب النبات في المنظر والمخبر، بهيجٌ للناظرين، كريمٌ للمتناولين ؛ فأخرجت الأقوات على اختلافها وتباين مقاديرها وأشكالها وألوانها ومنافعها، والفواكه والثمار وأنواع الأدوية، ومراعي الدواب والطير. ثم انظر قطعها المتجاورات وكيف يُنزل عليها ماءً واحداً فتَنبت الأزواجُ المختلفةُ المتباينة في اللون والشكل والرائحة والطعم والمنفعة، واللقاحُ واحد، والأم واحدة، كما قال تعالى :

﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد:٤]، فكيف كانت هذه الأجنة المختلفة مودعة في بطن هذه الأم؟، وكيف كان حملها من لقاح واحد ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل:٨٨]. لا إله إلا هو، ولولا أن هذا من أعظم آياته لما نبه عليه عباده وهداهم إلى التفكير فيه . قال الله تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾ ﴾ [الحج:٥-٧] .

فجعل النظر في هذه الآية وما قبلها من خلق الجنين دليلا على هذه النتائج الخمس مستلزما للعلم بها ثم انظر كيف احكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف نصبها فأحسن نصبها وكيف رفعها وجعلها أصلب أجزاء الأرض لئلا تضمحل على تطاول السنين وترادف الأمطار والرياح، بل أتقن صنعها، وأحكم وضعها وأودعها من المنافع والمعادن والعيون ما أودعها، ثم هدى الناس إلى استخراج تلك المعادن منها وألهمهم كيف يصنعون منها النقود والحلي والزينة واللباس والسلاح وآلة المعاش على اختلافها ولولا هدايته سبحانه لهم إلى ذلك لما كان لهم علم شيء منه ولا قدرة عليه .

ومن آياته الباهرة هذا الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والأرض يدرك بحس اللمس عند هبوبه يدرك جسمه ولا يرى شخصه فهو يجرى بين السماء والأرض والطير مختلفة فيه سابحة بأجنحتها في أمواجه كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هيجانه كما تضطرب أمواج البحر فإذا شاء سبحانه وتعالى حرّكه بحركة الرحمة فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين يدي رحمته ولقاحاً للسحاب يلقحه بحمل الماء كما يلقح الذكر الأنثى بالحمل .

وإن شاء حركه بحركة العذاب فجعله عقيما وأودعه عذابا أليما وجعله نقمة على من يشاء من عباده فيجعله صرصرا ونحسا وعاتيا ومفسداً لما يمر عليه .

ومن آياته السحاب المسخر بين السماء والأرض كيف ينشئه سبحانه بالرياح فتثيره كسفا، ثم يؤلف بينه ويضم بعضه إلى بعض ثم تلقحه الريح وهي التي سماها سبحانه لواقح، ثم يسوقه على متونها إلى الأرض المحتاجة إليه، فإذا علاها واستوى عليها اهراق ماءُه عليها فيرسل سبحانه عليه الريح وهو في الجو فتذروه وتفرقه لئلا يؤذي ويهدم ما ينزل عليه بجملته، حتى إذا رويت وأخذت حاجتها منه انقلع عنها وفارقها، فهي روايا الأرض محمولةٌ على ظهور الرياح كما ورد في بعض الأحاديث . فالسحاب حامل رزق العباد وغيرهم التي عليها مسيرتهم وكان الحسن إذا رأى السحاب قال في هذا والله رزقكم ولكنكم تحرموه بخطاياكم وذنوبكم.

فكر في البحر..

إذا تأملت عجائب البحر وما فيه من الحيوانات، على اختلاف أجناسها وأشكالها ومقاديرها ومنافعها ومضارها وألوانها، حتى إن فيها حيواناً أمثال الجبال لا يقوم له شيء، وحتى إن فيه من الحيوانات ما يرى ظهورها فيظن أنها جزيرة، فينزل الركاب عليها فتحس بالنار إذا أوقدت فتتحرك فيعلم أنه حيوان، وما من صنف من أصناف حيوان البر إلا وفي البحر أمثاله حتى الإنسان والفرس والبعير وأصنافها، وفيه أجناس لا يعهد لها نظير في البر أصلا، هذا مع ما فيه من الجواهر واللؤلؤ والمرجان، فترى اللؤلؤة كيف أودعت في كن كالبيت لها، وهي الصدفة تكنها وتحفظها، ومنه اللؤلؤ المكنون وهو الذي في صدفه لم تمسه الأيدي، وتأمل كيف نبت المرجان في قعره في الصخرة الصماء تحت الماء على هيئة الشجر، هذا مع ما فيه من العنبر وأصناف النفائس أهـ أنظر مفتاح دار السعادة .

من تأمل سعةَ الكون وإعجازه الباهر، ومن نظر إلى الأرض وما عليها من المخلوقات الكبيرة كالفيلة والإبل التي هي من أكبر المخلوقات التي تدب على الأرض، ورغم حجمها الكبير وقوتها فإنها تصبح عاجزة لو قطعت إحدى قوائمها أو فقدت حاسة من حواسها كالبصر أو السمع، وهذا برهان على أن الذي خلقها أكمل لها خلقها، وأتم لها ما تحتاج إليه، ومن تأمل في صغار المخلوقات، مثلاً الذرة التي هي من أصغر المخلوقات والبعوضة التي هي من أصغر المخلوقات التي يدركها الحس جعل الله لها أعضاء تناسبها، لا يدركها إحساس الإنسان إلا بمجهرٍ يكبرها، هذه المخلوقات الصغيرة جعل الله تعالى لها

أعضاءً كاملة؛ فجعل لها خراطيم تأكل بها، وجعل لها أيضاً أعضاء داخلية تصّرف بها الغذاء، ولنتأمل غذاء الذرَّة الذي تتقوت به، من الذي يتصوره؟ وكذلك غذاء البعوضة التي تمتص الدم فيبقى متحجراً في بطنها كيف يتصرف؟ وكيف يمشي في عروقها وفي أمعائها؟ لا شك أن الذي خلقها وكوَّنها وأعطاها ما تكمل به حاجتها هو الله الخالق الذي أحسن كل شيء خلقه.

فكر في الكون تجدُ أمامَك نافذة واسعةً سعةَ الكون كلِّه، إعجازٌ باهر وآيات كريمة، قد كتِبت بحروفٍ كبيرة واضحة على صفحاتِ الكون كله ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ ﴾ [الزمر: ٦٢-٦٣].

روى البخاري رحمه اللَّه في بدء الخلق عن أبي ذر رضي اللَّه عنه قال: قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس (أتدري أين تذهب ؟) قلت الله ورسوله أعلم قال : (فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قال تعالى ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [يس:٣٨]

انظر إلى الشّمس والقمَر يدوران، والليلِ والنهار يتقلّبان بل انظُر إلى تكوين نفسِك وتركيبِ جسمك، من ذا الذي جعله بهذا التركيب وهذا النظام العجيب، ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١].

سبحان من خلق وشكل وكون ورتب وربط وجعل كل قطعة في مكانها بالشكل المناسب وبالحجم المناسب وخلق المفاصل والفقرات وفصل ما بينها بالغضاريف رحمة منه قال تعالى ﴿ هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿١١﴾ ﴾ [لقمان: ١١]، فسبحان الخالق العظيم فكِّر في النبات والشجر والفاكهة والثمر، وفي البَحر والنّهر. إذا طاف عقلك في الكائنات، ونظرك في الأرض والسموات، رأيتَ على صفحاتها قدرةَ اللَّه عز وجل وامتلأ قلبك بالإيمان باللَّه عز وجل، وانطلقَ لسانك بـ"لا إله إلا اللَّه"، وخضعت مشاعرُك لسلطانِ اللَّه. فعندما تتأمل حجمك وقوتك وحيلتك وحضارتك مقارنة بخلق الخالق فهل يبقى في قلبك خوف من أحد سواه؟

قال معروف الرصافي : في وصفه عظمة الله

انظـرْ لتلـــك الشجــرة	ذاتَ الغُصُـــون النظـــره
كيــف نَمَــتْ من حبّـــة	وكيف صــارتْ شجـــره
فابحـثْ وقُلْ من ذا الــذي	يُخــرجُ منهــا الثّمـــره
وانظر إلى الشمـس الــتي	جَــذوتهـــا مُسْتَعِـــرَه
فيهـــا ضيـــاءٌ وبِهـــا	حـــرارةٌ منْتشِـــره
من ذا الـــذي أوجدهـــا	في الجـوّ مثْـل الشَّـــرَره
ذاك هــــو اللّه الـــــذي	أنْعمُـــــهُ مُنهمِــــره
ذو حِكمـــــة بالِغَـــــة	وقُـــــدرة مُقْتـــــدِرَه
انظـرْ إلـى الليـل فَمَــنْ	أوجَـــدَ فيــهِ قَمَـــرَه
وزانَـــــهُ بأنجُـــــم	كـالـــدُّررِ المُنْتشِـــرَه
وانظـر إلى الغيْــمِ فَمـن	أنـــزَلَ منـــه مَطَـــرَه
فصُيّــر الأرض بــــهِ	بعْـــدَ اغْــبِرار خــره
وانظــرْ إلى المــرءِ وقُـــلْ	مـن شــقَّ فيـــهِ بَصَـرَه
مَـــن ذا الــــذي جهّـــزهُ	بقــــوّة مفتـكـــــره
ذاك هــــو اللّه الــــذي	أنعُمُــــهُ مُنْهمِـــــرَه

فكر في الجمل ..

وهـذا مخلـوق من خلق اللّه لفت اللّه الأنظار إلى التفكر في شـأنه فقال سـبحانه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ [الغاشية:١٧] هـذا الجمل ركبه اللّه تركيباً عجيباً ؛ فجعل في عينيه في الجفن الأعلى وفي الجفن الأسفل من الشعر الكثيف ما يمنع وصول الرمال إلى عينيه وجعل اللّه عز وجل في أذنه شعراً كثيفاً يمنع دخول الرمال إلى داخل الأذن كما جعل له اللّه عز وجل شفة مشقوقة وذلك أن الجمل حينما يسير في وقت الحر وفي وقت الريح فإنه يسـتطيع أن يسُـدَّ أنفَه بهذه الشـفة المشـقوقة فهو يتفادى بذلـك دخول الأتربة الـتي تثيرها الريـح بأنفه ويتفادى أيضا بذلك أيضاً ما قد يسـببه

دخول الريح إلى جوفه من تنشيف الرطوبة وإحداث اليُبس والعطش له.

وجعل اللّه عز وجل لهذا الجمل سناماً وجعل لبعض الجمال سنامين فهذا السنام يكون كالمخزن للغذاء فيجتمع فيه الدهنُ والشحمُ فيستطيع الجملُ أن يبقى مدةً طويلة لا يأكل ولا يشرب يستطيع الجمل أن يستمر خمسة عشر يوماً لا يشرب .

وأيضا فقد جعل اللّه عز وجل لهذا الجمل قوائمَ طويلة بحيث إنه يستطيع أن يسرع وأن يقطع المسافات، وجعل ذلك متناسباً مع جسمه فهو مع ضخامته إلا أنه يتحرك بكل خفة ومعلوم أن الرِّجل إذا طالت كان ذلك أسرع في المشي ولذلك فأنت ترى أن الطفل الصغير يسبقه الكبير إذا مشيا بنفس السرعة لتفاوت ما بينهما في الطول وذلك لأن القوائم الطويلة تقطع من المسافة في الخطوة الواحدة أكثر مما تقطعه القوائم القصيرة فجعل اللّه عز وجل قوائم هذا الجمل طويلة وجعل في أسفلها هذا الخف الذي هو ليِّن الملمس من أسفله وذلك في هيئة مفلطحة عريضة بحيث أنه يستطيع أن يطأ على الرمال دون أن يغوص فيها مع ضخامة بدنه ومع ثقل وزنه.

فلماذا ركّبه اللّه عز وجل هذا التركيب وصنعه بهذه الطريقة العجيبة البديعة كل ذلك عن علم وحكمة فتبارك اللّه أحسن الخالقين.

وأما إذا نظرنا في الأحوال الداخلية في هذا الجمل فإننا نجد عجباً قد حير العلماء ففي جسم الجمل تركيبات لم يصل العلماء إلى سرها حتى الآن لكنهم عرفوا بعض عملها وبعض أثرها وهذه التركيبات تعمل على خفض درجة حرارة الجمل فكلما اشتدت الحرارة وارتفعت بـرُد داخل الجمل فلا هو يعرق ولا يبول فيفقدَ الماء كما أن الجمل يتجنب فقدان الماء عن طريق التنفس وذلك بالمحافظة على كمية بخار الماء الموجود بهواء الزفير بما خلق اللّه له من الأغشية المخاطية الأنفية والمتصفة بقابليتها لامتصاص الماء الذي يكون في هذا الهواء الخارج من جوف الجمل في عملية التنفس فهو لا يخسر شيئا من السوائل البتة حيث إن هذا الهواء حينما يخرج من جوفه فإن اللّه عز وجل قد ركب في هذا الجمل أشياء تمتص الرطوبة التي تكون في هذا الهواء فهو لا يتعب مع التنفس ولا يعطش في عملية التنفس الطبيعية.

ويســتطيع الجمل أن يفقد قريباً من ثلث الســوائل التي في جســده أو يستطيع أن يفقد من الســوائل مقدار ثلث الوزن الذي يزنه هذا الجمل ومن يســتطيع ذلك ســوى الجمل فإذا كان وزن الجمل مثلا ثلاثمائة كيلو فإنه يستطيع أن يفقد من السوائل ما مقدار مائة كيلوا من غير أن يتضرر ويســتطيع أن يعوض هذه الســوائل في مدة عشــر دقائق فهو يســتطيع أن يشــرب في هــذه المدة مائــة لتر من المــاء ثم هو أيضــا يحتاج إلى ساعتين لتصل هذه السوائل إلى جميع أجزاء الجسد وخلاياه.

وأما هذا الوبر الذي يتوهم الإنســان لأول وهلة أنه لربما كان سببا لعنائه في وقت الحر وأنه ســبب لتكالب الحرارة على جسم الجمل وبالتالي زيادة العرق فإن ذلك على خلافــ ما نتوهمه فهذا الوبر له دور كبير في الموازنة بين حرارة الجوِّ وبين حرارة الجسد فهو يجعل جســد الجمل على حد من الحرارة لا يحتاج معه إلى فقد مزيد من السوائل عبر الغدد العرقية الموجودة على سطح جلده وكلما ازدادت كثافة الوبر على جسم الجمل كانت عملية العزل أكبر وأعلى.

أما كيف يحول الجمل الغذاء المدخر إلى دهون ثم يرفعها من أمعائه إلى سنامه ليكون مخزنا له فهذا شيء حير العلماء ولا يعرفون له جوابا إلى هذه الساعة!

فوجود هذا الخلق العظيم المحيط بنا من كل ناحية دليل أكيد على قدرة الله تبارك وتعالى وعلى عظمته وعلى كماله والإنسان في كثير من الأحيان يبقى عاجزا منكسرا أمام هذا الخلق فيبهره ولا يســتطيع أن يتعرف على كثير مما يحيط به فضلا على أن يصل إلى الإحاطة به من كل جانب أو إلى الإحاطة في المخلوقات البعيدة عنه التي لا يشاهدها.

أهـ [الكتاب : شرح أسماء الله الحسنى - الشيخ خالد السبت]

النحل ذلك المخلوق العجيب ..

هــل تأملت النحل وأحوالــه وأعماله وما فيها من العبر والآيات الباهرات، ألم ترى أقراص شمعها السداسية في دقتها الحسابية وإتقان بنائها وإحكام صنعها، الذي أدهش وما زال يدهش علماء النحل والحساب، ماهي آلات الحساب والمقاييس التي سمحت لهذا المخلوق بالوصول إلى هذا العمل الهندسي الدقيق، هل هذا بواسطة قرنين استشعار

والفكين الذين يدعي علماء الأحياء أن الطبيعة زودتها بهما، سبحان الله، وتبارك الله، عجيب وغريب منطق هؤلاء، يتسترون وراء كلمات جوفاء كالطبيعة والتطور والصدفة، كلما وقفوا أمام بديع صنع الله وإعجازه في الخلق فأنى يؤفكون ، {وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا} ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا ﴾ [النمل: ١٤]

يقول القحطاني :

أفتستر الشمس المضيئة بالسها	أم هل يقاس البحر بالخلجان

سبحان الله، لله في كل شيءٍ آية، وتعمى عنها عيون أو تتعامى .

فقل للعيون الرمد إياكي أن تري	سنا الشمس واستغشي ظلام اللياليا
خفافيش أغشاها النهار بضوئه	ولائمها قِطْعٌ من الليل باديا
فجالت وصالت فيه حتى إذا	النهار بدا استخفت وأعطت تواريا
فيا محنة الحسناء تُهْدى	إلى امرئٍ ضريرٍ وعِنِّين من الورد خاليا

النحل مأمور بالأكل من كل الثمرات خلافاً لكثير من الحشرات التي تعيش على نوع معين من الغذاء، وتعجب أنها لا تأكل من التبغ فلا تأكل إلا الطيبات فهل يعتبر بذلك أهل الغفلات، زودها الله بقرنين استشعار وجعل فيهم شعيرات عصبية دقيقة يصل عددها إلى ثلاثين ألفاً تشكل حاسة الشم والسمع واللمس، وتعمل كالكشاف في ظلام الخلية، فسبحان من وهبها ذاك وبه زودها، للنحلة عيون كثيرة، في حافتي الرأس عينان، وعينان أخريان في أعلى الرأس وتحتهما عين ثالثة، مما جعل لها سعة أفق في النظر، فالنحلة ترى أقصى اليمين وأقصى الشمال والبعيد والقريب في وقت واحد، علماً بأن عيونها لا تتحرك، ولذا فالنحل يعيش في أماكن يعيش فيها السحاب معظم شهور السنة مع أن رؤية الشمس كما هو معلوم ضرورية لمعرفة مكان الحقول التي فيها غذاء النحل، وهنا تكمن الحكمة في قوة رؤية النحل، فبإمكانها رؤية الشمس من خلال السحب، كل ذلك لئلا يموت جوعاً في حالة اختفاء الشمس خلف الغمام، كما هو في بعض البلدان، إنها لحقيقة مذهلة، تدل على حكمة الله، وقدرة الله، ووحدانية الله، وكمال تدبيره فتبارك الله أحسن الخالقين، أما فم النحلة فمن أعاجيب خلق الله

في خلقه، إذ هو مزود بما يمكنه من أداء جميع الوظائف الحيوية فهو يقضم ويلحس، ويمضغ ويمتص، وهو مع هذا شديد الحساسية لما هو حلو الطعم طبيعياً، ولا يتحرج من المواد المرة، إذ يحولها إلى حلوة بإذن ربه الذي ألهمه فسبحانه وبحمده لا شريك له، أما سمع النحل فدقيق جداً، يتأثر بأصوات وذبذبات لا تستطيع أن تنقلها أذن الإنسان، فسبحان من زوده بها، وتحمل مع ذلك النحلة ضعفي وزنها، وبسرعة أربعمائة خفقة جناح في الثانية الواحدة، فسبحان الله، سبحان من خلق فسوى وقدر فهدى، عُبِدَ وَوُحِّدَ وصُلِّيَ له وسُجِدَ له، هناك من النحل مرشدات، عندما تجد مصدراً للغذاء تفرز عليه مادة ترشد إليه بقية الجانيات للرحيق، وعندما ينضب وينتهي الرحيق تفرز عليه المرشدات مواد منفرة منه، حتى لا يضيع الوقت في البحث فيه، ثم تنتقل إلى مصدر آخر، من علمها وأرشدها؟ إنه الله، ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها فلا إله إلا هو، تستطيع العاملة خارج الخلية الرجوع إلى خليتها والتعرف عليها من بين عشرات الخلايا، بلا عناء ولا تعب، ولو ابتعدت عنها آلاف الأميال، ولذا يقول أحد علماء الأحياء الكفار، وقد رصد النحل بمناظيره فترة طويلة، يقول: يا عجباً لها تنطلق آلاف الأميال من شجرة إلى ثمرة إلى زهرة، ثم تعود ولا تخطئ طريقها، ربما أن لها ذبذبات مع الخلية، أو أنها تحمل لاسلكياً يربطها بالخلية، ربما، ربما، ثم يقف حائراً بليداً تائهاً، أما نحن فلا، إنا نوقن أن الله ألهمها ذلك، وأوحى إليها، وعندنا سورة في كتاب الله تسمى سورة النحل، ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النحل:٦٨-٦٩]، تأمل قدرة الله بخلقه يوم جعل من النحل حراساً للخلية يستطيعون أن يميزوا كل غريب ودخيل عليهم من النحل، فيطرحوه خارجاً أو يقتلوه، علماً أن تعداد الخلية يصل إلى ثمانين ألف نحلة أو أكثر فسبحان من ألهمه، سبحان من ألهمه معرفة صاحبه من غيره، سبحان ربك رب العزِّ مِنْ مَلِكٍ، من اهتدى بهدى رب العباد هُدِي، الكل في النحل يعمل في الخلية لأجل الكل، لا حياة لفرد عند النحل بدون جماعة، ولذلك أذهل ذلك علماء النحل ﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [النمل:٨٨]، النمل والنحل من ألطف الحيوان وأنقاه وأنظفه، ولذلك لا تلقي مخلفاتها في خليتها، بل تطير ثم تلقيها بعيداً عنها، وتأبى النتن والروائح الكريهة، تأبى

القذارة، ولذلك إذا رجعت إلى الخلية بالعشية، وقف على باب الخلية بواب منها، ومعه أعوان كثر، وكل نحلة تريد الدخول يشـمها البواب ويتفقدها فإن وجد فيها رائحة منكرة، أو رأى بها قَذَراً منعها من الدخول وعزلها إلى أن يدخل النحل كله، ثم يرجع إلى الممنوعات المعزولات فيتبـين ويتثبت، ويتفقدها مرة أخرى، فمـن وجدها وقعت على شيء نجس أو منـتن، قدها وقطعها نصفين ومن كانت جنايتها خفيفـة، بها رائحة وليس عليها قَذَر، تركها خارج الخلية حتى يزول ما بها ثم يسمح لها بالدخول، وهذا دأب وطريقة البواب كل يوم في كل عشية، فتبارك الذي هداها أن تسلك سبل مراعيها، لا تضل عنها تسيح سـهلاً وجبلاً خماصاً، فتأكل من على رؤوس الأشـجار والأزهار، فتجني أطيب ما فيها ثم تعود إلى بيوتها بطاناً، فتصب فيها شـراباً مختلفاً ألوانه فيه شـفاء للناس إن في ذلك لآية، أما ملكتها أو ملكها فلا يكثر الخروج، بل لا يخرج إلا نادراً، إذا اشتهى التنزه خرج بحاشيته وخدمه ليطوف المروج والبساتين والرياض سـاعة بالنهار ثم يعود إلى خليته، ومن عجيب أمره أنه إذا لحقه أذى من صاحب الخلية غضب وغضبه يعرفه أصحاب النحـل، ثم يخرج من الخلية، فيتبعـه جميع النحل حتى تبقى الخلية خالية، يذهب حتى يحط رحاله على رؤوس الشجر المرتفع، ويجتمع عليه النحل كله حتى يصير كالعنقود، عندها يضطر صاحب الخلية إلى الاحتيال عليه لاسترجاعه وطلب مرضاته، فيأخذ عصاً طويلة ويضع عليها حزمة من نبات طيب الرائحة، ويدنيه من هذا الكبير لها، من ملكها على الشجرة فلا يزال يحركه ويسـتجديه ويسـتعطفه إلى أن يرضى، فينزل على حزمة النبات الطيب الرائحة، فيحمله صاحب الخلية إلى الخليـة، فينزل ويدخلها مع جنوده، ثـم يتبعه جميع النحـل عائداً إلى الخلية، تأمـل نتاجها تجد عجبا، تنطلق إلى البسـاتين، فتأخذ تلك الأجزاء الصافية من على ورق الزهر والورد، فتمصه لتكون مادة العسـل، ثم تكبس الأجزاء المنعقدة على وجه الورقـة وتعقدها على رجلهـا ثم تذهب لتملأ بها المسدسات الفارغة، ثم يقوم يعثوبها على بيته فينفخ فيه، ثم يطوف على تلك البيوت بيتاً بيتاً وينفخ فيها كلها فتدب فيها الحياة بأمر الله بعد حين فتخرج طيوراً صغاراً، نحلاً صغاراً بإذن الله، وتلك آية قلما يتفطن الخلق لها كما قال ابن القيم رحمه الله، كل هذا من ثمرة الوحي الإلهي، تبارك الله وجل الله أعظم ما فاهت به الأفواه، سبحان من ذلت له الأشـراف، أَكْرَمُ مَنْ يُرْجَى ومن يُخَافـ، جعل الله لكل مخلوق قوة وقدرة يدافع بها عن

نفســه، ومن تلك المخلوقات النحل، كيف يدافع عن نفسه وعن نتاجه، يذكر أن ألد أعداء النحل هو الفأر، يهاجم الخلية فيأكل العسل ويلوث أجواء الخلية، فماذا تفعل تلـك النحلة الصغيرة أمام هذا الفأر الذي هو لها كجبل عظيم، إنها تطلق عليه مجموعة من العاملات فتلدغه حتى يموت، كيف تخرجه، إن بقي أفسد العسل، ولوث أجواء الخلية، ولو اجتمع نحل الدنيا كله لإخراجه ما استطاع، فماذا يفعل، جعل الله عز وجل له مادة شمعية يفرزها ويغلف بها ذلك الفأر فلا ينتن ولا يتغير ولو بقي ألف عام، حتى يأتي صاحب الخلية فيخرجه، فسبحان من قدر فهدى وخلق فسوى، إن في ذلك لآية، وكم لله مـن آية مما يبصره العباد وما لا يبصرونه، وتفنى الأعمار دون الإحاطة بجميع تفاصيلها، ولكن أكثر الناس لا يفقهون، أإله مع الله قليلاً ما تشكرون.

أحبـتي في الله: إن فيما أودع الله في مخلوقاته ما يسـتنطق الأفواه بالتسـبيح، ويملأ القلوب إجلالاً من معرفة حكمته وقدرته، وما به يعلم العاقل أنه لم يخلق عبثاً ولم يترك سُـدى، فللّه في كل مخلوق حكمة باهرة، وآية ظاهرة وبرهان قاطع يدل على أنه المنفرد بكل كمال، وأنه على كل شيء قدير وبكل شيء عليم، قد خلق الخلق ليعبدوه.

[دعوة للتأمل للشيخ علي عبد الخالق القرني]

نماذج من قدرة الله وقوته وجبروته وعظمته ..

تأمـل قدرة الله في هـذه الآيـة : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقـان:٥٣]، يقول العلامة الشـنقيطي : « حدثني من أثق به أنه أتى نهاية نهر السنغال الذي يصب في المحيط الأطلسي، وأنه جلس يغترف بيده من النهر عذباً فراتاً، وبيده الأخرى من البحر ملحاً أجاجاً، فما أعظم الله وأجل قدرته!

يقول عزّ وجلّ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص: ٧١-٧٢].

مـاذا نفعَـل لو لم تطلعِ الشـمس؟! ماذا نفعل إذا غابَ القمَر ولم يظهر؟! كيفَ نعيش؟! كيف نزرع؟! كيف نأكل؟! بل كيف نتعلّم ونعلِّم غيرَنا؟!

هل فهمت رسالة الخسوف ؟ يقول ربك جل جلاله : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩] فهل أدركنا هذه الرسالة المرئية التي يخوف الله بها عباده- الذين هم أنا وأنت - ؟بالله تأمل ! ما حال الناس لو خوفهم ملك من ملوك الدنيا- ولله المثل الأعلى - ؟- ليتنا نعقل هذه الرسالة من ربنا لعلها تحدث في قلوبنا خوفا ووجلا وتوبة صادقة، والنبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى خسوف الشمس في السماء أو كسوف القمر فزع إلى الصلاة رجاء رحمة الله ومغفرته وهربا من أليم عذابه وعقابه .

البرق اللامع والرعد المدوي، والسحاب الكثيف آيات باهرة ومشاهد كونية معروفة تدل على توحيد وعظمة من أنشأها من العدم قال جل شأنه ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد: ١٢-١٣]، لو تأملنا في هذه الآية الكريمة ونظرنا إلى أبعادها لرأينا أن الرعد والبرق مخلوقان خلقهما الله تعالى ولم يكلفهما بما كلفنا به من الأوامر والنواهي وأودع فيهما الخوف منه ومن خوفهما أنهما يسبحان بحمده خوفا منه سبحانه وتعالى وها نحن نخاف منهما عند حدوثهم.

فهل فكرنا في الخوف ممن خافا هما منه هذان المخلوقان دون ذنب اقترفاه أو واجب ضيعاه أو محذور ارتكباه ؟؟ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [النور: ٤٣] .

وعن ابن عباس رضي الله عنه (الرعد ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله [رواه الترمذي وحسنه الألباني صحيح الجامع (٣٥٥٣)] عن ابن عباس أيضا قال: أقبلت يهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: يا أبا القاسم أخبرنا عن الرعد، ما هو ؟ قال : ملك من الملائكة موكل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله . فقالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال : زجره بالسحاب إذا زجره حتى ينتهي إلى حيث أمر . قالوا : صدقت [الحديث رواه الترمذي وصححه الألباني - السلسلة الصحيحة للألباني: ١٨٧٢].

وروى ابن ماجه عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (يكون في آخر الزمان الخسف والقذف والمسخ) [صحيح الجامع] .

روى الترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف، قالت : قلت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا ظهر الخبث) .

عظمة عالم الملائكة ..

أما عظمة عالم الملائكة، فيا الله أي عظمة تلك في ملائكته، وأي خلقة تلك خلقتهم، جاء في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام» [أبو داود(صحيح الجامع ٨٥٤)] يا الله هذا ملك من ملائكته عبد من عبيده فكيف بمالك الملائكة؟ وجبريل عليه السلام له ستمائة جناح تسد ما بين المشرق والمغرب سلطه الله على قوم لوط عليه السلام فأدخل طرف جناحه تحت قراهم ورفعها في الهواء إلى عنان السماء حتى سمعت الملائكة نباح الكلاب وصياح الديكة ونهيق الحمير وصراخهم وأناتهم ثم قلب سافلها عاليها ليخسف بها الأرض ثم تبعها حجارة معلمة موسومة من سجيل السماء وما هي من الظالمين ببعيد أخي الموحد . من أنا وأنت عند عظمة الله جل جلاله . لا إله إلا الله، أعيد وأكرر وأقول : هذا جبريل عليه السلام الذي يقول النبي صلى الله عليه وسلم عنه: (رأيت جبريل ماداً جناحه قد سد الأفق إلى السماء)، ويقول: (إن لجبريل ستمائة جناح) [البخاري]. مخلوق عظيم ومع ذلك انظر ماذا يكون عند عظمة الله سبحانه وتعالى يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لما كان ليلة أسري بي رأيت جبريل كالشن البالي من خشية الله تعالى)، وهذا إسرافيل عليه السلام لم يضحك منذ خلقت النار، لأنه عرف عظمة الله، وعاين العذاب ورأى النار يحطم بعضها بعضاً ويأكل بعضها بعضاً وجاء في الحديث: "خلق الله الملائكة أصنافاً وإن منهم لملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، والسماوات السبع ملأى بهم فقد جاء عن أبي ذر – رضي الله

عنه – أنه قال: قال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم –: (إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء، وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً للّه) [رواه الترمذي برقم ٢٢٣٤ وابن ماجه برقم ٤١٨ وحسنه الألباني في صحيح وضعيف الجامع الصغير برقم ٤٢١٤].

وقد أخبر النبي – صلى اللَّه عليه وسلم – أن ما في السموات السبع موضع قدمٍ ولا شبرٍ ولا فترٍ إلا وفيه ملكٌ قائمٌ أو ملكٌ راكعٌ أو ملكٌ ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك إلا أننا لا نشرك بك شيئاً.. فعن جابر قال: قال رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم -: « ما في السماوات السبع موضع قدم، ولا شبر، ولا كف إلا وفيه ملك قائم، وملك راكع، أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئا» [رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عروة بن: مروان. قال الدار قطني ليس بقوي في الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح].

سبحانك ما أعظمك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، إنهم ملائكة عرفوا اللَّه فعظموه فكانوا كما مر بك، لا يعصون اللَّه ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون. فهلا عظمنا الله العظيم جل جلاله في قلوبنا حق العظمة.

قال الإمام الذهبي رحمه اللَّه في كتابه العلو: اعلم أن اللَّه عز وجل قد أخبرنا وهو أصدق القائلين بأن عرش بلقيس عرش عظيم فقال ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النمل:٢٣]، ثم ختم الآية بقوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل:٢٦]. فكان عرشها عظيما بالنسبة إليها وما نحيط الآن علما بتفاصيل عرشها ولا بمقداره ولا بماهيته وقد أتى به بعض رعية سليمان عليه السلام إلى بين يديه قبل ارتداد طرفه فسبحان اللَّه العظيم فما ينكر كرامات الأولياء إلا جاهل فهل فوق هذه كرامة فيقال إنه دعا باسم اللَّه الأعظم فحضر في لمح البصر من اليمن إلى الشام فما ثم إلا محض الإيمان والتصديق ولا مجال للعقل في ذلك بل آمنا وصدقنا. فهذا في شيء صغير صنعه الآدميون وجلبه في هذه المسافة البعيدة بشر بإذن اللَّه تعالى فما الظن بما أعد اللَّه تعالى من السرر والقصور في الجنة لعباده الذي كل سرير منها طوله وعرضه مسيرة شهر أو أكثر وهو من درة بيضاء أو من ياقوتة حمراء الذي كل باع منها خير من ملك

الدنيا فتبارك الله أحسن الخالقين آمنا بالغيب والله وجزمنا بخبر الصادق ففي الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فما الظن بالعرش العظيم الذي اتخذه العلي العظيم لنفسه في ارتفاعه وسعته وقوائمه وماهيته وحملته والكروبيين الحافين من حوله وحسنه ورونقه وقيمته فقد ورد أنه من ياقوتة حمراء ولعل مساحته مسيرة خمسمائة ألف عام لا إله إلا الله الحليم الكريم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم الحمد لله رب العالمين .سبحان الله وبحمده عدد خلقه وزنة عرشه ورضاء نفسه ومداد كلماته ضاعت الأفكار وطاشت العقول وكلت الألسنة عن العبارة عن بعض المخلوقات فالله أعلى وأعظم آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون . تبا لذوي العقول الخائضة والقلوب المعطلة والنفوس الجاحدة فما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون اللَّهم بحقك عليك وباسمك الأعظم وكلماتك التامة ثبت الإيمان في قلوبنا واجعلنا هداة مهتدين نعم ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في فلاة وما الكرسي في العرش العظيم إلا كحلقة في فلاة اسمع وتعقل ما يقال إليك وتدبر ما يلقى إليك والجأ إلى الإيمان بالغيب فليس الخبر كالمعاينة قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ﴾ غافر: ٧، وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنۡ حَوۡلِ ٱلۡعَرۡشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡۖ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَقِيلَ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر:٧٥]، وقال تعالى : {وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَة} ﴿ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة:١٧]، وقال تعالى : {رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ} ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ ﴾ [غافر:١٥]

وإليك أيضا نماذج من قدرة الله وقوته وعظمته :

مما أجراه الله لأنبيائه عليهم السلام : أخرج سبحانه وتعالى من الصخرة ناقة لقوم صالح لما طلبوا وأخر سبحانه وتعالى الشمس عن الغروب إجابة من الله ليوشع بن نون وأنزل مائدة من السماء عليها طعام لما طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام وجعل الله النار بردا وسلاما على إبراهيم وجعل الله لموسى العصا إذا ألقاها تنقلب حية تسعى فإذا أخذها عادت سيرتها الأولى ولما ضرب الحجر بالعصا انفجر منه اثنتا عشرة عينا

وضرب البحر بعصاه فانفلق فكان اثني عشر طريقا في البحر يبسا وجعل اللَّه نبيه عيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذنه وينفخ في الطير المصنوع من الطين فيكون طيرا بإذن اللَّه ومن المعجزات التي أجراها اللَّه لنبيه محمد ﷺ شق القمر شقين للنبي ﷺ لما سأله أهل مكة أن يريهم آية والجذع صار يبكي ويخور ويصيح لما ترك النبي ﷺ الخطبة عليه حن واشتاق للنبي ﷺ فلما ضمه إليه سكت كما يسكت الصبي وكيف أنبع اللَّه الماء من أصابع النبي ﷺ وصار يفور كأمثال العيون وكيف أنطق اللَّه الحجر بالسلام على النبي ﷺ وكذا الشجرة لما ناداها النبي ﷺ جاءت تسعى وتشق الأرض شقا فشهدت للنبي ﷺ بالرسالة وأمرها النبي ﷺ أن تعود فعادت إلى مكانها وكيف أنطق اللَّه فخذ الشاة المشوية التي سمتها اليهودية أنها مسمومة إعلاما للنبي ﷺ حتى لا يأكلها ولما سقطت عين قتادة -رضي الله عنه- على وجنته فردها رسول الله ﷺ فعادت أحسن عينيه وأحدهما وصحابي آخر لما شكا عينيه فبصق النبي ﷺ فيهما فشفيتا وكيف عرج اللَّه بنبيه ﷺ إلى السماوات السبع ورأى الأنبياء والملائكة ثم إلى سدرة المنتهى وظهر لمستوى لم يبلغه أحد سمع فيه صرير الأقلام ثم رأى الجنة كل ذلك في أقل من ليلة .

ومن مظاهر قدرة اللَّه ما ورد عن أبي هريرة - رضي اللَّه عنه - أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهوديُّ من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم. يا عبد اللَّه هذا يهوديٌّ خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود» [رواه مسلم (٥٢,٣)].

تلبية الحجر والشجر والمدر مع المحرم بالحج أو العمرة:

عن سهل بن سعد - رضي اللَّه عنه - أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «ما من ملَبٍّ يُلَبِّي إلا لبَّى ما عن يمينه وشماله من حجر أو شجر أو مدر حتى تنقطع الأرض من ههنا وههنا عن يمينه وشماله» [رواه الترمذي وابن ماجه والبيهقي وابن خزيمة في «صحيحه»، ورواه الحاكم وقال: «صحيح على شرطهما»].

الأسماع والأبصار والجلود تشهد للّه على أصحابها: وفي يوم القيامة يسلب اللَّه سبحانه تسخيره الأجساد لأصحابها فتطيع إلهها وتنطق الأسماع والأبصار والجلود وتشهد للّه تعالى على أصحابها.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [فصلت:١٩-٢١].

ومنها ما ذكره عبد العزيز الجليل في كتابه القيم الفريد في موضوعه والذي يجدر الرجوع إليه الموسوم بـ [أفلا تتفكرون]

وقال فيما نحن بصدده - باختصار -: وأسوق فيما يلي ما وقفت عليه في كتاب الله عز وجل من بعض الآيات البينات، والمعجزات الباهرات التي أظهرها الله عز وجل لعباده لتدلهم على عظمة الله سبحانه، وقدرته على كل شيء، وقهره لكل شيء، ولتدل في بعضها على صدق أنبيائه، ومحبته سبحانه وتعالى ونصرته لهم لعلها تدفعنا إلى التفكر فيها والتأمل في مدلولاتها مما يكون له الأثر في زيادة الإيمان وصدق اليقين والتوكل عليه سبحانه.

الآية الأولى: إحياؤه سبحانه للموتى:

ورد في القرآن الكريم، وفي أكثر من موطن إخباره سبحانه بإحياء الميتين بعد القطع بموتهم؛ ومن ذلك:

١- قصة المقتول من بني إسرائيل الذي أحياه الله تعالى بضربه بجزء من بقرة مذبوحة حتى أخبر بقاتله:

قال الله تعالى: ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة:٧٣]. والقصة بتمامها في سورة البقرة تبدأ من قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [البقرة:٦٧]. إلى قوله: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم ﴾ [البقرة: ٧٤].

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عبيدة السلماني قال: «كان رجل من بني إسرائيل عقيمًا لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله، ثم احتمله رجلاً فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم، حتى تسلحوا وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي منهم: علام

يقتل بعضكم بعضًا وهذا رسول الله فيكم؟ فأتوا موسى فذكروا ذلك له، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تَذۡبَحُواْ بَقَرَةٗۖ قَالُوٓاْ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوٗاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٦٧﴾ [البقرة:من الآية٦٧]، قال: فلو لم يعترضوا لأجزأت عنهم أدنى بقرة، ولكنهم شددوا فشدد عليهم، حتى انتهوا إلى البقرة التي أُمروا بذبحها، فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها فقال: والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبًا، فذبحوها فضربوه ببعضها فقام، فقالوا: من قتلك؟ فقال: هذا لابن أخيه ثم مال ميتًا، فلم يعط من ماله شيئًا ولم يورث قاتل بعد».

٢- قصة الألوف من بني إسرائيل الذين خرجوا من أوطانهم فرارًا من الموت فأماتهم اللّهم عز وجل ثم أحياهم:

قال الله عز وجل: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٢٤٣﴾ [البقرة:٢٤٣].

أخرج ابن جرير في تفسيره من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [البقرة:٢٤٣] قال: «كانوا أربعة آلاف خرجوا من الطاعون وقالوا: نأتي أرضًا ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا قال لهم الله: موتوا. فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حتى يعبدوه فأحياهم».

٣- قصة الرجل الذي مر على قرية (خربة) فاستبعد أن يحييها الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه:

قال الله عز وجل: ﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٖ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖۖ قَالَ بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجۡعَلَكَ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِۖ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗاۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعۡلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٥٩﴾ [البقرة:٢٥٩].

٤- قصة إحياء اللَّه تبارك وتعالى للطيور الأربعة التي قطعها إبراهيم صلى اللَّه عليه وسلم وفرق أوصالها:

يقول اللَّه عز وجل: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

ثبت في الصحيحين وغيرهما أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: «نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال: رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال: أولم تؤمن؟ قال: بلى ولكن ليطمئن قلبي» الحديث.

ومعناه: أنه لو كان إبراهيم شاكًا، لكنا نحن أحق به ونحن لا نشك فإبراهيم أحرى أن لا يشك؛ فالحديث مبني على نفي الشك عن إبراهيم صلى اللَّه عليه وسلم.

وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده إلى الحسن أنه قال في قوله تعالى: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ ﴾، قال: إن كان إبراهيم لموقنا أن اللَّه يحيي الموتى، ولكن لا يكون الخبر كالعيان. إن اللَّه أمره أن يأخذ أربعة من الطير فيذبحهن وينتفهن، ثم قطعهن أعضاء أعضاء، ثم خلط بينهن جميعًا، ثم جزأهن أربعة أجزاء، ثم جعل على كل جبل منهن جزءًا، ثم تنحى عنهن فجعل يعدو كل عضو إلى صاحبه حتى استوين كما كن قبل أن يذبحهن، ثم أتينه سعيًا، وأخرج البيهقي عن مجاهد في قوله: ﴿ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾. قال: يقول انتف ريشهن ولحومهن ومزقهن تمزيقًا.

٥- قصة إحياء السبعين من قوم موسى صلى اللَّه عليه وسلم بعد موتهم بالصاعقة:

كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦] ولعلهم هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي اللَّه عنه في قوله: ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ قال: علانية.

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس في قوله: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً ﴾ قال: هم السبعون الذين اختارهم موسى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ ﴿ فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ ﴾ قال: ماتوا. ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ فبعثوا من بعد الموت ليستوفوا آجالهم.

٦- إخراج الموتى وإحياء الجمادات وشفاء الأمراض المستعصية على يد عيسى صلى الله عليه وسلم بإذن الله تعالى:

قال الله عز وجل في معرض امتنانه على نبيه عيسى صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ ﴾ [المائدة: ١١٠]

يقول سيد قطب - رحمه الله تعالى - عن هذه الآية: «هذه المعجزات التي لا يقدر عليها بشر إلا بإذن الله؛ فإذا هو يصور من الطين كهيئة الطير بإذن الله - لا ندري كيف لأننا لا ندري إلى اليوم كيف خلق الله الحياة، وكيف يبث الحياة في الأحياء - وإذا هو يبرئ المولود أعمى بإذن الله، حيث لا يعرف الطب كيف يرد إليه البصر ولكن الله الذي يهب البصر أصلاً قادر على أن يفتح عينيه للنور. ويبرئ الأبرص بإذن الله، لا بدواء، والدواء وسيلة لتحقيق إذن الله في الشفاء، وصاحب الإذن قادر على تغيير الوسيلة، وعلى تحقيق الغاية بلا وسيلة. وإذا هو يحيي الموتى بإذن الله، وواهب الحياة أول مرة قادر على رجعها حين يشاء».

الآية الثانية: قصة خلق الله لعيسى صلى الله عليه وسلم من غير أب، وتكلمه بلسان فصيح وهو رضيع في المهد:

قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٧].

ومثله قوله تعالى: ﴿ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ ﴾ [مريم: ٢٩-٣٠].

قـال ابن جرير الطبري في تفسـيره لآيات آل عمران: «يعني بذلك جل ثناؤه: قالت مريم إذ قالت لها الملائكة إن الله يبشـرك بكلمة منه: رب أنى يكون لي ولد؟ من أي وجه يكون لي ولد؟ أمن قبل زوج أتزوجه وبعل أنكحه، أو يبتدئ في خلقه من غير بعل ولا محل ومن غير أن يمسسني بشر؟ فقال الله لها: ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ يعني: هكذا يخلق الله منك ولدًا لك من غير أن يمسك بشر، فيجعله آية للناس وعبرة؛ فإنه يخلق ما يشاء ويصنع ما يريد؛ فيعطي الولد من يشـاء من غير فحل، ومن فحل، ويحرم ذلك من يشاء من النساء وإن كانت ذات بعل؛ لأنه لا يتعذر عليه خلق شيء أراد خلقه، إنما هو أن يأمر إذا أراد شيئًا ما أراد فيقول له: كن، فيكون ما شاء مما شاء وكيف شاء».

وقال عند قوله تعالى: ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾: «ويكلم الناس طفلاً في المهـد دلالة على براءة أمه مما قذفها به المفـترون عليها وحجة له على نبوته، وقال ابن عباس ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ قال: (مضجع الصبي في رضاعه)».

الآية الثالثة: قصة مجيئ الولد من المرأة العجوز العقيم:

قـال الله تعـالى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِىَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِى عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ [آل عمران:٣٨-٤٠] .

ومثل ذلك بشارة الله عز وجل لإبراهيم صلى الله عليه وسلم بمجيء الغلام من زوجه العجوز العقيم.

قال تعالى: ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [هود: ٧١-٧٣] .

وفي آية الذاريات يقول الله عز وجل: ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الذاريات:٢٨-٣٠] .

قال الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: (﴿ وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ أي: أنى لي الولد وأنا عجوز قد بلغت من السن ما لا تلد معه النساء، ومع ذلك فأنا عقيم غير صالح رحمي للولادة أصلاً؛ فثم مانعان كل منهما مانع من الولد، وقد ذكرت المانع الثالث في سورة هود في قولها: ﴿ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ ﴾ [هود:٧٢]. ﴿ قَالُوا كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ﴾ أي: الله الذي قدَّر ذلك وأمضاه فلا عجب في قدرة الله ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴾ أي: الذي وضع الأشياء في مواضعها، وقد وسع كل شيء علمًا فسلموا لحكمه واشكروه على نعمته).

الآية الرابعة: حفظ الله عز وجل لموسى صلى الله عليه وسلم في مهده وهو رضيع في التابوت ثم في البحر ثم في بيت عدوه فرعون:

قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص:٧-١٣] .

الآية الخامسة: عصا موسى صلى الله عليه وسلم وما أودع الله عز وجل فيها من الآيات والمعجزات الخارقة:

لقد جعل الله عز وجل في عصا موسى عليه الصلاة والسلام من الآيات والعجائب والمعجزات ما ذكره وقصه علينا سبحانه في كتابه الكريم تدليلاً على نبوة موسى عليه الصلاة والسلام، وإظهارًا لقدرته سبحانه وعظمته وقهره لكل شيء. ومن هذه الآيات والمعجزات:

١- تحول العصا الجامدة بإذن الله تعالى إلى ثعبان مبين؛ وقد ذكر الله عز وجل هذه المعجزة في أكثر من موطن في القرآن؛ أذكر أهم موطنين في ذلك:

أولهمـا: أمام فرعون عندما واجهه موسى عليه الصلاة والسـلام ودعاه إلى التوحيد؛ قال الله عز وجل: ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٠-٣٣].

ثانيهمـا: في المبـاراة مـع السـحرة؛ حيث يقول الله عـز وجـل: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٤٣-٤٨].

٢- انفلاق البحر لموسى صلى الله عليه وسلم ومن معه بإذن الله تعالى لما ضرب بعصاه البحر؛ يقول الله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

وقد ذكرت هذه المعجزة العظيمة في أكثر من سـورة في القرآن الـكريم؛ منها ما ورد في سـورة البقـرة في معرض امتنانه سـبحانه على بني إسـرائيل بالنعـم العظيمة، ومنها قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [البقرة: ٥٠]، وقوله تعالى في سـورة طـه: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ ﴾ [طه: ٧٧].

وقعت المعجزة وانكشـف بين فرقي الماء طريق، ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم، واقتحم بنو إسرائيل. ووقـف فرعون مع جنوده مبغوتًا مشدوهًا بذلك المشهد الخارق وذلك الحادث العجيب. ولا بد أن يكون قد وقف مبهوتًا فأطال الوقوف وهو يرى موسى وقومه يعبرون الخضم في طريق مكشوف قبل أن يأمر جنوده بالاقتحام وراءهـم في ذلـك الطريـق العجيب. وتـم تدبـير الله فخـرج بنو إسـرائيل من الشـاطئ الآخر بينما كان فرعون وجنوده بـين فرقي الماء أجمعـين وقد قربهم لمصيرهـم المحتوم. ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٦٤-٦٦] ومضت آية في الزمان تتحدث عنها القرون، فهل آمن بها الكثيرون؟

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الشعراء:٦٧] فالآيات الخارقة لا تستتبع الإيمان حتمًا، وإن خضع بها الناس قسرًا. إنما الإيمان هدى في القلوب ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء:٦٨] .

٣- تفجر الحجر الصغير عيونًا من الماء بإذن الله تعالى لما ضربه موسى عليه السلام بعصاه؛ قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [البقرة:٦٠].

وقال عن نفس القصة في سورة الأعراف: ﴿ وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ ﴾ [الأعراف:١٦٠] يقول الرازي في التفسير الكبير عند آية سورة البقرة: «ما الحكمة في جعل الماء اثنتي عشرة عينًا؟ والجواب: أنه كان في قوم موسى كثرة والكثير إذا اشتدت بهم الحاجة إلى الماء ثم وجدوه فإنه يقع الشجار والتنازع، وربما أفضى ذلك إلى الفتن العظيمة، فأكمل الله تعالى هذه النعمة بأن عيَّن لكل سبط منهم ماء معينًا لا يختلط بغيره. والعادة في الرهط الواحد أن لا يقع بينهم من التنازع مثل ما يقع بين المختلفين.

وهذا الانفجار للماء من الحجر الذي ضربه موسى عليه السلام بعصاه يدل على وجوه من الإعجاز:

أحدها: أن نفس ظهور الماء معجزة.

وثانيها: خروج الماء العظيم من الحجر الصغير.

وثالثها: خروج الماء بقدر حاجتهم.

ورابعها: خروج الماء عند ضرب الحجر بالعصا.

«فهذه الوجوه لا يمكن تحصيلها إلا بقدرة تامة نافذة، وعلم نافذ في جميع المعلومات، وحكمة عالية على الدهر والزمان، وما ذاك إلا للحق سبحانه وتعالى».

ثم ذكر في سورة الأعراف الفرق بين قوله: ﴿ فَٱنفَجَرَتۡ ﴾ في سورة البقرة، وقوله: ﴿ فَٱنۢبَجَسَتۡ ﴾ في سورة الأعراف فقال: «الانبجاس خروج الماء بقلة، والانفجار خروجه بكثرة، وطريق الجمع: أن الماء ابتدأ بالخروج قليلاً، ثم صار كثيرًا، وهذا الفرق مروي عن أبي عمرو بن العلاء».

الآية السادسة: قصة نتق الجبل وقلعه وتهديد بني إسرائيل أن يقع عليهم من فوقهم:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وهذا الجبل هو المصرح به في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ وَرَفَعۡنَا فَوۡقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ٦٣]. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله: ﴿ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ ﴾ قال: «رفعته الملائكة فوق رؤوسهم فقيل لهم ﴿ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ ﴾ فكانوا إذا نظروا إلى الجبل قالوا: سمعنا وأطعنا، وإذا نظروا إلى الكتاب قالوا سمعنا وعصينا»

وأخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إني لأعلم لم تسجد اليهود على حرف؛ قال الله: ﴿ ۞ وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ ﴾. قال: لتأخذن أمري أو لأرمينكم به، فسجدوا وهم ينظرون إليه مخافة أن يسقط عليهم، فكانت سجدة رضيها الله تعالى فاتخذوها سنة».

الآية السابعة: تدكدك الجبل وصيرورته ترابًا عندما تجلى الله تبارك وتعالى له:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تخيروني من بين الأنبياء؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق؛ فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور».

وعـن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسـلم قرأ هـذه الآية: ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا ﴾. قال حماد: « هكذا وأمسك سليمان بطرف إبهامه على أنملة إصبعه اليمنى؛ قال: فساخ الجبل وخر موسى صعقا ».

وقـال الإمام أحمد - رحمـه الله تعالى -: «أما قول مـوسى ﴿ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ فإنـه حـين قـال: ﴿ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾، ولا يـراني أحد في الدنيا إلا مات ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ يعني: أول المصدقين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات».

الآية الثامنة: الآيات البينات التي أرسلت على قوم فرعون رجزًا وعذابًا عليهم:

قـال الله تعـالى: ﴿ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف: ١٣٢-١٣٣].

الآية التاسعة: قصة الناقة التي جعلها الله عز وجل آية مبصرة لثمود:

قـال الله تعـالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الأعـراف: ٧٣].

روى الإمـام أحمـد عن جابر رضي الله عنه قال: لما مر رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بالحجر قال: «لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فكانت تشـرب ماءهم يومًا ويشربون لبنها يومًا، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله عز وجل من تحت أديم السماء منهم إلا رجلاً واحدًا كان في حرم الله عز وجل» قيل: من هو يا رسول الله قال: «هو أبو رغال؛ فلما خرج من الحرم أصابه ما أصابهم». [حسنه ابن حجر في الفتح ٦/٤٣٩]

الآية العاشرة: جعل النار المحرقة بردًا وسلامًا على إبراهيم صلى الله عليه وسلم:

قـال الله تعـالى: ﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٦٨-٧٠].

عـن ابن عباس رضي الله عنه قال في قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمـران:١٧٣]: «قالهـا إبراهيم حين أُلقي في النار، وقالها محمد صلى الله عليه وسـلم حين قال لهم الناس: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾».

وعن سائبة – مولاة للفاكه بن المغيرة – أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها فرأت في بيتهـا رمحًا موضوعًا فقالت: يا أم المؤمنـين، ما تصنعين بهذا الرمح؟ قالت: نقتل به الأوزاغ؛ فـإن نـبي الله صلى الله عليه وسـلم أخبرنـا أن إبراهيم عليه السـلام حين أُلقي في النار لم تكن دابة إلا تطفئ النار غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه، فأمر عليه الصلاة والسلام بقتله»

الآية الحادية عشـرة: تسخير الطير والجبال لداود عليه السلام يسبحن معه وإلانة الحديد له:

قـال الله تعـالى: ﴿۞ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠﴾ [سبأ: ١٠].

يقول الطبري – رحمه الله تعالى – في تفسـيره: «يقول الله تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منا فضلا، وقلنا للجبال ﴿أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾: سبحي معه إذا سبح. والتأويب عند العرب: الرجوع ﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ ذكر أن الحديد كان في يده كالطـين المبلول يصرفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار ولا ضرب بحديد».

وذكر الشـيخ السعدي – رحمه الله تعالى – في تفسيره: «أن ذلك كان من خصائص داود عليه السـلام التي لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وأن ذلك يكون منهضًا له ولغيره على التسبيح؛ إذا رأوا الجمادات والحيوانات تتجاوب بتسبيح ربها، وتمجيده، وتكبيره، وتحميـده كان ذلك مما يهيج على ذكر الله تعالى. ومنها أن ذلك كما قال كثير من العلماء أن طرب لصوت داود؛ فإن الله تعالى قد أعطاه من حسـن الصوت ما فاق به غيره، وكان إذا رجع التسبيح والتهليل والتمجيد بذلك الصوت الرخيم الشجي المطرب طرب كل من سمعه من الإنس والجن حتى الطيور والجبال وسبحت بحمد ربها».

وفي الصحيحين أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم سمع صوت أبي موسى الأشعري رضي اللَّه عنه يقرأ في الليل، فوقف فاستمع لقراءته. ثم قال صلى اللَّه عليه وسلم: «لقد أوتي هذا مزمارًا من مزامير آل داود».

الآية الثانية عشرة: تسخير اللَّه عز وجل الريح والجن لسليمان صلى اللَّه عليه وسلم وإسالة النحاس له:

قال اللَّه تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ ﴾ [سبأ: ١٢].

أخرج أحمد في الزهد عن الحسن رضي اللَّه عنه في قوله: ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ قال: «كان سليمان عليه السلام يغزو من بيت المقدس فيقيل باصطخر، ثم يروح من اصطخر فيقيل بقلعة خراسان».

ويقول السعدي – رحمه اللَّه تعالى – عند تفسير هذه الآية: «لما ذكر فضله على داود عليه السلام، ذكر فضله على ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام، وأن اللَّه سخر له الريح تجري بأمره، وتحمله، وتحمل جميع ما معه، وتقطع المسافة البعيدة جدًا، في مدة يسيرة، فتسير في اليوم مسيرة شهرين، ﴿ غُدُوُّهَا شَهْرٌ ﴾ أي: أول النهار إلى الزوال، ﴿ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ﴾ من الزوال إلى آخر النهار، ﴿ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ﴾ أي: سخرنا له عين النحاس، وسهلنا له الأسباب في استخراج ما يستخرج منها من الأواني وغيرها. وسخر اللَّه له أيضاً الشياطين والجن؛ لا يقدرون أن يستعصوا عن أمره. ﴿ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾. وأعمالهم: كل ما شاء سليمان عملوه»

ولصاحب التحرير والتنوير رأي في تسخير الريح لسليمان عليه السلام؛ وذلك في قوله: «ومعنى تسخيره الريح: خلق ريح تلائم سيرَ سفائنه للغزو أو التجارة، فجعل اللَّه لمراسيه في شطوط فلسطين رياحًا موسمية تهبّ شهرًا مشرّقة لتذهب في ذلك الموسم سفنه، وتهبّ شهرًا مغرّبة لترجع سفنه إلى شواطئ فلسطين كما قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا ﴾ [الأنبياء: ٨١] في سورة الأنبياء». وفي هذا بعد وتكلف والله أعلم.

ولم يأت دليل صحيح يفسر غدو الريح ورواحها إلا بعض الإسرائيليات. وعلى أية حال فإنها تبقى معجزة على أي وجه فسرت؛ حيث سخرت لسليمان عليه السلام، ولم تسخر لغيره. وكذلك إسالة عين النحاس له، وتسخير الجن المردة لخدمته. وهذا كله بإذن الله عز وجل وقدرته العظيمة.

الآية الثالثة عشرة: تعليم الله سبحانه سليمان عليه السلام منطق الطير:

قال الله تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ [النمل:١٦].

يقول الشيخ السعدي في تفسيره: «فكان عليه الصلاة والسلام يفقه ما تقول الطير وتتكلم به؛ كما راجع الهدهد وراجعه، وكما فهم قول النملة للنمل كما يأتي. وهذا لم يكن لأحد غير سليمان عليه السلام».

ويعلق سيد قطب - رحمه الله تعالى - على هذه الخارقة بقوله: «فما يملك تعليم منطق الطير للبشر إلا الله. وكذلك لا يؤتي أحدًا من كل شيء - بهذا التعميم - إلا الله.

وللطيور والحيوان والحشرات وسائل للتفاهم - هي لغاتها ومنطقها - فيما بينها. والله سبحانه خالق هذه العوالم يقول: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ ﴾ [الأنعام:٣٨]، ولا تكون أممًا حتى تكون لها روابط معينة تحيا بها، ووسائل معينة للتفاهم فيما بينها. وذلك ملحوظ في حياة أنواع كثيرة من الطيور والحيوان والحشرات. ويجتهد علماء هذه الأنواع في إدراك شيء من لغاتها، ووسائل التفاهم بينهم عن طريق الحدس والظن، لا عن الجزم واليقين. فأما ما وهبه الله لسليمان - عليه السلام - فكان شأنًا خاصًا به على طريق الخارقة التي تخالف مألوف البشر، لا على طريق المحاولة منه والاجتهاد لتفهم وسائل الطير وغيره في التفاهم، على طريق الظن والحدس، كما هو حال العلماء اليوم.

أحب أن يتأكد هذا المعنى ويتضح لأن بعض المفسرين المحدثين ممن تبهرهم انتصارات العلم الحديث يحاولون تفسير ما قصه القرآن عن سليمان -عليه السلام- في هذا الشأن بأنه نوع من إدراك لغات الطير والحيوان والحشرات على طريقة المحاولات

العلميــة الحديثــة. وهذا إخراج للخارقــة عن طبيعتها، وأثــر من آثار الهزيمــة والانبهار بالعلــم البشــري القليل! وإنه لأيســر شيء وأهون شيء على اللَّه أن يعلــم عبدًا من عباده لغات الطير والحيوان والحشــرات، هبة لدنية منه، بلا محاولــة ولا اجتهاد، وإن هي إلا إزاحة لحواجز النوع التي أقامها اللَّه بين الأنواع. وهو خالق هذه الأنواع!

على أن هذا كله لم يكن إلا شقًا واحدًا للخارقة التي أتاحها اللَّه لعبده سليمان. أما الشق الآخر فكان تسخير طائفة من الجن والطير لتكون تحت إمرته، وطوع أمره، كجنود من الإنس ســواء بسواء. والطائفة التي سخرها له من الطير وهبها إدراكًا خاصًا أعلى من إدراك نظائرها في أمة الطير، يبدو ذلك في قصة الهدهد الذي أدرك من أحوال ملكة ســبأ وقومها ما يدركه أعقل الناس وأذكاهم وأتقاهم. وكان ذلك كذلك على طريق الخارقة والإعجاز.

حقيقة إن سنة اللَّه في الخلق جرت على أن يكون للطير إدراك خاص يتفاوت فيما بينه، ولكنه لا يصل إلى مستوى إدراك الإنسان؛ وإن خلقة الطير على هذا النحو حلقة في سلســلة التناســق الكوني العام. وإنها خاضعة - كحلقة مفردة - للناموس العام الذي يقتضي وجودها على النحو الذي وجدت به.

وحقيقة إن الهدهد الذي يولد اليوم هو نســخة من الهدهد الذي وجد منذ ألوف أو ملايين من السنين، منذ أن وجدت الهداهد، وإن هنالك عوامل وراثة خاصة تجعل منه نســخة تكاد تكون طبق الأصل من الهدهد الأول. ومهما بلغ التحوير فيه، فهو لا يخرج من نوعه، ليرتقي إلى نوع آخر. وإن هذا - كما يبدو - طرف من ســنة اللَّه في الخلق، ومن الناموس العام المنسق للكون.

ولكن هاتين الحقيقتين الثابتتين لا تمنعان أن تقع الخارقة عندما يريدها اللَّه خالق الســنن والنواميس. وقد تكون الخارقة ذاتها جزءًا مــن الناموس العام الذي لا نعرف أطرافه؛ جزءًا يظهر في موعده الذي لا يعلمه إلا اللَّه، يخرق المألوف المعهود للبشر، ويكمل ناموس اللَّه في الخلق والتناســق العام. وهكذا وجد هدهد سليمان، وربما كل الطائفة من الطير التي سخرت له في ذلك الزمان»

الآية الرابعة عشرة: إحضار عرش ملكة سبأ من اليمن إلى فلسطين في طرفة العين:

قال الله تعالى: ﴿ قَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل:٣٨-٤٠].

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: «﴿ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ ﴾ والعفريت هو: القوي النشيط جدًا. ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ والظاهر أن سليمان إذ ذاك في الشام، فيكون بينه وبين سبأ نحو مسيرة أربعة أشهر؛ شهران ذهابًا، وشهران إيابًا. ومع ذلك يقول هذا العفريت: أنا ألتزم بالمجيء به، على كِبَره وثقله وبُعْدِه، قبل أن تقوم من مجلسك الذي أنت فيه. والمعتاد من المجالس الطويلة أن تكون معظم الضحى، نحو ثلث يوم؛ هذا نهاية المعتاد. وقد يكون دون الثلث، أو أكثر.

وأبلغ من ذلك أن: ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾. قال المفسرون: هو رجل عالم صالح عند سليمان يقال له «آصف بن برخيا»، كان يعرف اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجاب، وإذا سئل به أعطى. ﴿ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾ بأن يدعو الله بذلك الاسم، فيحضر، وأنه دعا الله فحضر.

فالله أعلم، هل هذا هو المراد، أم أن عنده علمًا من الكتاب، يقتدر به على البعيد، وتحصيل الشديد؟ - وتقدم قول الإمام الذهبي - ﴿ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ ﴾ حمد الله تعالى على إقداره وملكه، وتيسيرا الأمور له، و﴿ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ أي: ليختبرني بذلك. فلم يغتر عليه السلام بملكه وسلطانه وقدرته، كما هو دأب الملوك الجاهلين؛ بل علم أن ذلك اختبار من ربه، فخاف أن لا يقوم بشكر هذه النعمة، ثم بيّن أن هذا الشكر لا ينتفع الله به، وإنما يرجع نفعه إلى صاحبه، فقال: ﴿ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾؛ غني عن أعماله، كريم كثير الخير، يعم به الشاكر والكافر. إلا أن شكر نعمه داع للمزيد منها، وكفرها داع لزوالها».

الآية الخامسة عشرة: نومة أهل الكهف:

قال الله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾ ﴾ [الكهف:٩-١٢].

يقول الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - عند هذه الآية: «أي: لا تظن أن قصة أصحاب الكهف، وما جرى لهم، غريبة على آيات الله، وبديعة في حكمته، وأنه لا نظير لها، ولا مجانس لها. بل لله تعالى من الآيات العجيبة الغريبة ما هو كثير، من جنس آياته في أصحاب الكهف، وأعظم منها. فلم يزل الله يُري عباده من الآيات في الآفاق وفي أنفسهم ما يتبين به الحق من الباطل والهدى من الضلال. وليس المراد بهذا النفي عن أن تكون قصة أصحاب الكهف من العجائب، بل هي من آيات الله العجيبة. وإنما المراد أن جنسها كثير جدًا؛ فالوقوف معها وحدها في مقام العجب الاستغراب نقص في العلم والعقل. بل وظيفة المؤمن التفكر بجميع آيات الله التي دعا الله العباد إلى التفكير فيها؛ فإنها مفتاح الإيمان، وطريق العلم والإتقان. وإضافتهم إلى الكهف، الذي هو الغار في الجبل، والرقيم: أي: الكتاب الذي قد رقمت فيه أسماؤهم وقصتهم، لملازمتهم له دهرًا طويلاً. ثم ذكر قصتهم مجملة، وفصلها بعد ذلك».

ويؤيد هذا المعنى أيضًا الشيخ الشنقيطي في تفسيره حيث يقول: «وأظهر الأقوال في معنى الآية الكريمة: أن الله يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: إن قصة أصحاب الكهف، وإن استعظمها الناس وعجبوا منها، فليست شيئًا عجبًا بالنسبة إلى قدرتنا وعظيم صنعنا؛ فإن خلقنا السموات والأرض، وجعلنا ما على الأرض زينة لها، وجعلنا إياها بعد ذلك صعيدًا جرزًا أعظم وأعجب مما فعلنا بأصحاب الكهف، من كوننا أنمناهم هذا الزمن الطويل، ثم بعثناهم».

الآية السادسة عشرة: الرزق الذي آتاه الله عز وجل مريم رضي الله عنها بغير حساب:

قال الله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٧].

روى ابن جرير بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ قال: «وجد عندها ثمار الجنة؛ فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف».

الآية السابعة عشرة: كون يعقوب عليه السلام يجد ريح يوسف عليه السلام من مسافة بعيدة جدًا ويعود إليه بصره:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [يوسف: ٩٤-٩٦].

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «لما خرجت العير هاجت ريح فجاءت يعقوب بريح قميص يوسف، فقال: ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴾ قال: فوجد ريحه من مسيرة ثمانية أيام».

الآية الثامنة عشرة: مسخ الذين اعتدوا في السبت من اليهود قردة خاسئين:

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ٦٥].

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «مسخهم الله قردة بمعصيتهم، ولم يعش مسيخ قط فوق ثلاثة أيام، ولم يأكل ولم يشرب ولم تنسل»، وقال الحسن: «انقطع ذلك النسل»، وقال ابن عباس رضي الله عنه: «صار شباب القوم قردة، والمشيخة صاروا خنازير».

ويعلق الإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى - على قصة أصحاب السبت فيقول: «إن الله تعالى أخبر عن أهل السبت من اليهود بمسخهم قردة لمَّا احتالوا على إباحة ما حرَّمه الله تعالى من الصيد بأن نصبوا الشباك يوم الجمعة، فلما وقع فيها الصيد أخذوه يوم الأحد؛ قال بعض الأئمة: ففي هذا زجر عظيم لمن يتعاطى الحيل على المناهي الشرعية ممن يتلبس بعلم الفقه وهو غير فقيه؛ إذا الفقيه هو من يخشى الله تعالى بحفظ حدوده، وتعظيم حرماته، والوقوف عندها، ليس المتحيل على إباحة محارمه، وإسقاط

فرائضه، ومعلوم أنهم لم يستحلوا ذلك تكذيبًا لموسى عليه السلام، وكفرًا بالتوراة، وإنما هو استحلال تأويل واحتيال، ظاهره ظاهر الاتقاء وباطنه باطن الاعتداء، ولهذا والله أعلم مُسخوا قردة لأن صورة القرد فيها شبه من صورة الإنسان، وفي بعض ما يذكر من أوصافه شبه منه، وهو مخالف له في الحد والحقيقة، فلما مسخ أولئك المعتدون على دين الله تعالى بحيث لم يتمسكوا إلا بما يشبه الدين في بعض ظاهره دون حقيقته مسخهم الله تعالى قردة؛ يشبهونهم في بعض ظواهرهم دون الحقيقة جزاء وفاقًا».

الآية التاسعة عشرة: إنجاء الله عز وجل لرسله وأتباعهم، وإهلاك أعدائهم المكذبين بعذاب من عنده:

قص الله عز وجل علينا في كتابه الكريم أخبار أنبيائه ورسله مع أقوامهم، وكيف انتهت الحال إلى نجاة الرسل والمؤمنين معهم، وهلاك الكافرين المكذبين؛ فقال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [العنكبوت: ٤٠].

ولما قص الله عز وجل علينا بعض هذه القصص في سورة الشعراء كان يختم كل قصة بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٨-٩] أي أن في إنجاء الله عز وجل لأوليائه وإهلاكه لأعدائه آية عظيمة لمن تدبرها؛ فبعزته سبحانه أهلك الكافرين وبرحمته أنجى المؤمنين.

وقد تنوع عذاب الله عز وجل وعقابه للمكذبين الكافرين؛ فمنهم من أهلكه بالطوفان والغرق كقوم نوح وفرعون وقومه، ومنهم من أهلكه بريح عاتية كقوم هود، ومنهم من أخذته الصيحة والصاعقة فقطعت قلوبهم كقوم صالح، ومنهم من أرسل الله عليهم حاصبًا وحجارة من سجيل وخسف كقوم لوط، ومنهم من أهلكته الرجفة كقوم شعيب.

وكون هذه الألوان من العذاب آيات تأتّى من أنها بأمر لله عز وجل القادر على كل شيء، والذي له جنود السماوات والأرض ولا يستعصي عليه شيء؛ كذلك هي آيات

وخوارق لأنها تأتي في الوقت الذي حدَّده الله عز وجل، وأخبر به رسول كل قوم ليخرج هو ومن آمن معه قبل حلول العذاب؛ فمن الذي أعلمه بوقت حلول العذاب لولا إعلام الله عز وجل له.

قال تعالى عن نبيه صالح صلى الله عليه وسلم بعد أن عقر قومه الناقة: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ ﴾ [هود: ٦٥].

وقال عن نبيه نوح صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ [المؤمنون: من الآية ٢٧].

وقال لنبيه لوط صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ ﴾ [هود: ٨١].

فلو قال قائل من الطبائعيين الملاحدة أن ما حصل من هذه الكوارث إن هي إلا ظواهر كونية طبيعية كالأعاصير والبراكين والانهيارات الأرضية والزلازل .. إلخ، نقول له: وكيف علم الأنبياء وأتباعهم بوقت حدوث هذه البراكين والزلازل حتى يخرجوا من الأماكن التي حصلت فيها وينجوا من الهلاك قبل وقوعه؟. والجواب: أن الله عز وجل الذي لا يعلم جنوده إلا هو هو الذي أعلمهم بالوقت المحدد للعذاب وأمرهم بالخروج من مكانه قبل نزوله.

ونقول لهؤلاء الماديين: إن العلم الحديث بكل أجهزته وتقنياته ومراصده لا يستطيع أن يعلم متى تحدث الزلازل والبراكين والانهيارات، وإنما تبهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون. ولو قال إنه يمكن أن يعلموا بآلات الرصد بعض التوقعات للرياح أو الأمطار أو الأعاصير، فنقول لهم: وأين هذه الأجهزة لأنبياء الله تعالى حتى يعلموا بها قرب العذاب فيخرجوا؛ إنه لا علم لهم إلا من الله العزيز الرحيم الذي لا ملجأ منه إلا إليه، ولا عاصم من أمره إلا من رحم.

الآية العشرون: إهلاك أصحاب الفيل بحجارة من سجيل:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ [الفيل: ١-٥].

ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، ألا فليبلغ الشاهد الغائب» .

وجاء في قصة صلح الحديبية الطويل: «حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حَلْ حَل. فألحت». فقالوا: خلأت القصواء. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل .. الحديث». [البخاري]

وأخرج ابن المنذر، والحاكم وصححه، أبو نعيم، والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة استقبلهم عبد المطلب فقال لملكهم: ما جاء بك إلينا؟ ألا بعثت فنأتيك بكل شيء أردت؟ فقال: أخبرت بهذا البيت الذي لا يدخله أحد إلا أمن، فجئت أخيف أهله، فقال: إنا نأتيك بكل شيء تريد فارجع، فأبى أن يرجع إلا أن يدخله، وانطلق يسير نحوه، وتخلَّف عبد المطلب، فقام على جبل فقال: لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله. ثم قال: اللَّهم إن لكل إله حلالاً فامنع حلالك، لا يغلبن محالهم أبدًا محالك، اللَّهم فإن فعلت فأمر ما بدا لك. فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر حتى أظلتهم طيرًا أبابيل التي قال الله ترميهم بحجارة من سجيل، فجعل الفيل يعج عجًا، فجعلهم كعصف مأكول».

وقال الإمام ابن كثير - رحمه الله تعالى - في مقدمة تفسير سورة الفيل: «هذه من النعم التي امتن الله بها على قريش، فيما صرف عنهم من أصحاب الفيل، الذين كانوا قد عزموا على هدم الكعبة ومحو أثرها من الوجود، فأبادهم الله، وأرغم آنافهم، وخيب سعيهم، وأضل عملهم، ورَدّهم بشر خيبة. وكانوا قومًا نصارى، وكان دينهم إذ ذاك أقرب حالاً مما كان عليه قريش من عبادة الأوثان. ولكن كان هذا من باب الإرهاص والتوطئة لمبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإنه في ذلك العام ولد على أشهر الأقوال، ولسان حال القدر يقول: لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخيريتكم عليهم، ولكن صيانة للبيت العتيق الذي سنُشرِّفه ونعظمه ونوقره ببعثة النبي الأمي محمد صلوات الله وسلامه عليه خاتم الأنبياء» أهـ

والمعجزات كثيرة وإليك بعض النصوص لبعض ما تقدم وغيره :

من معجزات النبي صلى اللَّه عليه وسلم معجزة الإسراء والمعراج، قال اللَّه عز وجل: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١] .

وقال سبحانه عن عروجه صلى اللَّه عليه وسلم إلى السماء: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ [النجم: ١٢-١٨] .

فآية سورة الإسراء فيها ذكر مسراه صلى اللَّه عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى في ليلة واحده. وآيات سورة النجم فيها ذكر عروجه صلى اللَّه عليه وسلم إلى السماء ورؤيته من آيات اللَّه الكبرى.

وقد جاء عند الإمام مسلم وغيره ذكر خبر الإسراء والمعراج بطوله؛ حيث قال رحمه اللَّه تعالى: حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت البناني عن أنس بن مالك؛ أن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم قال: «أُتيتُ بالبُراق - وهو دابةٌ أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه - قال: فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين. ثم خرجت فجاءني جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن. فقال جبريل صلى اللَّه عليه وسلم: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه. فَفُتح لنا، فإذا أنا بآدم، فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم، ويحيى بن زكريا صلوات اللَّه عليهما. فرحبا ودعوا لي بخير. ثم عرج بي إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل. فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى اللَّه عليه وسلم. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف صلى اللَّه عليه وسلم؛ إذا هو قد أُعطي شطر الحُسن،

فرحـب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السـماء الرابعة. فاسـتفتح جبريل عليه السـلام. قيـل: من هـذا؟ قـال: جبريـل. قيل: ومن معك؟ قـال: محمد. قـال: وقـد بُعث إليه؟ قـال: قـد بُعث إليه. ففتح لنـا فإذا أنا بإدريـس. فرحب ودعا لي بخير؛ قـال الله عز وجل: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧ ﴾ [مريم:٥٧] . ثم عرج بنا إلى السـماء الخامسة، فاستفتح جبريل. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعـث إليه. ففتح لنا فـإذا أنا بهارون صلى الله عليه وسـلم. فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السـماء السادسـة. فاسـتفتح جبريل عليه السـلام. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيـل: ومن معك؟ قال: محمـد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليـه. ففتح لنا فإذا أنـا بموسى صلـى الله عليه وسـلم. فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بي إلى السـماء السـابعة فاسـتفتح جبريل. فقيل: من هذا، قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسـلم قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه ففتح لنا فـإذا أنا بإبراهيم صلى الله عليه وسلم، مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سـدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال. قال: فلما غشـيها من أمر الله ما غشي تغيرت. فما أحدٌ من خلق الله يسـتطيع أن ينعتها من حسنها. فأوحى الله إليّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى صلى الله عليه وسلم فقال: ما فرض ربُك على أُمتك؟ قلت: خمسين صلاة. قال: ارجع إلى ربِّك فاسألهُ التخفيف؛ فإن أمتك لا يُطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتُهـم. قـال: فرجعـت إلى ربي فقلت: يا رَبِّ! خفف على أُمـتي. فحَطَّ عني خمسًـا. فرجعتَ إلى موسى فقلتُ: حط عني خمسًا. قال: إن أمتك لا يُطيقون ذلك فارجع إلى ربك فاسألهُ التخفيف. قال: فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد! إنهن خمس صلوات كل يوم وليلة؛ لكل صلاة عشرٌ فذلك خمسون صلاة. ومن هم بحسنةٍ فلم يعملها كُتبت له حسنة، فإن عملها كُتبت له عشرًا. ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تُكتب شيئًا. فإن عملها كُتبت سيئة واحدة. قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى صلى الله عليه وسلم فأخبرته. فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: فقلتُ: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه» [صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه سلم الحديث. (١٦٢)].

ومن معجزاته كذلك : أنه شق القمر لأهل مكة نصفين حتى رأوا حراء من بينهما يروي الإمامان الجليلان البخاري ومسلم رحمهما الله عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما .

وعن مسعود رضي الله عنه قال : (انفلق القمر ونحن مع الرسول صلى الله عليه وسلم فصار فلقتين : فلقه من وراء الجبل وفلقه دونه : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا)

عن أنس رضي الله عنه قال : (صعد النبيُّ -صلى الله عليه سلم- أُحُداً ومعه أبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فضربه النبيُّ -صلى الله عليه سلم- برجله وقال: أثبت أحد، فإنما عليك نبيٌّ وصديقٌ وشهيدان) [البخاري (٣٦٧٥)]

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه- قال: (سرنا مع رسول الله - صلى الله عليه سلم - حتى إذا نزلنا وادياً أفيح فذهب رسول الله - صلى الله عليه سلم - يقضي حاجته، فاتبعته بإداوةٍ من ماء فنظر فلم يرَ شيئاً يستتربه فإذا شجرتان بشاطئ الوادي فانطلق رسولُ الله - صلى الله عليه سلم - إلى إحداهما فأخذ بغصنٍ من أغصانها فقال: (انقادي علي بإذن الله) فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده حتى أتى إلى الشجرة الأخرى فأخذ بغصن من أغصانها وقال: (انقادي عليَّ بإذن الله -تعالى-). فانقادت معه كالبعير المخشوش الذي يُصانع قائده كذلك، حتى إذا كان بالمنصف مما بينهما لأم بينهما (يعني جمعهما): فقال: (التئما عليَّ بإذن الله) فالتأمتا قال جابر: فخرجتُ أحضر مخافة أن يحس رسول الله - صلى الله عليه سلم - بقربي فيبتعد وقال محمد ابن عباد فيتبعد فجلست أحدث نفسي فحانت مني لفتةٌ فإذا أنا برسول الله -صلى الله عليه سلم - مُقبلاً وإذا الشجرتان قد افترقتا، فقامت كُلُّ واحدة منهما على ساقٍ فرأيت رسولَ الله - صلى الله عليه سلم - وقف وقفةً فقال برأسه هكذا يميناً وشمالاً) [أخرجه مسلم (٤/ ٢٣٠٧) (٣٠١٤)] .

عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال : (جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بما أعرف أنك رسول الله ؟ قال : (أرأيت إن دعوت هذا العذق من هذه

النخلة أتشهد أني رسول الله ؟) قال : نعم قال : فدعا العذق فجعل العذق ينزل من النخلة حتى سقط في الأرض، فجعل ينقز حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال له : (ارجع)، فرجع حتى عاد إلى مكانه . فقال : أشهد أنك رسول الله وآمن) [صحيح : رواه البيهقي في الدلائل (١٥/٦)، والحاكم في المستدرك (٦٢/٢.) وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه] .

وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما قال : (أردفني (حملني) رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم خلفه، فأسر إلي حديثا لا أخبر به أحدا أبدا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب ما استتر به في حاجته هدف أو حائش نخل (مجموعة)، فدخل يوما حائطا (بستانا) من حيطان الأنصار، فإذا جمل قد أتاه فجرجر وذرفت عيناه، قال بَهْز وعفان : فلما رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم حَنَّ وذرفت عيناه، فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرَاته وذِفْراه (ظهره وأذنيه) فسكن، فقال : من صاحب الجمل ؟، فجاء فتى من الأنصار فقال : هو لي يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم أما تتقي الله في هذه البهيمة التي ملككها الله، إنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه (تتعبه)) [أحمد] .

عن جابر -رضي الله عنه- أَنَّ النبي - صلى الله عليه سلم- كان يخطب إلى جذع نخلة فاتُخذ له منبر فلمَّا فارق الجذع وغدا إلى المنبر الذي صُنع له جزع الجذعُ فحنَّ له كما تحن الناقة وفي لفظ فخار كخُوار الثور وفي لفظ : فصاحت النخلة صياح الصبي حتى تصدع وانشق فنزل النبيُّ - صلى الله عليه وسلم- فاحتضنه، فجعلت تئن أنينَ الصبي الذي يُسكَّن فسكن، قال النبي - صلى الله عليه وسلم-: (لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة) وقال : (لا تلوموه، فإنَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم - لا يُفارق شيئاً إلا وجد) [أخرجه البخاري (٢/ ٣٩٧) رقم (٩١٨)] . ولقد أبدع من قال :

وألقى له الرحمن في الجُمدِ حُبَّهُ ... فكانت لإهداء السلام له يُهدَا

و فارق جذعاً كان يخطب عنده ... فأنَّ أنينَ الأُمِّ إذ تجدُ الفقدَا

يحن إليه الجذع يا قومُ هكذا ... أما نحن أولى أن نحنَّ له وَجْدا

إذا كان جذعٌ لم يُطق بُعدَ ساعة ... فليس وفاءً أَنْ نطيق له بُعدا

وعن علي بن طالب – رضي الله عنه – قال: (كنا مع النبي – صلى الله عليه وسلم– بمكة، فخرجنا معه في بعض نواحيها، فمررنا بين الجبال والشجر، فلم نمر بشجرة ولا جبل، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله) [رواه الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، وأقره الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة] .

وعن جابر بن سمرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن) [رواه مسلم ٢٦]

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (كنا نعد الآيات بركه وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله –صلى ا لله عليه وسلم – في سفر. فقل الماء فقال: اطلبوا فضله من ماء " فجاءوا بإناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله " فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) [رواه البخاري] .

وما حدث يوم الحديبية، فيما رواه الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: (عطش الناس يوم الحديبية والنبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة – إناء من جلد –، فتوضأ، فجهش –أسرع– الناس نحوه، فقال: ما لكم؟ قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا، وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة) [متفق عليه، واللفظ للبخاري] .

وما رواه الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: (كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفاً، كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفرٍ، فقل الماء، فقال: اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا بإناءٍ فيه ماء قليل، فأدخل يده في الإناء، ثم قال: حي على الطهور المبارك، والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل) [رواه مسلم] .

وروى البخاري من حديثِ ابن مسعودٍ قال : كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام ونحنُ نسمعُ تسبيحَ الطعامِ.

قال الإمام النووي معلقًا على هذا الحديث: فيه معجزة له صلى الله عليه وسلم وفي هذا إثبات التمييز في بعض الجمادات وهو موافق لقوله تعالى في الحجارة: ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٤] . وقوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤].

إن النبي – صلى الله عليه سلم – له مواقف مع الجمادات وأحداث كثيرة فالجذع يحن على فراقه والحصى يُسبِّح في كفه والشجر تخط الأرض استجابة لطلبه الماء ينبع من بين أصابعه والحجر يُسلِّم عليه والجبل يثبت من الاضطراب به وبصاحبيه فهي معجزات لصاحب الرسالة وأدلة واضحة على صدق نبوته والمعجزات كثيرة وما تقدم فإنما هو نزر يسير.

وفي هذه المعجزات النبوية إشارة واضحة بينّة، ودلالة عظيمة شاهدة على تأييد الله سبحانه لرسوله صلى الله عليه وسلم، إذ كان لهذه المعجزات وأمثالها من المعجزات النبوية الأثر البالغ في زيادة الإيمان، وقوة التعلق بالواحد الديان من قبل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أجمعين، وخاصة أنهم كانوا في ظروف صعبة، نتيجة صراعهم مع أهل الباطل من المشركين واليهود والمنافقين، فكانت مثل هذه الحوادث عوناً لهم، وزاداً إيمانيا قوياً، إضافة إلى ما تتركه مثل هذه المعجزات من أثرٍ في نفوس الكافرين والمعاندين، وتلفت الانتباه إلى أن الله هو القوي القادر، الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، فسبحان من لم يقدره العباد حق قدره، ولم يعبده العباد حق العبادة، وهو الغفور الرحيم، والحمد لله رب العالمين .

وقفات مع آيات في قدرة الله وقوته وعظمته وجبروته

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح: ٤]، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١]، ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف: ٤٥]

إخواني وما ترون أو ما تسمعون من بحار وشموس وأقمار وجبال ونار وفيضانات

وأوبئـة وزلازل وسـيول ورياح وأعاصير وأمطـار وهواء وغبار وظلمة فـالله هو المدبر لها المتصرف فيها بل في الكون كله والله ما نزلت قطرة من السماء ولا طارت ذرة ولا تحرك غبار ولا سكن في الكون ما سكن إلا بعلم الله وقدرته ومشـيئته وإرادته ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] والله نتحدى مخلوقا مهما كان أن يمنع قطرة أو ينزل قطرة أو يحجب الشـمس أو القمر أو الرياح أو السـحاب أو يقدم فيها أو يؤخـر والله إنه لعاجـز لعاجز لعاجز ويعجز بـل عجز وعاجز ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف:٥٤] .

ومهمـا ارتقى البشـر في علومهم ودرجاتهم؛ من رسـل وأنبياء وعلمـاء وغيرهم؛ فلن تكون تلك العلوم إلا كمثقال ذرَّة من علوم الله، ولن يستطيع أحد منهم أن يعلم شيئاً ممَّا انفرد الله تعالى بعلمه كعلم السـاعة، ووقت نزول المطر ومكانه ومقداره، وعلم كـلِّ ما يكنُّ في الأرحام من أوصاف وطبائع وغير ذلك من خصوصيـات كلِّ نفس، وعلم المستقبل، وعلم آجال الناس.

ملأت كل شيء عظمته وقهر كل شيء ملكه وأحاط بكل شيء علمه بيده مقاليد الأمور وتصريف الأحوال

سـبحان الله ما أعظمه شـديد القهر، عليّ القدر، المتكبر، ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البـروج:١٢] ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [هـود:١٠٧] مـن الـذي أرغم أنوف الطغاة عداه، ومن الذي خفض رؤوس الظلمة سـواه، أهلك الفراعنة، وكسر الأكاسرة، وقصر الأقاصرة، ومزق الجبابرة، شمخت عاد واستكبرت، واغترت وعلى العظيم تألّت، وقالوا من أشـد منا قـوة فأجابهم الله قـولاً وفعـلاً: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةًۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلـت:١٥-١٦] . والله لقـد أذيقوا عذاب الخزي لقد انتشـر خزيهـم في الأمم إلى هذه الأمة الـتي هي آخر الأمم سخر الله عليهم هذه الريح سبعة أيام وثمانية أيام حسوما ابتدأت في صباح اليوم الأول وانتهت بغروب شـمس اليوم الثامن تـنزع الناس من أسـواقهم وبيوتهم ثـم تطرحهم

في الأرض فأصبحوا كأنهم أعجاز نخل منقعر خاوية لا يرى إلا مساكنهم هذا وهم من أشد الناس بأسا وأعتاهم قلوبا أهلكوا بالريح اللطيفة لكن لما سخرها اللّه عليهم ولم يسخرها لهم صارت عنيفة عقيمة مدمرة .

تدبر مصارع الأمم في كتاب اللّه تجد : أن اللّه لم يهلك أمة إلا وهي في حال قوتها وجبروتها! فهل تستطيع أن تورد أمثلة على ذلك من كتاب الله تعالى؟ أهلك اللّه عادا وهي ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، حتى قالوا: من أشد منا قوة، وأهلك ثمود الذين جابوا الصخر بالواد، فنحتوا الجبال وبنوا المصانع، وأهلك فرعون ذا الأوتاد الذي قال: أنا ربكم الأعلى، وأراد صرحا يبلغ به السماء، وكل هؤلاء دمرهم اللّه في قمة قوتهم وجبروتهم! [د. سفر الحوالي- ج. تدبر]

وعن أنس بن مالك، أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعث رجلا مرّة إلى رجل من فراعنة العرب، فقال: "اذهب فادعه لي"، فقال: يا رسول اللّه إنه أعتى من ذلك، قال: "اذهب فادعه لي"، قال: فذهب إليه فقال: يدعوك رسول اللّه، قال: وما اللّه أمن ذهب هو أو من فضة أو من نحاس؟ قال فرجع إلى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فأخبره، وقال: قد أخبرتك أنه أعتى من ذلك، قال لي كذا وكذا، فقال: "ارجع إليه الثانية فادعه"، فرجع إليه، فأعاد عليه مثل الكلام الأول، فرجع إلى النبيّ صلى اللّه عليه وسلم فأخبره، فقال: "ارجع إليه"، فرجع الثالثة فأعاد عليه ذلك الكلام، فبينما هو يكلمني إذ بعثت إليه سحابة حيال رأسه فرعدت فوقعت منها صاعقة فذهبت بقحف رأسه، فأنزل اللّه تعالى: ﴿ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرعد:١٣] . [قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في كتابه " الصحيح المسند من أسباب النزول " (ص١٢١):بعد ذكره للحديث وطرقه : [فعلى هذا فالاعتماد على الطريق الأولى وهي ترتقي إلى الحجية واللّه أعلم] .

أخذ اللّه آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات وأرسل عليهم الطوفان فأغرق بذورهم في باطن الأرض والجراد فأكل أشجارهم وما نبت من زروعهم والقمل فأفسد ما ادخروه من قوتهم والضفادع فأفسدت مياههم والدم فأنزف ما في أبدانهم وأنهك قواهم حتى لجأوا إلى موسى وقالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز بدعائك لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل.

الهلاك الذي أصاب قوم شعيب، ذكر الله تعالى في سورة الأعراف أنه رجفة، وذكر في سورة هود أنه صيحة، وذكر في سورة الشعراء أنه عذاب يوم الظلة، فكيف كان ذلك؟ الجواب ويمكن مراجعة آخر قصة هود في سورة الأعراف من ذكر الله هلاك قوم شعيب بالرجفة، والصيحة، والظلة. وقد اجتمع عليهم ذلك كله، أصابهم عذاب يوم الظلة وهي سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج عظيم، ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض شديدة من أسفل منهم، فزهقت الأرواح منه". [ابن كثير]

منذ أسبوع وخبر تحطم الطائرة الفرنسية فوق الأطلسي يتردد في نشرات الأخبار. تصور جسما بحجم الطائرة يختفي فجأة، ويبقى البحث عنه أياما!

فأين الأقمار الصناعية؟ وأين الرادارات؟ إنهم البشر مهما بلغوا من الإتقان والحذق يريهم الله ضعفهم وقصورهم. ويريهم -أيضا- آية من آيات عظمته في مثل قوله: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس: ٦١] [رسائل تدبر]

تدبر سورة الفيل: كم في هذه السورة من دلالة على قدرة الله وعظمته!

طيور صغيرة ألقت حجارة بحجم الحمصة، على رجال، وأفيال عظيمة، فصارت إلى ما قاله الله: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾ ﴾ أي: كزرع أكلته الدواب، ووطئته بأقدامها حتى تفتت! [رسائل تدبر].

وها هي أمم الغرب اليوم تتفاخر بما وصلت إليه جيوشها من خبرات عالية، وتدريبات قتالية داهية على كافة الأسلحة المصنوعة، والتقنيات المشروعة وغير المشروعة، بل وتعالت على أمم الأرض جميعها - وبخاصة أمة الإسلام - مغرورة بتكنولوجياتها الفتاكة، وقذائفها الدكاكة؛ التي بلغت مدىً لم تبلغه أي أمة من الأمم قبلها في تصوراتها المادية البحتة، مما كان مدعاة لها إلى الغطرسة والعنجهية، وإملاء شروطها على دول العالم الإسلامي بقوة الحديد والنار، وعظمت في قلوب بعض المسلمين حتى أصبح يخشاها أكثر من الجبار المنتقم، وخضع لها من خضع، وركع لشروطها من ركع والله المستعان.

ونسى هؤلاء أو تناسوا أن هناك قوة أعظم من قوى أمم الكفر مجتمعة لو استندوا إليها، أو استمدوا منها؛ لملكوا الشرق والغرب: فـ﴿ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة:١٦٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [الحج:٧]، إنها قوة جنودها ﴿ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾، ومع هذا فـ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١].

فماذا عسى الغرب أن تنفعه تكنولوجياته المتحضرة، وأسلحته الفتاكة، وجيوشه الجرارة؛ أمام جند الله التي ليس لها حصر، ولا يعرف لها عد.

ماذا تجدي قنابله النووية، وقذائفه العنقودية التي أرهبوا بها العالم، وأخافوا بها الأمم؛ أمام جند الله التي ملأت السموات والأرض؟.

ماذا تصنع طائراته النفاثة، ومراكبه القذافة؟ إذا وقف أمامها جنود ربك: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر:٣١].

إن الله سبحانه قادر في لمحة بصر، وخطفة برق؛ أن يساوي عالي هذه الأرض ببطحائها، ويوازي جبالها الشامخة برمضائها، بأمره فأمره بعد الكاف والنون ﴿ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨٢].

أو يسلط جندي من جنوده على من يشاء ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [فاطر:٤٤].

، فهذه جنوده عبر الأزمان قد سلطها على كثير من الأمم، لم تملك في دفعها شيئاً، ولم تستطع لها ممانعة، فالجند جند الله، والقضية ﴿ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ ﴾ [محمد:٤]. ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [الفتح:٤]. فمن جنده الملائكة الكرام، والسماوات السبع ملآى بهم فيبعث الله – عز وجل – ملائكته مجندين مع أوليائه المؤمنين ليحقق بهم النصر المبين عند التقاء الصفين، ودوران رحى الحرب يقول سبحانه: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال:١٢].

يقول أبو أمامة بن سهل بن حنيف: قال أبي: "يا بني لقد رأيتنا يوم بدر وإن أحدنا ليشير بسيفه إلى رأس المشرك فيقع رأسه عن جسده قبل أن يصل إليه السيف [الدر المنثور(٤/٣٣)].

ومعلوم أن جبريل – عليه السلام – كان يتنزل مع غيره من الملائكة في غزوات النبي – صلى اللَّه عليه وسلم – كما في بدر وأحد والأحزاب؛ ليسانده ويعضده في قتاله ضد أعدائه، يقول شيبة: خرجت مع رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – واللَّه ما أخرجني إسلام؛ ولكن أنفت أن تظهر هوازن على قريش، فقلت وأنا واقف معه: يا رسول اللَّه – صلى اللَّه عليه وسلم – إني أرى خيلاً بلقاً، قال: (يا شيبة إنه لا يراها إلا كافر – يعني الملائكة –) فضرب يده على صدري ثم قال: (اللَّهم اهد شيبة) فعل ذلك ثلاثاً .." [دلائل النبوة (١٤٦/٥)].

ولذلك كان أصحاب النبي – صلى اللَّه عليه وسلم – يعرفون قتيل الملائكة ببنانه؛ لأن الملائكة تضرب بنانه يقول سبحانه: ﴿ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ ﴿١٢﴾ ﴾ [الأنفال: ١٢].

ومع أن الملائكة جنود اللَّه – عز وجل – إلا أنهم لا يُرَون وكيف السبيل لقتال جنود لا يُرَون، ولا يُشَاهَدُون، وهذا من قدرة اللَّه، وهم من جند اللَّه – عز وجل – ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الفتح: ٧].

ومن جند اللَّه – تعالى – الرعب كما قال سبحانه: ﴿ سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ ﴾ [الأنفال: ١٢].

وهذا الرعب والهلع قذفه اللَّه في قلوب يهود بني النظير الذين تمالئوا مع الأحزاب، وجاء ذكره في القرآن في موطنين:

الأول في سورة الأحزاب ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمۡ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ فَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ وَتَأۡسِرُونَ فَرِيقٗا ﴿٢٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٦].

والثاني في سورة الحشر ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ﴾ [الحشر: ٢].

ولقد خص سبحانه هذا الجندي لنبيه محمد – صلى اللَّه عليه وسلم – من بين سائر الأنبياء جاء عن جابر – رضي اللَّه عنه – أن النبي – صلى اللَّه عليه وسلم – قال: (أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر،)

[رواه البخاري برقم (٤١٩) ومسلم برقم (٨١٠)].

ولعلنا نلمس أثره جيداً في أمم الكفر عامة وفي أمة يهود خاصة، فبالرغم من ترسانتهم المدمـرة؛ إلا أنهم يتطايـرون فزعاً عند طلقة رصاصة، فإذا أصيب العدو بالرعب فإنه لا نصر له بحالٍ من الأحوال ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح:٧].

ومـن جنـد الله – عز وجـل – الريح: وقد أهلك الله – عز وجل – بها قـوم عاد الذي اغتروا بقوتهم فقالوا في غرور وكبر يخبرنا العليم سبحانه عنهم: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُواْ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [فصلت:١٥] ، فكان الجـزاء جراء عتوهـم ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [فصلت:١٦].

فلمـا رأوا مقدماتهـا ﴿ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ ﴾ [الأحقـاف:٢٤] فـرد الله عليهم بقوله: ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحقـاف:٢٤] فسـخَّر العظيـم بقدرته هذه الريـح عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الحاقة:٧-٨] .

وسلط الله الريح على الأحزاب المتحزبة على النبي – صلى الله عليه وسلم – كما قـال سـبحانه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا ﴾ يقـول مجاهد – رحمه الله –: «سـلط الله عليهم الريـح فكفأت قدورهم، ونزعت خيامهم حتى أظعنتهم»، فكانت لا تقيم لهم بناء، حتى قال بعضهم لبعض: «إنه لا يمكن أن يكون لكم المقام، فهلموا واذهبوا وارتحلوا فإنا مرتحلون»، وهكذا تكون الريح من جند الله ﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح:٤]

ومن جند الله أيضاً الزلزلة وهي على ضربين:

– زلزلة معنوية كما قال جبريل – عليه السلام – لما انتهت معركة الأحزاب؛ فجاء إلى الرسـول – صلى الله عليه وسـلم – فقال: (وقد وضعت السلاح؟ فإن الملائكة لم تضـع السـلاح، اذهـب إلى بني قريظة فـإني ذاهبٌ إليهـم فمزلـزلٌ بهم) فزلـزل قلوبهم بالخوف والفزع والهلع، فأصبحوا مهزومين قبل أن يخوضوا المعركة.

– ثم هناك الزلزلة الحقيقية للأرض، فإن الله – سبحانه وتعالى – قد يسلط الزلزلة

على عدونا، فيزلـزل الأرض من تحت أقدامهم، فتتسـاقط بيوتهـم، وتدمر مصالحهم، وتميد بهم الأرض يمنة ويسـرة، وقد يأذن سـبحانه للأرض فتخسف بهم، فتفتح فاها لتبتلـع أعداءهـا، وهذا ما لمسـناه جلياً في بعض دول الغرب يقول سـبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الرعد: ٣١] وهم على الرغم من كل احتياطاتهم لمثل هذه الزلازل إلا أنهم لم يستطيعوا تفاديها، فهي من جند الله الذي له ﴿ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الفتح: ٤].

ومـن جنـد الله الطوفـان الذي أهلك الله به قـوم نوح، ونجـا به نوحاً ومـن معه من المؤمنين، ولك أن تتأمل كيف أن الله – سبحانه وتعالى – سلط هذا الجندي الذي سخره لمنفعـة العبـاد ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ ﴾ [النحل: ١٤].

على قوم نوح لما كذبوا رسولهم، وأعرضوا عن سبيل ربهم؛ فنالوا جزاءهم ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ﴾ [القمر: ١١–١٦].

وبنفس الطوفان هلك طاغية من أكبر طغاة البشـرية إنه فرعون وجنده، الذي ظن أنه قد تفرد بالتصرف في الكون فقال مقولته الخبيثة: ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٢٧].

فماذا كانت النتيجة؟ ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [القصص: ٤٠] فقولوا لي بربكـم: أي قوة على وجه الأرض مهما بلـغ تقدمها، ومهما بلغت التقنية التي تمتلكها؛ تسـتطيع أن تصمد في وجه مياه عاتية، وأمواج متلاطمة؛ غطت رؤوس الجبال، وكم نسمع اليوم عن سفن لدول بلغت قمة التطور والتقنية البشـرية؛ غرقت في البحر، فوقفت تلك الدول بكامل تقنياتها عاجزة أمام القدرة الإلهية لا تستطيع أن تصنع شيئاً.

ومن جند اللَّه الفيضانات، والبراكين، والحجارة من سجيل التي أنزلها اللَّه -عز وجل- على أصحاب الفيل، وكل ما على هذه الكواكب، وما يجري في الكون يمكن أن يكون جندي من جنود اللَّه متى شاء اللَّه ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ [المدثر: ٣١] ، وهذه كلها مجرد أمثلة.

من هذا الاستعراض السريع يتضح أن للَّه جنود السماوات والأرض منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم ومن جنود السماوات التي أخبرنا بها القرآن الكريم الملائكة وهم خلق من نور لا يراه الإنسان وهم من أهل السماء الذين ينزل اللَّه -تعالي- منهم إلى الأرض من يكلفون بمهام يأمرهم بها اللَّه.

ومن جند السماء الريح وما تحدثه من عواصف وأعاصير والرعد والبرق والظلمات وما يصاحبها من مخاطر والصيحة وغضب اللَّه -تعالي- ولعناته التي ينزلها على الظالمين من عباده وما يدخل تحت مظلة دائرة السوء من أمور.

ومما نعلم من جند اللَّه في الأرض: الزلازل والبراكين والعواصف والأعاصير والقحط والجدب والجفاف والسيول المغرقة والفيضانات الجارفة ومختلف أنواع الأمراض والأوبئة أما ما لا نعلم من جند اللَّه فهو أكثر من ذلك بكثير لأن الغيوب من حولنا أكثر مما نعلم بعشرات المرات ويكفي في ذلك أن يعترف علماء الفلك بأن ما يدركونه بكل تقنياتهم المتطورة في الكون المدرك هو أقل من (١٠٪) أي أقل من عشر ما هو فعلا موجود فيه بالحسابات الرياضية والفيزيائية الفلكية من هنا تتضح ومضة الإعجاز العلمي في قول ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١].

فجنود اللَّه - تعالى - في السماوات والأرض من الأمور الغائبة عنا - نحن معشر البشر - : حقيقة كل منها ووظيفته والقدرات التي وهب اللَّه - سبحانه وتعالى - إياها واللَّه يكشف لنا ما يريد الكشف عنه من أمر جنده الذين لا نعرف لهم كنها ولا حصرا ولا عدا وقوله - تعالى - في مثل هذه الأمور الغيبية هو القول الفصل وليس لأحد من خلقه أن يجادل فيه أو أن يحاول معرفة ما حجبه اللَّه - تعالى - عنه فليس له إلى ذلك من سبيل..!

حينما ادعى البشر العظمة والتقدم والسيطرة على الكون ومعرفة جل أسراره وأن لديهم من القدرات والطاقات والإمكانات ما يعرفون به كل شيء يحدث أو سيحدث في الكون، وادّعوا أن ما اخترعوه من أجهزة الأرصاد التي يعرفون من خلالها أي حدث يمكن أن يحدث من زلازل وغيرها فيتلافون الكوارث والإصابات في حد زعمهم، فأحبط الله في هذه الحادثة ما قدروه، وأتاهم ما لم يكونوا يحسبونه بهزة عظيمة وكارثة جسيمة لم يعرفوا مثلها ولم يحسبوا حسابها ولم يقدروا لها قدرها، بل لم يتنبئوا بها قبل حدوثها ولا بلحظات. ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [النحل: ٤٥]، ﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٨]، ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الملك: ١٦]، ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [النمل: ٦٥].

إن هذه الآيات والنذر من الرحمن الرحيم للبشرية لعلهم يتقون ولعلهم يتذكرون ولعلهم يتضرعون ولعلهم يتعظون، ولكن البشرية حادت عن ربها وطمس على قلوبهم فهم لا يبصرون ولا يسمعون ولا يعلمون، فراحت تنسب هذه العقوبات إلى الجمادات التي لا تعقل ولا تعلم شيئًا ولا تعي ولا تملك لنفسها نفعًا ولا ضرًا، فيقولون: غضب الأرض وتمرد الطبيعة.

هذه الكارثة من أعظم الدلائل على عظمة الله تعالى إن التفكر والاعتبار والانتفاع بالمواعظ من صفات المؤمنين قال الله تعالى: ﴿ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ ﴾ [الأعلى: ١٠]، والمتأمل في الأحداث والمتغيرات، وحلول كثير من العقوبات في هذا الزمان: من الزلازل، والأعاصير والفيضانات، والانهيارات، والجفاف والجدب، والحوادث المتجددة يجدها أمورا عظيمة تزيد يوما بعد يوم، جدير بالمسلم أن يأخذ العبرة منها، فما الذي يخيفنا أو يفزعنا إذا كان الله – تعالى – معنا.

وله كل هذه القوى، وجنوده ملء السموات والأرض، وكيف يتصور أن نهزم، أو يتغلب علينا أعداؤنا؟ وهو من تكفل بنصرنا، ودحر عدونا ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

[<أهـ المصدر: منتديات بوابة بدر-القسم الإسلامي العام].

يقول تعالى ﴿ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [الأنفال: ١٠] ، ويقول ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨]، وفي الحديث :(لا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ) [مسلم١٩٢] . ويقول سبحانه : ﴿ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٩٠ ﴾ [يوسف: ٩٠]، ويقول عز من قائل: ﴿ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ ﴾ [الحج:١٨]

وما يحصل من أعاصير ورياح مدمرة وفيضانات وطوفان مهلك وزلازل قاتلة ونحوها فلنا معها وقفات :

الوقفة الأولى : أن الفاعل الحقيقي هو الله تعالى وليس الطبيعة ولو كانت نافعة أحدا هذه الطبيعة لنفعت نفسها، فليس للطبيعة حول ولا قوة إلا بإذن الله وإرادته فهو الذي يأذن لها أن تتنفس ﴿ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٥ ﴾ [الانشقاق:٣-٥] .

﴿ قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبۡعَثَ عَلَيۡكُمۡ عَذَابٗا مِّن فَوۡقِكُمۡ أَوۡ مِن تَحۡتِ أَرۡجُلِكُمۡ أَوۡ يَلۡبِسَكُمۡ شِيَعٗا وَيُذِيقَ بَعۡضَكُم بَأۡسَ بَعۡضٍۗ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَفۡقَهُونَ ٦٥ ﴾ [الأنعام:٦٥] .

قال مجاهد من تحت أرجلكم الرجفة والخسف، فلا تنسب الحوادث للطبيعة ولا نشتم الطبيعة لأنها غير فاعلة وإنما الفاعل هو الله وهو الذي يجعلها سببا لعذابه أو بلائه أو رحمته .

﴿ قَدۡ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٢٦ ﴾ [النحل:٢٦]، ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ٤٥ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ٤٦ ﴾ [النحل:٤٥-٤٦] .

الوقفة الثانية : إن ما يقع في الكون من أعاصير ورياح مدمرة وفيضانات وطوفان مهلك وزلازل قاتلة وحروب طاحنة لله فيها حكمة بالغة فهي عقاب للمذنبين وابتلاء واصطفاء للمؤمنين وعبرة للناجين فجعل الله طوفان نوح عقابا لقومه والريح الصرصر عقابا لقوم هود وطوفان موسى عذاب لفرعون وعبرة لبني إسرائيل .

الوقفة الثالثة: لا شك أن هناك أقواما أراد الله عذابهم بهذا الزلزال فإن قلت لم ؟

١- أقول لك هناك من يشرك بالله ويدعون أن لله ولداً في ليلة ميلاد المسيح وأن هذه الليلة هي ليلة ميلاد ابن الله، تعالى الله عن ذلك، وأقاموا الاحتفالات بهذه الليلة فلما ناموا داهمهم العذاب وهم نائمون وقد حذر الله من هذا الاعتقاد فقال: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ٨٨ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ٨٩ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ٩٠ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ٩١ ﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

٢- وهناك على هذه السواحل الذهبية من يمارس أشد أنواع الحرام من الزنا الجماعي والعلاقات المثلية واللواط وشرب الخمور ولعب القمار وكلها معلنة في أرض الله وتحت سمائه .

٣- وهناك دول تحب الربا وتشجعه وتغذيه وتدعمه وفيه إعلان الحرب مع الله ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ٢٧٩ ﴾ البقرة: ٢٧٩.

٤- وكثير من هذه المجتمعات تعيش على الرشوة خاصة التجار وأصحاب المصانع والفنادق وقد لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي والمرتشي .

٥- وهناك الخلاعة النسائية على الشواطئ .

٦- وهناك من هو معرض عن الدين من أبناء المسلمين فلا يعرف من الدين إلا اسمه ولا من الإسلام إلا رسمه فهو مشغول في هذه الدنيا يلهث وراءها .

٧- وغالب هذه الدول معرضة عن شريعة الله لا تريدها حكما ونظاماً ناهيك عن الذنوب الفردية والجماعية والرسمية، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ٧٩ ﴾ [النساء: ٧٩] .

وقال تعالى: ﴿ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٤٠ ﴾ [العنكبوت: ٤٠] .

الوقفة الرابعة : هذه المقادير المؤلمة تكون اصطفاء ورحمة للمؤمنين فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول لله صلى الله عليه وسلم يقول : (إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده فقلت يا رسول الله أما فيهم يومئذ أناس صالحون قال بلى، قلت كيف يصنع بأولئك قال : يصبهم ما أصاب الناس، ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان) [رواه أحمد] .

ولا شك أن المؤمن الموحد الغريق شهيد كما قال صلى الله عليه وسلم (والغريق شهيد) فلعل الله أراد أن يصطفي شهداء من النساء والأطفال والعجزة والفقراء يدخلهم الجنة ويصلح بالهم ﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾ [محمد: ٤].

الوقفة الخامسة : إن في هذه الزلازل عبرة للناجين والمتفرجين دولا وشعوبا أمما وأفرادا قال ابن القيم رحمه الله (وقد يأذن الله سبحانه للأرض في بعض الأحيان فتحدث فيها الزلازل العظام فيحدث من ذلك الخوف والخشية والإنابة والإقلاع عن المعاصي والتضرع إلى الله سبحانه والندم كما قال بعض السلف وقد زلزلت الأرض (إن ربكم يستعتبكم) وقال عمر بن عبد العزيز (إن هذا الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به عباده فتصدقوا واستغفروا) وأن ما وقع في آسيا قد يقع في أي مكان على هذه الأرض فهي عبرة لهم قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [النحل: ٤٥-٤٦].

أفأمن الكفار المدبّرون للمكايد أن يخسف الله بهم الأرض كما فعل بقارون، أو يأتيهم العذاب من مكان لا يُحِسُّونه ولا يتوقعونه .

ومن أصدق من الله القائل سبحانه : {﴿ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُواْ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ ﴾ [الإسراء٦٨] .

فلا تغفل أيها المسلم عما يحيط بالكون من انتقام الجبار سبحانه إذا هم عصوا أمره، وتمردوا عليه، وانخلعوا من العهد الذي أخذه الله عليهم في قوله سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف١٧٢] .

لا تغفل أيها المسلم إذا رأيت الآيات المعجزة، والبراهين المذهلة، والكوارث المدمرة، والزلازل والبراكين المهلكة، التي تصيب الدول من حولنا، لا تغفل حين تعصي الله تعالى، وتتعدى حدوده، لا تغفل عن قوله سبحانه : ﴿ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود٨٣] . أي معلَّمة عند الله بعلامة معروفة، لا تشابه حجارة الأرض، وما هذه الحجارة التي أمطرها الله على قوم لوط من كفار قريش ببعيد أن يُمْطَروا بمثلها، وكذلك غيرهم من الأمم التي تعصي الله وتجاهر بمعصيته، وتحارب أولياءه، وتترك سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وتتجه للقوانين الوضعية، التي وضعها بشر فيه الخطأ والصواب، وما أكثر خطأه بجانب صوابه، لتستعيض بها عن القرآن والسنة، يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وفي هذا تهديد لكل عاص متمرِّد على الله .

الوقفة السادسة : إن كثرة الزلازل دليل على قرب فناء العالم وحدوث الزلزلة الكبرى وهي يوم القيامة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحج: ١] .

فقد روى البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم ويتقارب الزمان وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج) .

الوقفة السابعة : إن واجب المسلم في حال وقوع الزلازل أن لا يكون كمن ماتت قلوبهم فيقول ﴿ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ ﴾ [الأعراف: ٩٥] .

وأنها أحداث طبيعية بل عليه بكثرة الاستغفار والفزع إلى الله تعالى والرحمة للمساكين والصدقة عليهم والعطف لحالهم فالراحمون يرحمهم الله (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) أبو داود والترمذي . وعليه الإنابة إلى الله وترك المعاصي والتوبة إليه والحث على تحكيم شريعته وكتابه ورفع راية الدين وتحقيق غايته ونصرة أوليائه . [من مقال بعنوان : الزلازل عذاب ورحمة وعبرة د. طارق الطواري]

إن مما يزيد العبد تعظيماً لله تعالى: التفكر والتأمل والنظر والاعتبار

في حال من غبر؛ فلقد عاش على هذه الأرض أقوام وشعوب أعطاهم الله بسطة في الجسم وقوة في البدن لم يعطها أمة من الأمم ولكنها كفرت بالله وكذبت بالرسل؛ فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ودمرهم تدميراً؛ فها هم قوم عاد الذين قالوا: من أشد منا قوة؟! أهلكهم الله ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة:٦-٧]، وها هم ثمود الذين كانوا ينحتون من الجبال بيوتاً فارهين أهلكهم الله بالصيحة ﴿ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [هود:٦٧]، فالله سبحانه لم يتكلف في عذاب هذه الأمم ولم يكن له سبحانه أن يتكلف؛ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون؛ فما بالنا نحن الأضعف والأقل قوة وبطشاً لا نخشى أن يصيبنا مثل ما أصاب أولئك؟

فالتفكر في مخلوقات الله والتفكر في نعم الله والتفكر في حال الأمم الكافرة التي من قبلنا التي تمردت على الله فذاقت وبال أمرها وكان عاقبة أمرها خسرا

هذه بإذن الله هي الدرع الحصين من الذنوب والمعاصي؛ ولا ينظر أحدنا إلى صغر الذنب ولكن لينظر إلى عظمة من عصى.

فكرر التفكر في مخلوقات الله فعلى قدر المعرفةِ يكون تعظيم الربّ تعالى في القلب، وأعرف النّاس به أشدّهم لله تعظيمًا وإجلالاً، تفكر وتأمّل آياتِ الله وإعجازَه في الكون، في كتابٍ مقروء، وصفحاتٍ مشرقة منظورَة، ليمتلئَ قلبُك إجلالاً وعظمة لله سبحانه: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [يس:٨٣]، ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر:٥٧]، ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [الروم:٨]، ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

تأمل كيف جاء الثناء عليهم بصيغة الفعل المضارع (يتفكرون) التي تدل على الاستمرار، فالتفكر ديدنهم، وليس أمرا عارضا ولم لا يكون التَّفكُّر عبادة وابن عباس يقول: ركعتان مقتصدتان في تَفَكُّر خير من قيام ليلة بلا قلب!.

قال أبو الدرداء: فكرة ساعة خير من قيام ليلة!

ووصفت أم الدرداء زوجها الصحابي الجليل بأن أكثر عبادته التَّفَكُّر، وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «طوبى لمن كان قيلهُ تذكرًا، وصَمْته تفكرًا، ونظره عبرًا».. وكان سفيان كثيرًا ما يتمثل: إذا المرء كانت له فكرة، ففي كل شيء له عبر.

وعن أبي سليمان الداراني قال: «عوِّدوا أعينكم البكاء، وقلوبكم التفكر».

ومن كلام الشافعي: «استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكرة».

وكلام السلف في تعظيم عبادة التفكر كثير، فكم هو نصيبنا منها؟

الحقيقة أن الكلمات وحتى الأرقام تعجز عن وصف سعة الكون وما يختزنه من خلق عظيم ومدهش.

[عليك بسفر ماتع نافع في بابه إنه: مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي ابن قيم الجوزية وعليك بالنسخة التي قدم لها وعلق وخرج وضبطها علي بن حسن الحلبي ومراجعة بكر بوزيد رحمه الله]

عليك بكلام جليل لأهل العلم الطبيعي في بيان شيء من عظمة الله تعالى الإنسان الكون القمر الكواكب الشمس النجوم المجرات الكوكبات البروجفي كتاب موسوم بـ [عظمة الله عز وجل لمحمد بن موسى الشريف] - فعظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.. والتدبر في خلق الله والتفكر في الكون والتأمل في الوجود حتماً يرسخ الإيمان في القلوب، فيتعاظم خالق الوجود فيه فيدفعه ذلك إلى الخشوع والإذعان له سبحانه وتعالى وهو أولى من الجماد ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾. [الحشر: ٢١]

وهكذا فقد أنزل الله تعالى القرآن الكريم والكتب السماوية من قبله؛ ليتَّخذ الإنسان مساره الصحيح، ويتعرَّف على ما يدور حوله، ويعرف مكانه في هذا الكون البديع، فيصل بذلك إلى معرفة خالقه ومدى إحاطته بمخلوقاته، ويدرك مدى قصور عقله عن الإحاطة الشاملة بعلم الله وشهوده، ويتولَّد في سريرته الإيمان والإقرار بعظمة الخالق، فيشعر بجلاله، ويبقى حي الضمير، فلا يجرؤُ على ارتكاب معصية في السرِّ أو العلن، حياءً من الله

العليم الخبير، وإرضاءً لضميره الحي الَّذي وافق الفطرة وصقله شرع اللَّه . فحينئذ – حين يحيى القلب بالتأمل في عظمة ملكوت الخالق، وحين يعود بالآيات الكونية إلى الآيات الشرعية حينئذٍ يقوم القلب بين يدي الرحمن مطرقاً لهيبته، خاشعاً لعظمته، عانٍ لعزته ؛ فيسجدَ بين يدي الملك الحق المبين سجدةً لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيد . فهذا سَفَرُ القلب وهو في وطنه وداره ومحل ملكه وهذا من أعظم آيات اللَّه وعجائب صنعه فيا له من سفر ما أبركه وأروحه وأعظم ثمرته وربحه وأجل منفعته وأحسن عاقبته سفر هو حياة الأرواح ومفتاح السعادة وغنيمة العقول والألباب لا كالسفر الذي هو قطعة من العذاب .

أيها المسلم : يا من تشهد ألا إله إلا اللَّه، محمد رسول اللَّه، كيف تجرؤ على المعصية ورب السموات والأرض واللَّه لو قدرت اللَّه حق قدره وعظمته حق تعظيمه لما سطوت على معصية، ولما تجرأت على محاربته بالذنوب والمعاصي. قال بشر الحافي: (لو تفكر الناس في عظمة اللَّه تعالى لما عصوه) . إذن .. هذا الكون الواسع كله دليل على وحدانية اللَّه تعالى قال اللَّه عز وجل :﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩] أقوى الحُجَجْ ما أقر به الخصم إذ لا انفكاك له منه وكما يقول العلماء أقوى الأدلة الإقرار إنما ذكر اللَّه عز وجل ذلك محتجاً على المشركين الذين كفروا به وجحدوا ألوهيته فأقام عليهم الحُجَةَ في ألوهيته بما أقروه من ربوبيته تبارك وتعالى، يقول أبو العتاهية :

فيا عجباً كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد

وللَّه في كل تحريكة ... وفي كل تسكينة شاهد

وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وقال أبو نواس، فللّه در القائل :

تأمل سطور الكائنـــات فإنهـــا من الملإ الأعلى إليك رســـائـــل

وقد خط في لوح الوجود يراعهـا ألا كل شيء ما خلا اللّه بـــاطـــل

تشير بإثبات الصفــات لربهـــا فصامتها يهدي ومن هو قائـــل

تأمل في نبات الأرض وانظـــر إلى آثار مـــا صنـــع المليــــكُ

عيون مــن لُجَيــن شــاخصات بأحداقٍ هــو الذهــبُ السبيــكُ

على كُتُبِ الزَّبَرْجَـد شاهــداتٌ بأن اللّه ليس لــه شريـــــكُ

أرأيت الشموس في أفلاكـــها كيـف تعلقـت بنجم ثاقب

أرأيت الرياح كيف سخرت فمنـــها الكريم ومنها المعاقب

أرأيت الأرض كيف في دورانها تمســكت بكل ثابت وسائب

أرأيت الأرزاق كيف دبرت وهل إلى الطيور زارع أو كاسب

أرأيت النحل كيف رشف رحيق الزهور فأخرج الشفاء مشارب

أرأيت النمل كيف خزن طعامه وهـل للنمل كاسب أو حاسب

أرأيت العنكبوت كيف نسجت وكم في الخيوط صائد ومصائب

أرأيت الفـــرخ كيف نقر البيــض وخرج في الوقـت المناسب

أرأيت الوليد كيف التقم ثدي الأم دون علـم سابق أو تجارب

أرأيت الإنســان كيـف ضحتك وكيف تثائب

أرأيـت نفســك نائما وقـد ذهبت بك الأحـــلام مذاهب

إذا رأيـت ذلـك كلـه فاخشـع فـلا نجـاة لهـــارب

فسبحانك سبحانـــك رب المشـــارق والمغــــارب

سبحانك يا رب..

يقول الدكتور عايض القرني :

كم نطلب اللّه في خير يحل بنا ... فإن تولت بلايانا نسيناه

ندعوه في البحر أن ينجي سفينتنا ... فإن رجعنا إلى الشاطئ عصيناه

ونركب الجو في أمن وفي دعة ... فما سقطنا لأن الحافظ الله

أدلة ناصعة وبراهين ساطعة على وجود الله

هـذا هو الدليـل : قيل لأحدهم : إن فلانا من الناس أقام ألف دليـل على وجود اللّه، فقالت : لو لم يكن عنده ألف شك لما أقام ألف دليل . قالوا : فما الدليل ؟ قالت : إذا كان رجل يمشي في الصحراء وحده فسقط في بئر ولم يكن عنده من ينجيه، ماذا يقول ؟

قالوا : يقول « يا اللّه »، قالت : ذاك هو الدليل !

سأل رجلٌ جعفر الصادق رحمه اللّه، فقال له : يا إمام من هو اللّه ؟!

فقال له : ألم تركب البحر ؟ قال : بلى، قال : هل حدث مرة أن هاجت الريح عاصفة ؟ قال : نعم، قال : وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة ؟ قال : نعم، قال : فهل خطر في بالك وانقدح في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء ؟ قال : نعم، قال : ذلك هو اللّه !. - وتقدم ذلك -

فإن كل إنسان يحسّ من تلقاء نفسه أنّ له رباً وخالقاً ويشعر بالحاجة إليه وإذا وقع في ورطة عظيمة اتجهت يداه وعيناه وقلبه إلى السماء يطلب الغوث من ربه .

ففي صحيح مسلم عن عياض بن حمار أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم خطب ذات يوم فكان مما جاء في خطبته : (إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا : كل مال نحلته عبادي حلال وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأجالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً) [رواه مسلم]، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال صلى اللّه عليه وسلم : (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

وإن هذا الإقرار الفطري بالخالق الحكيم ليولد مع الإنسان منذ البداية، ويظل يصحبه في مختلف أطوار حياته، ما لم تفسد فطرته وتنتكس بفعل العوارض والأهواء

فالكفر طارئ عارض، فإذا تاب منه صاحبه فقد رجع إلى الفطرة الـتي فُطر عليها وإلى الأصل الذي شذ عنه وخرج عليه .

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾[يونس:١٢]، وقـال تعـالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[يونس:٢٢]، وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾[لقمان:٣٢] .

وإن العتـاة الغلاظ من أكابر الملاحدة والـكافرين لم يستطيعوا دفـع هذه الحقيقة عن أنفسـهم، ولا جحدوها بأفئدتهم وإن جحدتها ألسـنتهم ظلماً وعلوًّا، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[النمل:١٤]

بـل إن فرعون – على ما كان عليه مـن عتـوّ وطغيـان – لـم يسـتطع أن يدفع عن نفسـه هذه المعرفة الضرورية، وكان أول من يعرف عن نفسه كذبها في دعوى الألوهية، ويتجلى ذلك من مُحاجّته لموسى، ومن قول موسى له فيما ذكر عنه القرآن الكريم : ﴿ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾[الإسراء:١٠٢] .

بل ومن قوله حين أدركه الغرق حيث لا ينفعه إيمان، ولا تقبل له توبة : ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾[يونس:٩٠] .

من: [أدلة توحيد الربوبية ووجود الله سبحانه وتعالى زياد أبو رجائي].

لا ينبغي لعاقل إذا رأى الشمس ساطعة في أفق السماء أن يقول: ما هو الدليل على أن الشمس طالعة ؟ فإذا كان كذلك فيجب أن يسأل: ما هو الدليل على وجود عقله في رأسه ؟ دخـل بعض الملاحدة يومـاً على طلابـه، وأراد بهذا القانون أن يثبت الضـد، فقال لهم: يا أولاد! هل ترون أسـتاذكم؟ قالوا: نعم، فقال: هل ترون السبورة التي أكتب لكم عليها؟ قالوا: نعم، فقال: هل ترون الكرسي الذي أجلس عليه ؟ قالوا: نعم، وتدرج بهذه الأسئلة إلى

أن قال: هل ترون الله؟!! قالوا: لا، قال: إذاً: هو غير موجود!! وهؤلاء هم الماديون الأغبياء الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس المرئي، فقيض الله تلميذاً صغيراً من تلاميذه، فاستأذن أستاذه ووقف إلى جواره، واتجه التلميذ إلى زملائه وقال: يا أولاد! هل ترون عقل الأستاذ؟ قالوا: لا، قال: إذاً: هو غير موجود!! أي: أنه مجنون، والمجنون ليس له قيمة!

ورقة التوت .. ذات يوم جاء بعض الناس إلى الإمام الشافعي، وطلبوا منه أن يذكر لهم دليلاً على وجود الله عز وجل! ففكر لحظة، ثم قال لهم: الدليل هو ورقة التوت، فتعجب الناس من هذه الإجابة، وتساءلوا: كيف تكون ورقة التوت دليلاً على وجود الله؟! فقال الإمام الشافعي: "ورقة التوت طعمها واحد؛ لكن إذا أكلها دود القز أخرج حريرا، وإذا أكلها النحل أخرج عسلاً، وإذا أكلها الظبي أخرج المسك ذا الرائحة الطيبة.. فمن الذي وحد الأصل وعدد المخارج؟ إنه الله - سبحانه وتعالى - خالق الكون العظيم!

فأين من ينكر خلق الله وإيجاده له وينسب ذلك للطبيعة ؟!!!!!

ونذكر هذا وأمثاله بقول القحطاني في نونيته:

قل للطبيب الفيلسوف بزعمه	إن الطبيعة علمها برهان
أين الطبيعة عند كونك نطفة	في البطن إذ مشجت به المآن
أين الطبيعة حين عدت عليقة	في أربعين وأربعين تواني
أين الطبيعة عند كونك مضغة	في أربعين وقد مضى العددان
أترى الطبيعة صورتك مصورا	بمسامع ونواظر وبنان
أترى الطبيعة أخرجتك منكسا	من بطن أمك واهي الأركان
أم فجرت لك باللبان ثديها	فرضعتها حتى مضى الحولان
أم صيرت في والديك محبة	فهما بما يرضيك مغتبطان
يا فيلسوف لقد شغلت عن الهدى	بالمنطق الرومي واليوناني
أفتستر الشمس المضيئة بالسها	أم هل يقاس البحر بالخلجان

سبحان الله، لله في كل شيءٍ آية، وتعمى عنها عيون أو تتعامى.

[دعوة للتأمل للشيخ علي عبد الخالق القرني]

ومـن الأخطاء .. المقولة (غضب الطبيعة) الجبال والبحار والسيول والبراكين وباقي مظاهر الطبيعة .. تغضب من بني آدم وتؤدي إلى الكوارث ، وهذا خطأ.

فالطبيعـة إنمـا هي مخلوق من مخلوقات الله ليس لهـا إرادة ولا اختيـار، بل تأتمر بأمـره وتخضع لتدبـيره وتقديره، قال الله تعالى في السـماوات والأرض مبيناً خضوعهما لأمـره وتقديـره: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [فصلت: ١١]، فلا تصح نسبة الغضب أو أثره إلى الطبيعة ولو كان القائل يقول ذلك على سبيل المجاز، لما فيه من احتمال المعنى الكفري الذي يعتقده الشيوعيون الكفار من أن الطبيعة لها تصرف في الكون.

وعموماً فإن الشـارع الحكيم ينهي عن المقولات التي توهم معنى فاسداً، ومن ذلك نهيه للمؤمنين عن أن يقولوا للرسـول صلى الله عليه وسـلم كلمة (راعنا) وإن كانوا لا يقصدون معنى فاسداً، إلا أنه لما كان اليهود يقولونها على سبيل السب للرسول الكريم عليه الصلاة والسـلام نهى الله عباده عن ذلك، دفعاً للبس والإيهام.

ومن الخطأ قول : «وهبته الطبيعة قوة» الذي يهب القوة والشجاعة وكل صفات المخلـوق هـو الله جل وعـلا وأما الطبيعة فهـي مخلوقة لا خالقة وليس لهـا أن تعطي أو تمنع وهذه الكلمة رغم شيوعها وانتشارها هي في الأصل من كلام الملاحدة الذين ينكرون وجود الله ويقولون : إن كل شيء من صنع الطبيعة .

ومثلها : هذا الشيء خلقته الطبيعة، هذا من صنع الطبيعة، وسنة الطبيعة ما زال في عالمنا بعض هبات الطبيعة والتعليل وهذا من الشرك فليست الطبيعة خالقة ولا لها سـنة ولا صنع، وهي مخلوقة وليسـت خالقة، ويكثر للأسف في وسائل الإعلام عند التعليق على البرامج التي تتحدث عن طبائع الحيوانات، أو عن الجمادات.

والصواب : هذا الشيء خلقه الله تعالى، هذه سُـنة الله في الطبيعة، هذه سنة الله في الكون). وانظر [ألفاظ ومفاهيم في ميزان الشريعة ابن عثيمين] .

تحدى أحد الملحدين – الذين لا يؤمنون بالله – علماء المسلمين في أحد البلاد، فاختاروا أذكاهـم ليرد عليه، وحددوا لذلك موعدًا. وفي الموعـد المحدد ترقب الجميع وصول العالم،

لكنه تأخر، فقال الملحد للحاضرين: لقد هرب عالمكم وخاف: لأنه علم أني سأنتصر عليه، وأثبت لكم أن الكون ليس له إله! وأثناء كلامه حضر العالم المسلم واعتذر عن تأخره، ثم قال: وأنا في الطريق إلى هنا، لم أجد قاربًا أعبر به النهر، وانتظرت على الشاطئ وفجأة ظهر في النهر ألواح من الخشب، تجمعت مع بعضها بسرعة ونظام حتى أصبحت قاربًا، ثم اقترب القارب مني، فركبته وجئت إليكم. فقال الملحد: إن هذا الرجل مجنون، فكيف يتجمع الخشب ويصبح قاربًا دون أن يصنعه أحد، وكيف يتحرك بدون وجود من يحركه؟! فتبسم العالم، وقال: فماذا تقول عن نفسك وأنت تقول: إن هذا الكون العظيم الكبير بلا إله؟.

[مختارات ولطائف ج ١ عبد الملك القاسم]

وذكر ابن كثير أن أبا حنيفة النعمان، دعاه أحد الملحدين ليجادله في وجود الله، واتفقا على موعد ومكان. وحضر الناس ليشهدوا الموقف، وحان الموعد، وتأخر الإمام كثيراً، حتى مل الناس الانتظار، وكانوا يقولون إن أبا حنيفة قد هرب، ثم حضر أبو حنيفة فسأله مجادله، لماذا تأخرت ولم تف بوعدك؟ فقال أبو حنيفة: أردت عبور النهر فلم أجد مركباً، فانتظرت حتى جاءت أشجار فنشرت، ثم صارت بنفسها ألواحاً، ثم تجمعت الألواح، فصارت مركباً فركبتها فعبرت بي نهر دجلة. تعجب الرجل من قوله، وأخذ يقول للناس أجئتموني بعاقل أناقشه؟ أم بمجنون يهرف بما لا يعرف؟ هل يتصور أحد أن يفعل الشجر ذلك بنفسه، وأن تتحول الأشجار إلى ألواح ثم سفينة بدون صانع لها؟! فقال الإمام: أنت تستكثر على سفينة واحدة أن تصنع بدون صانع؟ فكيف إذن قبلت أن تقول: إن هذا العالم كله أرضه وسماءه، إنسانه وحيوانه، بحاره وأنهاره وكل شيء فيه صنع بدون صانع ووجد من غير موجد؟ فبهت الرجل ثم تنبه فآمن وآمن معه ألوف من الناس الذين كانوا على دينه.

حقاً إن ذلك يدل على الخالق العظيم، ألا فلتتفكر العقول، فإنها إن فعلت فسوف تقود أصحابها إلى خالقهم ببساطة وسهولة ويسر، كما حصل لهذا الأعرابي.

إن الأدلة العقلية على وجود الخالق جل وعلا، منبثة في ثنايا هذا الوجود وفي هذه العوالم من حولنا .

قصة نهاية تعيسـة : في أحد الجامعات فجأة وقف أحد الطلبة ممسكًا بساعته محدقًا نظره فيها وهو يصرخ قائلاً [إن كان الله موجودًا فليمتني إذًا بعد ساعة] وكان مشهدًا عجيبًا شهده جمهرة من الطلاب والأساتذة، ومرت الدقائق عجلى، وحين أتمت الساعة دقائقها انتفض الطالب الجاحد بزهو وتحد، وهو يقول لزملائه أرأيتم لو كان الله موجودًا لأماتني، وانصرف الطلاب وفيهم من وسوس له الشيطان وفيهم من قال [إن الله أمهله لحكمته] وفيهم من هز رأسه وسخر منه، أما الشاب الجاحد فذهب إلى أهله مسـرورًا؛ لأنه بزعمه أثبت بدليل عقلي لم يسـبقه إليه أحد أن الله سبحانه غير موجود، فجحد الخالق وأنكره، ثم دخل منزلـه، وقبل أن يتنـاول طعام الغداء قام بغسـل يديه ووجهه ورأسـه فإذا به يسـقط على الأرض جثة لا حراك بها، وأثبت الطبيب الشرعي أنه قد مات بسبب الماء الذي دخل في أذنه، فأبى الله إلا أن يموت هذا الجاحد كما يموت الحمـار، لأنه من المعروف علميًـا أن الحمار إذا دخل المـاء في أذنيه مات .أعوذ بالله من الكفر وسوء الخاتمة .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥] .

هَذَا الْمَقَام فِي إِثْبَات الرُّبُوبِيَّة وَتَوْحِيد الْأُلُوهِيَّة فَقَالَ تَعَالَى ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ أَيْ أُوجِدُوا مِنْ غَير مُوجِد ؟ أَمْ هُمْ أَوْجَدُوا أَنْفُسَهُمْ أَيْ لَا هَذَا وَلَا هَذَا بَلْ اللَّه هُوَ الَّذِي خَلَقَهُمْ وَأَنْشَأَهُمْ بَعْد أَنْ لَمْ يَكُونُوا شَيْئًا مَذْكُورًا . عن جُبَيْربْن مُطْعِم قَالَ سَمِعْت النَّبِيّ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأ فِي الْمَغْرِب بِالطُّور فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الْآيَة ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِير وَهَذَا الْحَدِيث مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ طُرُق عَنْ الزُّهْرِيّ بِهِ وَجُبَيْربْن مُطْعِم كَانَ قَدْ قَدِمَ عَلَى النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْد وَقْعَة بَدْر فِي فِدَاء الْأُسَارَى وَكَانَ إِذْ ذَاكَ مُشْرِكًا فَكَانَ سَمَاعه هَذِهِ الْآيَة مِنْ هَذِهِ السُّورَة مِنْ جُمْلَة مَا حَمَلَهُ عَلَى الدُّخُول فِي الْإِسْلَام بَعْد ذَلِكَ . [تفسيرابن كثير] .

﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ وهـذا اسـتدلال عليهم، بأمر لا يمكنهم فيه إلا التسـليم للحق، أو الخروج عن موجب العقل والدين، وبيان ذلك: أنهم منكرون لتوحيد الله، مكذبون لرسوله، وذلك مستلزم لإنكار أن الله خلقهم.

وقد تقرر في العقل مع الشرع، أن الأمر لا يخلو من أحد ثلاثة أمور:

إمـا أنهم خلقوا من غير شيء أي: لا خالق خلقهـم، بل وجدوا من غير إيجاد ولا موجد، وهذا عين المحال.

أم هم الخالقون لأنفسهم، وهذا أيضا محال، فإنه لا يتصور أن يوجدوا أنفسهم فإذا بطل [هذان] الأمران، وبان استحالتهما، تعين [القسم الثالث] أن اللَّه هو الذي خلقهم، وإذا تعين ذلك، علم أن اللَّه تعالى هو المعبود وحده، الذي لا تنبغي العبادة ولا تصلح إلا له تعالى.

وقولـه: ﴿ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ ﴾ وهـذا اسـتفهام يدل على تقريـر النفي أي: ما خلقوا السماوات والأرض، فيكونوا شركاء للّه، وهذا أمر واضح جدا. ولكن المكذبين ﴿ لَّا يُوقِنُونَ ﴾ أي: ليـس عندهـم علم تام، ويقين يوجب لهم الانتفاع بالأدلة الشـرعية والعقلية. [تفسير السعدي].

الآن السؤال هو: كيف يعرف العبد اللَّه تعالى؟ يعرفه بمعرفة نفسه أولاً، قال تعالى ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الذاريات: ٢١] ثم يستدل على وجود اللَّه تعالى بهذا الكون كله بما في ذلك نفس الإنسان، لأن الإنسان مخلوق وهذا الكـون مخلوق، والمخلوق لا بد له من خالق، والخالق عدلاً لا بد أن يكون مخالـف للمخلوق، ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشـورى: ١١] . إذن يعرف العبد أن له رباً خالقاً عظيماً يسـتحق للعبادة، يعرفه بأسـمائه وصفاته وآلائه (فإذا قيل من ربك؟ فقل: ربي اللَّه الذي ربَّاني وربى جميـع العالمـين بنعمه، وهو معبـودي ليس معبود لي سـواه، والدليـل قوله تعالى: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وكل ما سـوى الله عالم، وأنا واحد من هذا العالم. فإذا قيل كيف عرفت ربك فقل بآياته ومخلوقاته، ومن آياته: الليل والنهار والشمس والقمر، ومن مخلوقاته: السماوات السبع وما فيهن وما بينهن، ودليل ذلك قولـه تعـالى: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلـت: ٣٧]، وقولـه تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [لأعراف: ٥٤] .

والرب هو المعبود والدليل قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢] قال ابن كثير رحمه الله تعالى الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة - فالذي لا يخلق ولا يرزق لا يستحق أن يعبد - .

[الأصول الثلاثة لمحمد بن عبد الوهاب]

ومن المعلوم أن الإيمان بالله تعالى يتضمن الإيمان بوجوده سبحانه تعالى .

وقد دل على وجود الله تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس .

إذا قال قائل: ما الدليل على وجود الله عز وجل ؟ قلنا: الدليل على وجود الله: العقل، والحس، والشرع.

ثلاثة كلها تدل على وجود الله، وإن شئت، فزد: الفطرة، فتكون الدلائل على وجود الله أربعة: العقل، والحس، والفطرة، والشرع. وأخرنا الشرع، لا لأنه لا يستحق التقديم، لكن لأننا نخاطب من لا يؤمن بالشرع.

فأما دلالة العقل، فنقول: هل وجود هذه الكائنات بنفسها، أو وجدت هكذا صدفة ؟ فإن قلت: وجدت بنفسها، فمستحيل عقلاً ما دامت هي معدومة ؟ كيف تكون موجودة وهي معدومة ؟! المعدوم ليس بشيء حتى يوجد، إذاً لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها وإن قلت: وجدت صدفة، فنقول: هذا يستحيل أيضاً، فأنت أيها الجاحد، هل ما أنتج من الطائرات والصواريخ والسيارات والآلات بأنواعها، هل وجد هذا صدفة ؟! فيقول: لا يمكن أن يكون. فكذلك هذه الأطيار والجبال والشمس والقمر والنجوم والشجر والجمر والرمال والبحار وغير ذلك لا يمكن أن توجد صدفة أبداً.

ويقال: إن طائفة من السمنية جاءوا إلى أبي حنيفة رحمه الله، وهم من أهل الهند، فناظروه في إثبات الخالق عز وجل، وكان أبو حنيفة من أذكى العلماء فوعدهم أن يأتوا بعد يوم أو يومين، فجاءوا، قالوا: ماذا قلت ؟ قال أنا أفكر في سفينة مملوءة من البضائع والأرزاق جاءت تشق عباب الماء حتى أرست في الميناء ونزلت الحمولة وذهبت، وليس فيها قائد ولا حمالون.

قالوا: تفكر بهذا؟! قال: نعم. قالوا: إذاً ليس لك عقل! هل يعقل أن سفينة تأتي بدون قائد وتنزل وتنصرف؟! هذا ليس معقول! قال: كيف لا تعقلون هذا، وتعقلون أن هذه السماوات والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب والناس كلها بدون صانع؟ فعرفوا أن الرجل خاطبهم بعقولهم، وعجزوا عن جوابه هذا أو معناه.

وقيل لأعرابي من البادية: بم عرفت ربك؟ فقال: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على السميع البصير؟ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥]. فحينئذ يكون العقل دالاً دلالة قطعية على وجود الله.

- وأما دلالة الحس على وجود الله، فإن الإنسان يدعو الله عز وجل، يقول: يا رب! ويدعو بالشيء، ثم يستجاب له فيه، وهذه دلالة حسية، هو نفسه لم يدع إلا الله، واستجاب الله له، رأى ذلك رأي العين. وكذلك نحن نسمع عمن سبق وعمن في عصرنا، أن الله استجاب . فالأعرابي الذي دخل والرسول صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة قال: هلكت الأموال، وانقطعت السبل فادع الله يغيثنا قال أنس: (والله، ما في السماء من سحاب ولا قزعة «أي: قطعة سحاب» وما بيننا وبين سلع «جبل في المدينة تأتي من جهته السحب» من بيت ولا دار.. وبعد دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم فوراً خرجت سحاباً مثل الترس، وارتفعت في السماء وانتشرت ورعدت، وبرقت، ونزل المطر، فما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم إلا والمطر يتحادر من لحيته عليه الصلاة والسلام) [رواه: البخاري] وهذا أمر واقع يدل على وجود الخالق دلالة حسية. وفي القرآن كثير من هذا، مثل: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ ۖ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٣-٨٤] وغير ذلك من الآيات.

- وأما دلالة الفطرة، فإن كثيراً من الناس الذين لم تنحرف فطرهم يؤمنون بوجود الله، حتى البهائم العجم تؤمن بوجود الله، وقصة النملة التي رويت عن سليمان عليه الصلاة والسلام، خرج يستسقي، فوجد نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها نحو السماء، تقول: (اللّهم أنا خلق من خلقك، فلا تمنع عنا سقياك) . فقال: (ارجعوا،

فقد سقيتم بدعوة غيركم) فالفطر مجبولة على معرفة الله عز وجل وتوحيده. وقد أشار الله تعالى إلى ذلك في قوله: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢-١٧٣] ، فهذه الآية تدل على أن الإنسان مجبول بفطرته على شهادته بوجود الله وربوبيته وسواء أقلنا: إن الله استخرجهم من ظهر آدم واستشهدهم، أو قلنا: إن هذا هو ما ركب الله تعالى في فطرهم من الإقرار به، فإن الآية تدل على أن الإنسان يعرف ربه بفطرته.

- وأما دلالة الشرع، فلأن ما جاءت به الرسل من شرائع الله تعالى المتضمنة لجميع ما يصلح الخلق يدل على أن الذي أرسل بها رب رحيم حكيم، ولا سيما هذا القرآن المجيد الذي أعجز البشر والجن أن يأتوا بمثله.

و هذه أدلة أربعة تدل على وجود الله سبحانه وتعالى.

[من شرح العقيدة الواسطية للعلامة محمد بن عثيمين يرحمه الله ووالدينا وجميع المسلمين والمسلمات]

وذكر رحمه الله في رسالته شرح أصول الإيمان: دلالة الفطرة على وجوده: فإن كل مخلوق قد فطر على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه). [رواه البخاري].

ومن الأدلة على وجود الخالق سبحانه وتعالى: أن (آيات الأنبياء) التي تسمى (المعجزات) ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى، لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى، تأييداً لرسله ونصراً لهم.

مثال ذلك آية موسى -صلى الله عليه وسلم- حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه فانفلق اثني عشر طريقاً يابساً، والماء بينها كالجبال، قال الله تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الشعراء:٦٣]، ومثال ثان: (آية عيسى صلى الله عليه وسلم) حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ [آل عمران:٤٩]،

وقال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ﴾ [المائدة: ١١٠] ، ومثال ثالث (لمحمد صلى الله عليه وسلم) حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر فانفلق فرقتين فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ ﴾ [القمر: ١-٢] ، وقد أثبت علماء الفضاء هذا، حيث كانت مقابلة على شاشة تلفاز لإحدى القنوات الانكليزية مع علماء الفضاء وأثبتوا أن هنالك حزام من الصخور متوسطاً للقمر وعلى طوله وهذا - أي قولهم - يعطي دلالة أن القمر كان منشطراً يوما ما فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى تأييداً لرسله، ونصراً لهم، تدل دلالة قطعية على وجوده تعالى. أهـ

عجائب البحر أعظم من أن يحصيها أحد إلا الله، كشف علماء البحار من النصف الثاني من القرن العشرين أن في البحار أمواجاً عاتية دهماء مظلمة حالكة، إذا أخرج المرء يده لم يكد يراها فعلى عمق ستين متراً عن سطح البحر يصبح كل شيء مظلماً في البحار، بمعنى أننا لا نستطيع رؤية الأشياء في أعماق تبعد ستين متراً عن سطح البحر، ولذلك زود الله الأحياء البحرية التي تعيش في أعماق البحار اللجية بنور تولده لنفسها ومن لم يجعل الله له نوراً في تلك الظلمات فما له من نور، نسي هؤلاء المكتشفون أن الله ذكر تلك الظلمات في قوله قبل أن يخلقوا وآباؤهم وأجدادهم، ﴿ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ۝٤٠ ﴾ [النور: ٤٠] ، تُرْجِمَ معنى هذه الآية لعالم من علماء البحار أفنى عمره في ذلك وظن أنه على شيء وأنه اكتشف شيئا وجاء بشيء فيه إبداع فقال في دهشة بعد ترجمة الآية : إن هذا ليس من عند محمد الذي عاش حياته في الصحراء، ولم يعاين البحر ولجه وظلماته وأمواجه وشعبه، إن هذا من عند عليم خبير ثم شهد شهادة الحق ودخل في دين الله، نعم لا يملك إلا ذلك، من واصف الظلمات في قعر البحار سوى الله العليم الباري، سبحانه ملكاً على العرش استوى وحوى جميع المُلْكِ والسلطان، لا إله إلا الله كيف تعمى العيون وتعمى القلوب عن آيات الله، أإله مع الله، تعالى الله.

[دعوة للتأمل للشيخ علي عبد الخالق القرني]

ولو لم يكن رداً على من ينكر وجود الله إلا قول الله عز وجل: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[الطور:٣٥] لكفت وشفت ووفت وأفحمت.

يقول: الألباني رحمه الله: (طالب الحق يكفيه دليل وصاحب الهوى لا يكفيه ألف دليل، الجاهل يتعلم وصاحب الهوى ليس لنا عليه سبيل).

مقولة بعضهم: الله ما رأيناه لكن بالعقل عرفناه. خطأ والصحة أننا عرفنا الله بالفطرة قبل العقل عرفنا ربنا بفطرتنا التي فطرنا الله عليها ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم:٣٠]. قبل العقل وفي الحديث (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ..) [البخاري] فنحن عرفنا ربنا بفطرته التي فطرنا عليها توحيده وعبادته ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [الأعراف:١٧٢].

لقد فطر الله عباده على معرفته، فإن الإنسان بفطرته يَعلم أن كل مخلوق لا بد له من خالق، وأن المُحدَث لا بد له من مُحدِث، وقد ذكر الله الأدلة الكونية من آيات السماوات والأرض على وجوده، وقدرته، وعلمه، وحكمته، ولهذا يذكّر الله عباده بهذه الآيات، وينكر على المشركين إعراضهم عنها، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[يوسف:١٠٥] وهذه المعرفة الحاصلة بالآيات الكونية هي من معرفة العقل، فتحصل بالنظر، والتفكّر؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾[الأعراف:١٨٥]، ويقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[الروم:٨]، وبهذا يتبين أن من طرق معرفة الله طريقين: العقل، والسمع – وهو النقل – وهو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من الكتاب، والسنَّة، وأن مِن أسمائه وصفاته ما يُعرف بالعقل والسمع، ومنها ما لا يعرف إلا بالسمع.

وبهذه المناسبة: يحسُن التنبيه إلى أنه يجب تحكيم السمع – وهو الوحي – وجعل العقل تابعاً مهتدياً بهدى الله، ومن الضلال المبين أن يعارَض النقل بالعقل، كما صنع كثير من طوائف الضلاّل، من الفلاسفة، والمتكلمين.

اللّه خالق كل شيء وما خلق اللّه شـيئا إلا لحكمة لم يخلق شـيئا عبثا تعالى اللّه عن ذلك وتنزه وتقدس :

ولعل سائلا يقول: لماذا خلق اللّه الحشرات الضارة مثل الحربية والثعابين، وأنواع كثيرة من الحشـرات قد لا يوجد لها نفعا للإنسان الجواب : اللّه سبحانه وتعالى كما قـال: ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأنبيـاء:٢٣] . هذا مع إيماننـا بأن أفعاله تابعة لحكمته سـبحانه وتعالى، فهو لا يخلق شـيئا عبثا ولا باطلا، إلا أنه قد يخفى على الناس بعض أوجه هذه الحكمة؛ لأنهم لا يحيطون به علما. قـال تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ [البقـرة:٢٥٥] . وقـال:﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] وكم من أشياء في هذا الكون كان الناس في السابق لا يقدرون لها قيمة، ثم بعد تقدم العلوم التجريبية أدركوا قيمتها، والمطلع على دراسـات الجيولوجيا والفيزياء والأحياء يدرك ذلك، انظر مثلا إلى بعض عناصر الأرض، كأشباه الموصلات -التي هي في مرتبة متوسطة بين المواد الموصلة للكهرباء والمواد العازلة لها-، هل كان الناس في القرون السـابقة يعرفون قيمتها؟ بالطبع لا، ولكن بعد التقدم التكنولوجي في هذا الزمان أصبحت الثورة الالكترونية بأكملها قائمة على هذه المواد.

وكذلك في عالم الكائنات الحية، فالعلم يكشف عن أدوار لبعض الكائنات الحية لم تكن معروفة من قبل، فهي تشكل حلقة في إحدى منظومات الكون، فقد تكون مفيدة بغيرها لا بذاتها. وقد يدخل في حكمة خلقها أيضا الاعتبار.

قال الإمام القرطبي في تفسـيره: فإن قيل : وأي اعتبار في العقارب والحيات؟ قلنا : قد يتذكر الإنسـان ببعض ما يرى من المؤذيات ما أعد اللّه للكفار في النار من العقوبات فيكون سببا للإيمان وترك المعاصي وذلك أعظم الاعتبار.

[تفسير القرطبي - القرطبي - ج ١ - الصفحة ٢٥٢]

حكمة خلق الحشرات والوحوش ونحوها

المفتي فضيلة الشيخ عطية صقر. مايو ١٩٩٧ المبدأ : القرآن والسنة.

سئل : إذا كانت الحشرات والوحوش ضارة للإنسان فلماذا خلقها الله سبحانه ؟

أجاب : من صفات اللّه تعالى أنه حكيم عليم خبير، فهو سبحانه منزه عن العبث في جميع تصرفاته، والعقل الإنساني مهما كانت قوته محدود، فهو يجهل كثيرا من أسرار الخلق، بل وفيما كلف به من أعمال قال تعالى ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء:٨٥] وقال ﴿ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ ﴾ [البقرة:٢١٦] وقد أمرنا بالبحث والنظر في ملكوت السماوات والأرض وما خلق اللّه من شيء وشجع العلم في كل مجالاته، وكرم العلماء ورفعهم درجات، وقد أدرك السابقون بعضا من حكم الخلق وما يزال العلم الحديث يكشف عن حكم وأسرار. إن وجود الحشرات والحيوانات المتوحشة فيه حفظ للتوازن بين المخلوقات، وقد ذكر الجاحظ في كتابه «حياة الحيوان» أن من العجيب في قسمة الأرزاق أن الثعلب يصيد القنفذ فيأكله، والقنفذ يصيد الأفعى ليأكلها، والأفعى تصيد العصفور لتأكله، والعصفور يصيد الجراد فيأكله إلى غير ذلك مما ذكره، كما أن وجودها فيه منافع تغيب عن أذهان الكثيرين، فإلى جانب منافعها الاقتصادية من جلود وعظام وشعر، وما تقوم به الحشرات من حمل اللقاح للنبات - هي جنود يسلط اللّه بعضها على بعض للقضاء عليها أو الحد من تكاثرها لفسح المجال للإنسان كما أنها جنود يعذب اللّه بها أقواما يعبدوه ولم يشكروا نعمته. ألم يقل اللّه في عذاب قوم فرعون ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [الأعراف:١٣٣] وألم نعلم أنه لولا السوس مثلا لادخرنا الحبوب ومنعناها عن غيرنا ممن يحتاجونها؟ جاء في حياة الحيوان الكبرى للدميري «مادة ذباب» أن أبا جعفر المنصور كان جالسا فألح على وجهه ذباب حتى أضجره فاستدعى عالما فجيء له بمقاتل بن سليمان «توفى سنة ١٥٥ هـ» فسأله : لماذا خلق اللّه الذباب ؟ فقال: ليذل به الجبابرة فسكت المنصور، وقال الدميري في مناقب الشافعي «توفى سنة ٢٠٤هـ» إن المأمون سأله مثل هذا السؤال. فقال : مذلة للملوك. فضحك المأمون وقال: رأيته وقد وقع على جسدي ؟ فقال : نعم ولقد سألتني عنه وما عندي جواب، فلما رأيته قد سقط منك بموضع لا يناله منك أحد فتح اللّه لي فيه الجواب، فقال : للّه درك. هكذا كان جواب العلماء في حكمة خلق الذباب بما بدا لهم في حينه، وصدق اللّه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ [الحج:٧٣].

إن في خلق كل شيء حكمة وله فائدته، حتى إبليس نفسه، جعله الله عدوا مبينا لنا لنعبد الله بمجاهدته فنؤجر، ونستعيذ بالله منه فنثاب، ولولاه مع الغرائز ما كانت حركة الحياة، ولكنا ملائكة نمشى على الأرض فلا نستطيع تحقيق الخلافة فيها، فلنؤمن بأن الله حكيم فيما خلق وشرع ولنحاول أن نستفيد من خلقه بما يزيدنا إيمانا به.

الكفار يقولون: مادام الله قد حرم شيئا فلماذا خلقه في الكون؟ كأنهم يعتقدون أن كل مخلوق في الأرض قد خلق ليؤكل، وما علموا أن لكل مخلوق في الأرض مهمة، فهم الآن يمسكون الحيات والثعابين ليستخلصوا منها السموم؛ حتى يقتلوا بها الميكروبات التي تقتل الإنسان، وكانوا قبل اكتشاف فائدة السم في الثعبان يتساءلون «وما فائدة خلق مثل هذه الثعابين؟». فلما أحوجهم الله وألجأهم إلى أن يستفيدوا بما في الثعابين من سم؛ ليجعلوه علاجا أدركوا حكمة الله من خلق هذه الأنواع، لقد خلقها لا لنأكلها، وإنما لنعالج بها.

فأنت إذا رأيت شيئا محرما لا تقل لماذا خلقه الله، لأنك لا تعرف ما هي مهمته، فليست مهمة كل مخلوق أن يأكله الإنسان، إنما لكل مخلوق مهمة قد لا تشعر بأدائها في الكون. وهذه مسألة نستعملها نحن في ذوات نفوسنا، على سبيل المثال؛ عندما يأتي الصيف ونخشى على ملابسنا الصوفية من الحشرات؛ فنأتي لها بما يقتل الحشرات، وهو «النفتالين»، ونحذر أبناءنا من الاقتراب منه وأكله. إن «النفتالين» لا يؤكل، ولكنه مفيد في قتل الحشرات الضارة. كذلك «الفينيك» نشتريه ونضعه في زجاجة في المنزل لنطهر به أي مكان ملوث، ونحذر الأطفال منه لأنه ضار لهم، ولكنه نافع في تطهير المنزل من الحشرات، وكذلك المخلوقات التي لا نعرف حكمة خلقها، لقد خلقها الله لمهمة خاصة بها، فلا تنقل شيئا من مهمته إلى مهمة أخرى.

وإذا كان الإنسان لم يدرك حتى الآن فائدة بعض المخلوقات، فما أكثر ما يجهل، وهو يكتشف كل يوم سرا من أسرار مخلوقات الله. وعلى سبيل المثال، كانوا ينظرون إلى نوع من السمك لا يتجاوز حجمه عقلة الإصبع؛ ولا يكبر أبدا، واحتاروا في فائدته، وعندما ذهبنا للسعودية ورأينا الأماكن التي نأخذ منها الماء الذي قد يفسد، ووجدنا هذا النوع من السمك بكثرة، فسألناهم عن حقيقة هذا السمك، فقالوا: إنه لا يكبر ويظل على هذا

الحجم، ومهمته تنقية المياه في الأماكن التي لا يقوم الإنسـان بتنقيتها. وجربنا حقيقة ما قالوا؛ فألقينا بعضا من مخلفات الطعام؛ فوجدنا هذه الأسماك تخرج من حيث لا ندري وتلقف هذه البقايا؛ ولا تتركها حتى تنهيها. هكذا يخلق الحي القيوم مخلوقات لتحفظ مخلوقات أخرى، هو سبحانه يقول للإنسان: لا تأكل هذا وكل ذاك؛ لحكمة قد لا نعرفها.

مثال آخر، الطائر المعروف بأبي قردان صديق الفلاح، كانت وظيفتـه في الحياة أن يأكل الحشـرات والديدان عند ري الأرض، ومنذ أن اختفى هذا الطائر يتأثر بالمبيدات؛ اسـتفحل خطر الديدان على الزرع وبخاصة دودة القطن. إنها معادلة إلهية مركبة تركيبا دقيقا. وكذلك الذباب، يتساءل بعض الناس «ما حكمة وجوده في الحياة؟» وهم لا يعرفون أن الذباب يؤدي للإنسـان دورا هاما هو أكل القاذورات وما بها من أمراض، ولو تحصن الناس بالنظافة لما جاءهم الذباب. إذن، فكل شيء في الوجود مرتب ترتيبا دقيقا، إنه ترتيب خالق عليم حكيم، ومادام الحكيم هو الذي خلق؛ فلا يعترض أحد ويقول لماذا خلق كذا وكذا؟، لأن لكل مخلوق دوراً يؤديه في الكون.

سـؤال: ما الحكمة من خلق الله حيوانات مثل الأفاعي والعقارب والفئران وما إلى ذلك إذا كنا لا نأكلها؟

الجواب: الحمد لله الإجابة على هذا السؤال من جانبين عام وخاصّ .

أمّا العام: فإنّ المسلم يؤمن بأنّ الله حكيم عليم لا يخلق شيئا عبثا وكلّ أفعاله صادرة عن حكمة، فإذا خفيت الحكمة من فعل من أفعاله تعالى على المؤمن فإنّه يلوذ بهذا الأصل ولا يُسيء الظنّ بربّه.

وأما الخاص: فإنّ من الحكم في خلق مثل هذه المخلوقات ظهور إتقان صنعة الله في خلقه وتدبيره عزّ وجلّ في مخلوقاته فعلى كثرتها فإنّه يرزقها جميعا وكذلك فإنّه سبحانه يبتلي بها ويأجر من أصيب بها وتظهر شـجاعة من قتلها وكذلك يبتلي بخلقها عباده مـن جهة إيمانهم ويقينهم فأمّا المؤمن فيرضى ويسـلّم وأمّا المرتاب فيقول ماذا أراد الله بهذا الخلق !! وكذلك يظهر ضعف الإنسان وعجزه في تألمه ومرضه بسبب مخلوق هو أدنى منه في الخلقة بكثير، وقد سئل بعض العلماء عن الحكمة من خلق الذباب فقال :

ليذلّ اللّه به أنوف الجبابرة، وبوجود المخلوقات الضارة تظهر عظم المنّة من خلق الأشياء النافعة كما قيل : وبضدّها تتبيّن الأشياء . ثمّ قد ظهر بالطبّ والتجربة أنّ عددا من العقاقير النافعة تُستخرج من سمّ الأفاعي وما شاكلها، فسبحان من جعل في الأمور التي ظاهرها الضرر أمورا نافعة، ثمّ إنّ كثيرا من هذه الحيوانات الضارّة تكون طعاما لغيرها من الدوابّ النافعة مما يشكّل حلقة في التوازن الموجود في الطبيعة والبيئة التي أحكم اللّه خلقها .

هذا ويجب أن يعتقد المسلم أنّ كلّ أفعاله تعالى خير وليس في مخلوقاته شرّ محض بل لابدّ أن يكون فيها خير من وجه آخر وإن خفي على بعضنا كخلق إبليس وهو رأس الشرّ . فإنّ خلقه فيه حكم ومصالح منها أن اللّه يبتلي به خلقه ليتبيّن أهل الطاعة من أهل المعصية وأهل المجاهدة من أهل التفريط فيتميّز أهل الجنة من أهل النار .

نسأل اللّه سبحانه وتعالى أن يرزقنا قوة الإيمان والبصيرة في الدّين وصلى اللّه وسلّم على نبينا محمد . [الإسلام سؤال وجواب الشيخ محمد صالح المنجد]

حكمة الخالق: ذكر القزويني في عجائب المخلوقات أن رجلاً رأى خنفساء فقال :- ماذا يريد اللّه من هذه ؟! .. حُسن شكلها ؟ أو طيب رائحتها ؟ فابتلاه اللّه بقرحة حتى عجز الأطباء عنها، فترك العلاج .. فسمع ذات يوم بطبيب مشهور فذهب إليه ورأى الطبيب القرحة فقال : عليّك بالخنفساء فأحرق بعضها وذرّ رماده على القرحة فبرأت بإذن اللّه .فقال الرجل :- (إن اللّه أراد أن يعرّفني أن أخس الأشياء أعز الأدوية) .

لنعلم أن اللّه لم يخلق مخلوق على الأرض إلا وله فائدة ولو كان قبيحا وصغيرا .

فلا تستهن أخي المسلم بالصغيرة فهي عندك صغيرة ولكنها عند اللّه كبيرة لمخالفة أمره ونهيه .

لا تحقرن من الذنوب صغيراً   إن الصغير غداً يعود كبيراً

إن الصغير وإن تقادم عهده   عند الإله مسطر تسطيراً

وهذه حكمة بسيطة من حكم اللّه التي لا تعد ولا تحصى، فتفكروا بها وتخيلوا هذه الحكم العظيمة .

أخذ أحد الفلاحين ولده وذهب به إلى الأرض الزراعية التي يمتلكها وكان بها نخل للبلح كثير وأيضا في الناحية الأخرى من الأرض كان يوجد أشجار كثيرة للبطيخ فسأل الابن والده لماذا شجر البلح عاليا جدا مع أن البلح صغير الحجم أما شجر البطيخ قصير جدا مع أنه كبير الحجم فقال الأب هذا لحكمة لا يعلمها إلا اللّه .

فقال الابن أي حكمة في هذا أنا لا أرى حكمة في هذا الأمر فقال له الأب لا تعترض يا بني على حكمة اللّه ولا تتكلم وبعد أن انتهوا من العمل نام الأب على الأرض من التعب وأيضا نام الابن وبعد لحظات قام الابن يصرخ من الألم وقام الاب مفزوع ما بك يا بني قال له ابنه لقد سقطت علي بلحة من الشجرة وآلمتني ألما شديدا فقال له الأب ماذا لوكان شجر البطيخ هو الذي عالي ماذا كان يحدث لك إذا سقطت عليك بطيخه فقال الغلام آمنت بحكمة اللّه .

عظمة اللّه في تودده لخلقه :

إن صفات العزة والقهر والقوة والجبروت متى قامت في العبد أورثته تسلطاً وتجبراً على الناس وظلماً للضعفاء، أما اللّه تعالى فإنه رغم اتصافه بهذه الصفات، يتودد إلى عباده ويتحبب إليهم بالنعم، وهذا من كمال عزته وربوبيته ورحمته سبحانه وبحمده . قال تعالى ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود: ٩٠]، وقال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾ [البروج: ١٤] .

فاللّه عز وجل ودود، يَوَدُّ عبَادَهُ الصالحين ويحبهم ويقربهم ويرضى عنهم ويتقبَّلُ أعمالَهم، وهذه محبة خاصة بالمؤمنين، أما المحبة العامة فاللّه هو الودود ذو إحسان كبير لمخلوقاته من جهة إنعامه عليهم وإكرامه للإنسان واستخلافه، حيث أسجد له ملائكته واستخلفه في أرضه، واستأمنه في ملكه، وبعث إليه الرسل وأنزل عليهم الوحي من السماء، كل ذلك بفضله وكرمه وعطائه ومدده، وترغيباً لعباده في طاعة اللّه ومحبته واللّه عز وجل ودود مع خلقه بمعية خاصة للمؤمنين مقتضاها النصر والتأييد، ومعية عامة للخلائق أجمعين مقتضاها العلم والإحاطة .

ومن تودد اللّه لخلقه، أنه يرزقهم دون أن يسألوه ويعطيهم دون أن يطلبوا منه،

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ﴾ [الذاريات:٥٨] . والرازق في اللغة اسم فاعل، رزق، يرزق، رزقاً فهو «الرزاق»، وهذه صيغة مبالغة، وإذا جاءت أسماء الله الحسنى بصيغة المبالغة فتعني شيئين : تعني كمًّا، وتعني نوعاً . والرزق هو كل ما يُنتفع به، ويشمل الإنسان وغير الإنسان، وهذه الكلمة تعم رزق الدنيا والآخرة، فدخول الجنة رزق، والنجاة يوم القيامة رزق، والعلم في الدنيا رزق، والحلم رزق، والورع رزق. لكن المؤسف أن بعض الناس يتصور أن الرزق هو في المال فقط، وهذا غير صحيح، فقد نجد إنساناً دخله محدود، لكن الله رزقه علماً غزيراً، أو سمعة طيبة، أو راحة نفسية، أو توفيقاً في أموره، أو قبولاً بين الناس .

والولد من الرزق، قال الله تعالى حاكيا قول زكريا لما وجد الطعام عند مريم ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ [آل عمران:٣٧]. فلما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم عليها السلام فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء طمع حينئذ في الولد رغم كونه شيخا كبيرا قد وهن منه العظم واشتعل الرأس شيبا وكانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرا لكنه سأل ربه وناداه نداء خفيا وقال تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [آل عمران:٣٨]. قال الله تعالى: ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ [آل عمران:٣٩].

قال ابن القيم رحمه الله : (فالله تعالى أجود الأجودين، وأكرم الأكرمين، قد أفاض على خلقه النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، جواد يحب الجود، كريم يحب الكرام، محسن يحب الإحسان معطٍ يحب العطاء، الفضل كله بيده، والخير كله منه، والجود كله له، وأحب ما إليه: أن يجود على عباده، ، ويغمرهم بإحسانه وجوده، ويتم عليهم نعمته، ويضاعف لديهم منته، ويتعرف إليهم بأوصافه وأسمائه، ويتحبب إليهم بنعمه وآلائه . فهو الجواد لذاته، وجود الخلق من جوده. فليس الجواد على الإطلاق إلا هو، ومحبته للجود والإعطاء والإحسان والبر والإنعام والإفضال فوق ما يخطر ببال الخلق، وفرحه بعطائه وجوده وإفضاله أشد من فرح الآخذ بما يعطاه ويأخذه، إذا اجتمعت شدة الحاجة وعظم قدر العطية والنفع بها، ففرح المعطي سبحانه بعطائه أشد وأعظم من الآخذ بما يأخذه .فجوده من لوازم ذاته، والعفو أحب إليه من الانتقام، والرحمة أحب

إليه من العقوبة، والفضل أحب إليه من العدل، والعطاء أحب إليه من المنع).

[بتصرف من مدارج السالكين ١/١٨٦]

إنّ كُلّ خَير، بل كُلّ حَرَكة وسَكَنة، وكُلّ غَمْضَة عين وانتباهتها، وكُلّ اخْتِلاجَة عرْق، وكُلّ دَفْقَة دم، وكلّ عافية وسِتْر؛ هي مِن مِنَح الجليل تبارك وتعالى .

قال ابن القيم : ليس العجب من مملوك يتذلل لله ويتعبّد له، ولا يمل من خدمته مع حاجته وفقره إليه، إنما العجب من مالك يتحبّب إلى مملوكه بصنوف إنعامه ويتودد إليه بأنواع إحسانه، مع غناه عنه !

كفى بك عِزّاً أنك له عبد   وكفى بك فخراً أنه لك رب

وقال – رحمه الله – : ليس العجيب من قوله : (يُحِبُّونَه) إنما العجب من قوله : (يُحِبُّهُم) ليس العجب من فقير مسكين يحب محسنا إليه ! إنما العجب من محسن يحب فقيرا مسكينا . انتهى .

ومن تودد الله لعباده المؤمنين أنه يضاعف لهم الجزاء على الحسنة، ولا يكتب السيئة إلا واحدة . عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يروي عن ربه عز وجل. قال: قال: (إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة).[أخرجه البخاري] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. وكل سيئة تكتب بمثلها حتى يلقى الله). [رواه مسلم] . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل، فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها، وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها، فإذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها، قالت الملائكة : رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به، فقال : ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتبوها له حسنة، إنما تركها من جرَّاي). [رواه البخاري ومسلم واللفظ له] فالحديث

يبـين عظيم فضـل الله ورحمته بعباده، ويبعث الأمل في نفس المؤمـن، ويدفعها للعمل الصالح وكسـب الأجر والثواب، وهذا من أعظم التودد من الله لعباده فإذا همَّ العبد بعمل الحسنة ولم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة من دون مضاعفة لها، وقوله : «إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة «، المراد به الهمُّ والعزم المصمم الذي يوجد معه الحرص على العمل، وليس مجرد الخاطر العابر، ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم كما في المسند بإسناد صحيح :» فعلم الله أنه قد أشعرها قلبه وحرص عليها كتبت له حسـنة «، وهذه هي نية الخير التي ينبغي على العبد أن يستصحبها في كل عمل، ليكتب له أجر العمل وثوابه ولو لم يعمله، وفي الحديث الصحيح :» إن بالمدينة أقواماً ما سـرتم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا شركوكم في الأجر حبسهم العذر». رواه مسلم . قال زيد بن أسلم :» كان رجل يطوف على العلماء، يقول: من يدلني على عمل لا أزال معه لله عاملا، فـإني لا أحـب أن يأتي على سـاعة من الليل والنهـار إلا وأنا عامل لله تعـالى، فقيل له : قد وجدتَ حاجتك، فاعمل الخير ما استطعت، فإذا فترت أو تركت، فَهِمَّ بعمله فإن الهامَّ بفعل الخير كفاعله « فإذا عمل العبد الحسنة ضاعفها الله له إلى عشر أمثالها، وهذه المضاعفة ملازمة لكل حسـنة يعملها العبد، وأما زيادة المضاعفة على العشر فهي لمن شاء الله أن يضاعف له، فقد تضاعف إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، كما ثبت ذلك في نصوص عديدة منها قوله تعالى في النفقة {مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَـبْعَ سَـنَابِلَ فِي كُلِّ سُـنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِـعٌ عَلِيم}[البقرة: ٢٦١]، فدلت هذه الآية على أن النفقة في سبيل الله تضاعف إلى سبعمائة ضعف .عن خريم بن فاتك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :» من أنفق نفقة في سبيل الله كتبت له بسبعمائة ضعف « . رواه أهل السنن. وقد تضاعف إلى أكثر من ذلك كما في حديث دعـاء السـوق الـذي رواه الترمذي عن عمـر رضي الله عنه أن رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال :» من دخل السوق فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة، ومحا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة «

وهنـاك أعمال لا يعلم مضاعفة أجرها إلا الله سـبحانه كالصـوم ففي الحديث القدسي :(كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به) [رواه الشيخان] ، وذلك أن

الصوم أفضل أنواع الصبر، وإنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب. أما إذا همَّ العبد بفعل سيئة ثم تركها من أجل الله فإنها تكتب له حسنة كاملة، بشرط أن يقدر عليها ثم يتركها خوفاً من الله كما في الحديث: (إنما تركها من جراي) [مسلم]. يعني من أجلي.

وإذا لم تصل المعصية إلى مرتبة الهم والعزم كأن تكون مجرد خاطر يمر على القلب ولا يساكنه، بل ربما كرهه صاحبه ونفر منه، فإنه معفو عنه ولا يحاسب المرء عليه، قال تعالى ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فإن هذه الآية لما نزلت شق ذلك على الصحابة، فظنوا دخول الخواطر فيها فنزلت الآية بعدها وفيها قوله سبحانه ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال سبحانه كما في صحيح البخاري: (قد فعلت). وفي البخاري أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل أو تتكلم). فإذا عمل العبد السيئة فإنها تكتب عليه واحدة من غير مضاعفة، كما قال سبحانه ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

لكن عقوبة السيئة قد تعظم لأسباب عدة منها:

- شرف الزمان، فالسيئة أعظم تحريماً عند الله في الأشهر الحرم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [التوبة: ٣٦].

فقد نهى سبحانه عن ظلم النفس في جميع أشهر السنة، واختص منها الأشهر الحرم، فجعل الذنب فيها أعظم.

- ومنها شرف المكان كالبلد الحرام قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحج: ٢٥].

وقد تضاعف السيئات لشرف فاعلها ومكانته عند الله، كما قال تعالى: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٠] .

إن المتأمل في عظيم فضل الله على خلقه وتودده لهم يجزم أنه لن يهلك على الله إلا من استحق الهلاك، وأغلقت دونه أبواب الهدى والتوفيق، مع سعة رحمة الله تعالى وعظيم كرمه، حيث جعل السيئة حسنة إذا لم يعملها العبد، وإذا عملها كتبها واحدة أو يغفرها، وكتب الحسنة للعبد وإن لم يعملها ما دام أنه نواها، فإن عملها كتبها عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، فمن حُرِم هذه السعة، وفاته هذا الفضل، وكثرت سيئاته حتى غلبت مع أنها أفراد، وقلّت حسناته مع أنها مضاعفة فهو الهالك المحروم، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: (ويل لمن غلبت وِحْداتُه عشراتَه) .

ومِنْ تودُّد الله لعباده أنه يحلم عليهم، فلا يعاجل المسيء بالعقوبة على ما اقترف من ذنب. فالله سبحانه حليم، يرى معصية العاصين ومخالفتهم لأوامره فيمهلهم، ولا يسارع بالانتقام منهم. قال تعالى: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٣٥] وقال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٤٤] . فالله يملي للعباد، ويفتح لهم أبواب التوبة والأوبة والرجوع إليه سبحانه وتعالى .

ومن تأمل أحوال البشرية اليوم، وطغيان الفساد والمعاصي وانتشار الكفر في أمم الأرض، ووقوع كثير من المسلمين في المعاصي واستهانتهم بالموبقات والكبائر، أدرك عظيم حلم الله عز وجل، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما رأيت أحداً أصبر على أذى من الله، يسبونه، وينسبون له الولد، وهو مع ذلك يطعمهم ويسقيهم ويرزقهم ويعافيهم) .

- **عظمة الله في لطفه**

إن حلم الله تعالى على عباده، ليس عن جهل بأفعالهم، فإنه سبحانه يعلم ما في أنفسهم وما في صدورهم ويستوي عنده السر والعلانية، والإسرار بالقول أو الجهر به كما قال تعالى: ٤٤ ﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الملك: ١٣] .

فحلم الله على عباده إنما هو لصفة ذاتية قائمة به، مع أنه يعلم دقائق الأمور وخفيها، فهو سبحانه لطيف خبير قال تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وقال سبحانه ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [الملك:١٤] من معاني اللطيف: أنه مطلع على أعمال عباده.

قال الشوكاني: في قوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ ﴾ [الحج:٦٣]: لا تخفى عليه خافية بل يصل علمه إلى كل خفي، وقال السعدي: اللطيف، هو الذي أحاط علمه بالسرائر والخفايا وأدرك الخبايا والبواطن والأمور الدقيقة.

فاللطيف سبحانه، لا يفوته من العلم شيء وإن دق وصغر أو خفي، قال تعالى: ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩].

ومن عَلِم أن الله متصف بدقة العلم وإحاطته بكل صغيرة وكبيرة، حاسب نفسه على أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، ولم يتكل على عظيم حلم الله وسعة عفوه، فإن هذا من التواكل المذموم.

ومن معاني اللطيف أنه كثير اللطف بعباده بالغ الرأفة لهم ومن لطفه بعباده أنه يسوق إليهم أرزاقهم وما يحتاجونه في معاشهم. قال القرطبي في تفسير آية ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [لقمان:١٦]، هذا القول من لقمان إنما قصد به إعلام ابنه بعظيم قدرة الله تعالى وهذه الغاية التي أمكنه أن يفهمه لأن الخردلة يقال: إن الحسّ لا يدرك لها ثقلا إذ لا ترجح ميزاناً، ولو أن للإنسان رزق مثقال حبة خردل في هذه المواضع جاء الله بها حتى يسوقها إلى من هي رزقه أي لا تهتم للرزق حتى تشتغل به عن أداء الفرائض وعن اتباع سبيل من أناب إليّ. أ. هـ. [تفسير القرطبي ١٤/٦٦].

وقال الغزالي: إنما يستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دقّ منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستحق سبيل الرفق دون العنف فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في العلم تمّ معنى اللطف ولا يتصور كحال ذلك في العلم والفعل إلا الله تعالى.

فمـن لطفـه : خلقه الجنين في بطـن الأم في ظلمات ثلاث وحفظه فيهـا وتغذيته بواسـطة السـرة إلى أن ينفصل فيسـتقل بالتناول بالفـم ثم إلهامه إيـاه عند الانفصال التقـامَ الثـدي وامتصاصه ولو في ظـلام الليل من غير تعليم ومشـاهدة . بل فلق البيضة عـن الفـرخ وقد ألهمه التقاط الحب في الحال . ثم تأخير خلق السِّـن عن أول الخلقة إلى وقت الحاجة لاسـتغناء الإغذاء باللبن عن السـن . ثم إنباته بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام .ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن وإلى أنياب للكسر وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع ، ثم استعمال اللسان الذي الغرض الأظهر منه النطق في رد الطعام إلى المطاحن كالمجرفة . ولو ذكر لطفه في تيسير لقمة يتناولها العبد من غير كلفةٍ يتجشمها وقـد تعاون على إصلاحهـا خلق لا يحصى عددهم مـن مصلح للأرض وزارعها وسـاقيها وحاصدها ومنقيها وطاحنها وعاجنها وخابزها إلى غير ذلك لكان لا يستوفى شرحه . أ . هـ

ومن معاني اللطيف : هو الذي لطف عن أن يدرك لكماله وجلاله ، كما في قوله تعالى { فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَي الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَاما فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلا يُشْـعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدا} الكهف :١٩ فإن الله لا يرى في الدنيا لطفا وحكمة ، ويرى في الآخرة إكراماً ومحبة ، وإن لـم يدرك بإحاطة من قبل خلقه ، ولذلك فـإن الله تعالى قال عن رؤيـة الناس له في الدنيـا {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَـارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطِيفُ الْخَبِيرُ} المائدة :١٠٣، قال صلى الله عليه وسلم: » تَعَلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَل حَتَّى يَمُوتَ « . رواه مسلم. لأن الدنيا خلقت للابتلاء، أما الآخرة فهي دار الحساب والجزاء حيث يكشـف فيها الغطاء ويرفع فيها الحجاب، ويلطف الله بالموحدين عند الحساب، وقد بين الله للغافلين في الكتاب ما فيه عبرة لذوي القلوب الألباب {لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ} ق:٢٢. (بتصرف من شرح أسماء الله الحسنى لمحمود الرضواني) .

- **عظمة الله في رحمته**

إن مـن الصفات العظيمة التي يرجو بها المسـلم مـا عند الله ؛ صفـة الرحمة ، فالله تعالى رحيم غفور تواب غفار، قال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ ﴾ [غافر:٧]، وهذا يدل على كل ما وصل إليه علم الله ،

قـد وصلت إليـه رحمته لأن الله قـرن بينهما في قولـه ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا ﴾. وهذه هي الرحمة العامة التي تشمل جميع المخلوقات، حتى الكفار؛ لأن الله قـرن الرحمة هذه مع العلم، فكل ما بلغه علم الله، وعلم الله بالغ لكل شيء، فقد بلغته رحمته، فكما يعلم الكافر، يرحم الكافر أيضًا. لكن رحمته للكافر رحمة دنيوية قاصرة غايـة القصـور بالنسـبة لرحمة المؤمن، فالله يرزق الكافر الطعام والشـراب واللباس والمسكن والمنكح وغير ذلك. أما المؤمنون، فرحمتهم رحمة أخص من هذه وأعظم؛ لأنها رحمة إيمانية دينية دنيوية.

ولهذا فإن المؤمن أحسـن حالًا من الكافر، حتى في أمور الدنيا؛ لأن الله يقول: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل:٩٧] هذه الحياة الطيبة مفقودة بالنسبة للكفار، فحياتهم كحياة البهائم، إن شـبعوا بطروا، ولا يستفيدون من دنياهم، لكن المؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له.

قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: (جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْـعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْـيَةَ أَنْ تُصِيبَه) [رواه البخاري]. فالله عز وجل رحيم بل هو رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، رحمته وسعت كل شيء وسبقت غضبه سبحانه وبحمده، له مائة رحمة، أنزل في هذه الدنيا رحمة واحدة، فبها يتراحم الخلق كلهم ناطقهم والأعجم، صغيرهم والكبير، حتى إن الدابة لترفع رجلها لوليدها ليرضع منها ثم يذهب بهذه الرحمة، فإذا كان يوم القيامة رفع الله هذه الرحمة إلى تسع وتسعين رحمة عنده.

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم سَبْيٌ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنْ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ فَقَالَ لَنَا النَّبِي صلى الله عليه وسـلم: (أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟ قُلْنَا: لَا وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ فَقَالَ: لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا) [رواه البخاري].

ولما كانت الرحمة أوسـع صفات الله جل وعلا، ولما كان العرش أوسع المخلوقات، فإن الله تعالى لما استوى على عرشه كتب كتاباً فهو عنده إن رحمتي سبقت غضبي. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسُولُ الله صلى اللهُ عليْه وسلم: (لما خلق اللهُ الخلْق، كتب في كتابٍ، فهُو عنْدهُ فوْق العرْش: إن رحْمتي تغْلبُ غضبي). وفي رواية: (غلبتْ

غضبي). وفي رواية :(سبقتْ غضبي) [متفق عليه] .

ومن رحمته أنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل ويقول: (أنا الملك أنا الملك، هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ؟ هَلْ مِنْ تَائِبٍ؟ هَلْ مِنْ سَائِلٍ؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْرُ).

لا أحد يستر مثل اللّه، ولا أحد يرحم مثل اللّه، ولا أحد يغفر مثل الله، ولا أحد يتودد للعباد مثل اللّه، فيا حسرة الفارين عن ربهم، ويا حسرة المعرضين عن مولاهم .

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم :(لَلّهُ أشدُّ فَرْحا بتوبةِ عبده حين يَتُوبُ إليه من أحدِكم كان على راحلته بأرضٍ فلاةٍ فَانْفَلَتَتْ منه، وعليها طعامُه وشرابهُ فَأَيسَ منها، فأتَى شَجرة فاضطَجَع في ظِلِّها قد أيسَ من راحلته فبينا هو كذلك، إذا هو بها قائمةٌ عنده، فأخذ بخِطامِها، ثم قال من شِدَّة الفرح: «اللَّهم أنت عَبْدي وأنا ربكَ»، أخطأ من شدة الفرح).

وهذا موضع الحكاية المشهورة عن بعض العارفين: أنه حصل له شرود وإباق من سيده، فرأى في بعض السكك باباً قد فُتح وخرج منه صبي يستغيث ويبكي، وأمه خلفه تطرده، حتى خرج فأغلقت الباب في وجهه ودخلت، فذهب الصبي غير بعيد، ثم وقف مفكراً فلم يجد له مأوى غير البيت الذي أُخرج منه، ولا من يؤويه غير والدته، فرجع مكسور القلب حزيناً، فوجد الباب مرتجاً، فتوسده ؛ ووضع خده على عتبة الباب ونام، فخرجت أمه، فلما رأته على تلك الحال لم تملك أن رمت نفسها عليه، والتزمته تقبله وتبكي وتقول: يا ولدي، أين تذهب عني ؟ ومن يؤويك سواي؟ ألم أقل لك: لا تخالفني، ولا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة بك، والشفقة عليك، وإرادتي الخير لك، ثم أخذته ودخلت .فتأمل قول الأم: «لا تحملني بمعصيتك لي على خلاف ما جُبلت عليه من الرحمة والشفقة». وتأمل قوله صلى اللّه عليه وسلم: (للّه أرحم بعباده من الوالدة بولدها) . وأين تقع رحمة الوالدة من رحمة اللّه التي وسعت كل شيء، فإذا أغضبه العبد بمعصيته فقد استدعى منه صرف تلك الرحمة عنه، فإذا تاب إليه فقد استدعى منه ما هو أهله وأولى به، فهذه نبذة يسيرة تطلعك على سر فرح اللّه بتوبة عبده أعظم من فرح هذا الواجد لراحلته في الأرض المهلكة بعد اليأس منها .ووراء

هذا ما تجفو عنه العبارة، وتدق عن إدراكه الأذهان. [بتصرف من مدارج السالكين (١/١٨٦)] .

وقد قرن الله رحمته بالرأفة للتدليل على عظيم هذه الرحمة وشمولها، قال تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [النور: ١٠]، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠]، والرؤوف صيغة مبالغة من الرائف، وهو الموصوف بالرأفة، والرأفة هي أشد ما يكون من الرحمة.

والرحمة تسبق الرأفة، فالرأفة هي المنزلة التي تعقبها، يقال: فلان رحيم، فإذا اشتدت رحمته فهو رؤوف، فالرأفة آخر ما يكون من الرحمة، ولذلك قدمت الرأفة على الرحمة في وصف النبي صلي الله عليه وسلم في قوله تعالى ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [التوبة:١٢٨] على اعتبار أن الرأفة مبالغة في الرحمة، والمبالغة في الرحمة تتعلق بخاصة المؤمنين، أما الرحمة في اسمه الرحيم فهي رحمة عامة لجميع المسلمين، بخلاف الرحمة في اسمه الرحمن فإنها تتعلق بالخلائق أجمعين، فالأمر في الرأفة والرحمة على قدر الولاية والإيمان، وعلى حسب علو الهمة في عمل الإنسان.

ومن معاني الرؤوف: العطف على عباده المؤمنين الطائعين بحفظهم في سمعهم وأبصارهم وحركاتهم وسكناتهم، وكراهة مساءتهم كما عند البخاري من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في الحديث القدسي: (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَتِي يَمْشِى بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأعيذنه، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ). وهذا منتهى الرأفة بالمؤمنين.

إن امتلاء القلب بالرحمة للمسلمين والرأفة بعامتهم وخاصتهم يجلب رحمة الله ورأفته، ففي سنن الترمذي من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أن رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ الرَّحِمُ شُجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَهُ اللَّهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَهُ اللَّهُ).

ومن عظيم رحمة الله ورأفته بعباده أنه تودد إليهم بصفة أخرى واسم آخر يحبونه ويرجونه، فقال ﴿ ۞ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ ﴾ [الحجر:٤٩]، وقال ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [يونس:١٠٧]. وقد ورد اسم الغفور في ثلاثة وثمانين موضعاً في القرآن.

عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أن أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه قَالَ لِلنَّبِي صلى الله عليه وسلم عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي قَالَ: (قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) [رواه البخاري].

وروى أبو داود وصححه الشيخ الألباني من حديث مِحْجَنَ بْنَ الأَدْرَعِ رضي الله عنه أنه قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلاتَهُ وَهُوَ يَتَشَهَّدُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ الذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ، قَالَ فَقَالَ: (قَدْ غُفِرَ لَهُ قَدْ غُفِرَ لَهُ ثَلاثًا).

والغفور في اللغة على وزن فعول وهي من صيغ المبالغة التي تدل على الكثرة في الفعل، وأَصل الغَفْرِ التغطية والستر، وغَفَرَ الله ذنوبه أَي سترها، وعند البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: (إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاَءِ الذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ، أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ).

والغفار كالغفور من صيغ المبالغة، التي تدل على الكثرة في الفعل كما في اسمه الغفور، والغفار هو الذي يستر الذنوب بفضله، ويتجاوز بعفوه عن عبده، طالما أن العبد موحد تحت مشيئة الله وحكمه، فقد يغفر الله ذنب عبده إن مات موحداً، والغفور والغفار قريبان في المعنى، فهما من صيغ المبالغة في الفعل، وقيل الغفار أبلغ من الغفور، فالغفار هو من يغفر الذنوب العظام.

وقد سمى الله نفسه بهذا الاسم للدلالة على سعته رحمته ومغفرته، قال تعالى ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ ﴾ [ص:٦٦]، وقال ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ ﴾ [الزمر:٥]، وقال ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ ﴾ [نوح:١٠]، وفي الجامع الصغير للسيوطي وصححه الألباني من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا تضور من الليل، تقلب وتلوى من شدة الألم، قال: (لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار) [بتصرف من شرح أسماء الله الحسنى لمحمود الرضواني].

إن معرفة العبد لسعة رحمة الله وعظيم مغفرته يحفزه على العمل الصالح الذي يكفر الذنوب ويمحو الخطايا. ففي صحيح البخاري من حديث سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ أن النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم قال: (لاَ يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ ثُمَّ يَخْرُجُ، فَلاَ يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلاَّ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى) ، وعند مسلم من حديث أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: (الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ).

ويبعث في نفسه الهمة على تجديد التوبة والاستغفار، فالله تعالى تواب رحيم، ولما قال عز وجل ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [البقرة:١٥٩] قال بعدها ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [البقرة:١٦٠]. ولما قال سبحانه ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [آل عمران:٨٨] قال بعدها ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [آل عمران:٨٩] ولما قال عز وجل ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء: ١٤٥] قال بعدها ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [النساء:١٤٦] ، ولما قال سبحانه ﴿ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة:٣٣] قال بعدها ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ ﴾ [المائدة:٣٤]، ولما قال عز وجل ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ [المائدة:٧٣] قال بعدها ﴿ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٧٤] ، ولما قال سبحانه ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ [الفرقان:٦٨] قال بعدها ﴿ إِلَّا مَن تَابَ ﴾ [الفرقان:٧٠]. فالله تعالى تواب يحب التوابين فقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ورغَّب بالتوبة

فقال ﴿ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ ﴾ [المائدة:٣٩]، وقال ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢] ، وقال ﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٞ وَدُودٞ ﴿٩٠﴾ ﴾ [هود:٩٠]، وقال ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ ﴾ [البقرة:٢٢٢] ، وقال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا ﴾ [التحريم:٨].

فباب التوبة مفتوح، والله يفرح بتوبة عبده، وأخبر أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن التوبة تجب ما قبلها، وأنه يحب من عباده أن يستغفروه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى اللَّهُ عليْه وسلم :(والذي نفْسي بيده لوْ لمْ تُذنبُوا، لذهب اللَّهُ بكُمْ، وجاء بقوم يُذْنبُون، فيسْتغْفرُون الله تعالى، فيغْفرُ لهُمْ) [رواه مسلم] .

ما سلف إنما هو شيء من عظيم صفات الله الكاملة التامة التي جمعت الحسن كله والبهاء كله، من تأملها امتلأ قلبه إيماناً به وتعظيماً لأمر الله وانقاد لطاعته وخاف من معصيته كما قال تعالى مخوفاً العباد من بطشه وانتقامه ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾ [آل عمران:٢٨].

وختاماً: إن استشعار عظمة الله عز وجل، ومعرفة أسمائه وصفاته، والتدبر فيها، وعقل معانيها، واستشعارها، وتطبيقها في الواقع مما يقوي الإيمان. يقول ابن القيم رحمه الله: (وعقد هذا أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستويا على عرشه متكلما بأمره ونهيه بصيرا بحركات العالم علويه وسفليه وأشخاصه وذواته سميعا لأصواتهم رقيبا على ضمائرهم وأسرارهم وأمر الممالك تحت تدبيره نازل من عنده وصاعد إليه وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك موصوفا بصفات الكمال منعوتا بنعوت الجلال منزها عن العيوب والنقائص والمثال هو كما وصف نفسه في كتابه وفوق ما يصفه به خلقه حي لا يموت قيوم لا ينام عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض بصير يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء سميع يسمع ضجيج الأصوات باختلاف اللغات على تفنن الحاجات تمت كلماته صدقا وعدلا وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبها ومثلا وتعالت ذاته أن تشبه شيئا من الذوات أصلا ووسعت الخليقة أفعاله عدلا وحكمة ورحمة وإحسانا وفضلا له الخلق والأمر وله النعمة والفضل وله الملك والحمد وله الثناء والمجد) . [المدارج ١/١٢٤٩]

فامتلاءَ القلب بعظمة اللّه يولّد ثقةً مطلقة باللّه، ويجعل المسلمَ هادئ البالِ ساكنَ النفس مهما ادلهمّت الخطوب. لأن استشعارَ عظمة اللّه تملأ القلب رضًا وصبرًا جميلاً، وتبعَث في النفس معنى الثبات والعزّة وتقوّي العزائم حتى في أشدّ حالات الضّنك، فإذا عظم العبد ربه حق التعظيم تجلى ذلك بإخلاص العمل له وحده، وإذا عظم العبد ربه حق التعظيم تجلى ذلك بتقفيه سنّة النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم وتلمّس أثره والسير على هديه، والتعظيم الحقيقي هو الّذي يظهر على العبد بامتثال أمره واجتناب نهيه.

وإذا عظم العبد ربه حق التعظيم تجلى ذلك بعده عن المعاصي وحذره منها أشد الحذر، فالمعاصي تضعف في القلب تعظيم الرب، وتضعف وقاره في قلب العبد ولا بد، شاء أم أبى، ولو تمكن وقار اللّه وعظمته في قلب العبد لما تجرأ على معاصيه، وربما اغتر المغتر، وقال: إنما يحملني على المعاصي حسن الرجاء، وطمعي في عفوه، لا ضعف عظمته في قلبي، وهذا من مغالطة النفس؛ فإن عظمة اللّه تعالى وجلاله في قلب العبد تقتضي تعظيم حرماته، وتعظيم حرماته يحول بينه وبين الذنوب، والمتجرئون على معاصيه ما قدروا اللّه حق قدره، وكيف يقدره حق قدره، أو يعظمه ويكبره، ويرجو وقاره ويجله، من يهون عليه أمره ونهيه؟ هذا من أمحل المحال، وأبين الباطل، وكفى بالعاصي عقوبة أن يضمحل من قلبه تعظيم اللّه جل جلاله، وتعظيم حرماته، ويهون عليه حقه. ومن بعض عقوبة هذا: أن يرفع اللّه عز وجل مهابته من قلوب الخلق، ويهون عليهم، ويستخفون به، كما هان عليه أمره واستخف به، فعلى قدر محبة العبد للّه يحبه الناس، وعلى قدر خوفه من اللّه يخافه الخلق، وعلى قدر تعظيمه للّه وحرماته يعظمه الناس، وكيف ينتهك عبد حرمات اللّه، ويطمع أن لا ينتهك الناس حرماته أم كيف يهون عليه حق اللّه ولا يهونه اللّه على الناس؟ أم كيف يستخف بمعاصي اللّه ولا يستخف به الخلق؟ وقد أشار سبحانه إلى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب، وأنه أركس أربابها بما كسبوا، وغطى على قلوبهم، وطبع عليها بذنوبهم، وأنه نسيهم كما نسوه، وأهانهم كما أهانوا دينه، وضيعهم كما ضيعوا أمره، ولهذا قال تعالى في آية سجود المخلوقات له ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ﴾ [الحج:١٨] فإنهم لما هان عليهم السجود له واستخفوا به ولم يفعلوه أهانهم اللّه فلم يكن لهم من مكرم بعد أن أهانهم اللّه، ومن ذا يكرم من أهانه اللّه؟ أو يهن من أكرمه اللّه [الجواب الكافي ٦٩ -٧١ بتصرف يسير].

- **ومن صفات الله : الرقيب الشهيد القريب**

عبد الله : اعلم أن من صفات الله الرقيب القريب الشهيد يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١] ، ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ ﴾ [البروج: ٩] .

يقول الإمام السعدي رحمه الله تعالى: الرقيب والشهيد اسمان مترادفان لله عز وجل وكلاهما يدل على إحاطة سمع الله بالمسموعات وإحاطة بصره سبحانه وتعالى بالمبصرات وعلمه بجميع المعلومات الجلية والخفية -وهو الرقيب على ما دار في الخواطر - وما تحركت به اللواحظ . فما بالك بالفعال الظاهرة بالأركان.

ولهذا كانت المراقبة من أعلى أعمال القلوب هي التعبد لله باسمه الرقيب -والشهيد فمتى علم العبد أن حركاته الباطنة والظاهرة قد أحاط بها الله علماً- واستحضر ذلك العلم في كل أحواله أوجب له ذلك حراسة باطنه عن كل فكر يبغضه الله وحفظ ظاهره عن كل قول أو فعل يسخط ربه عليه فتعبد له بمقام الإحسان.

الآن تذهب إلى بلاد الغرب، تدخل إلى محل تجاري كبير، فيه بضائع بالمليارات، لكن هذا المحل مراقب تلفزيونياً «انضباط مذهل».

يقول لك: الطريق مراقب فيه رادار، كانت السرعة مئة وعشرين الآن ستين، هذه نماذج من حياتنا اليومية، إنسان أقوى منك واضع جهاز تصوير في الطريق، وإذا ضبطك بسرعة تفوق السرعة المحددة ستدفع عشرة آلاف، وهناك مخالفات لله بمئات الألوف، والإنسان إذا شعر أن إنساناً يراقبه يختلف الأمر اختلافاً كلياً، إذا قيل: إنك مراقب، أو إن هاتفك مراقب، تضبط كلامك إلى درجة متناهية، فكيف إذا شعرت أن الله يراقبك ؟

وإليك نموذج واحد من نماذج كثيرة من القصص ستأتي : - رن هاتفه المحمول فأجاب .. فإذا بفتاة جميلة الصوت على الهاتف .. تسأله عن أحواله لكنه لم يعرفها.. فسألها معتذراً: من تكونين !.. فأجابت : أنا فتاة جميلة وبنت حسب ونسب وأود التعرف عليك فسكت قليلاً ثم قال: لكن الهاتف مراقب !! فسألته مستغربة، مراقب من قبل من ؟ هل من قبل المؤسسة التي تعمل بها ؟ فأجابها :لا .هل الهاتف مراقب من

قبل المخابرات ؟ فأجابها : لا. إذاً الهاتف مراقب من قبل أمن الدولة قالتها ضاحكة !!! فأجابها : الهاتف مراقب من قبل اللّه الواحد الديان ..!!! فمن ساعتها أغلقت الهاتف ولم تعد لهذا الفعل أبدا .!

ألا يستحي الإنسان أن ينضبط مع إنسان من بني جلدته لكونه أقوى منه ولا ينضبط مع خالق السموات والأرض ؟.

كم يراقب الإنسان الآخرين، وينسى مراقبة رب العالمين، وكم يراقب العبدُ العبيد وينسى الإله المعبود، فيخجل البعض، ويكف الآخر، ويندم ثالث، ويعتذر رابع، ويبكي خامس هذا كله عندما يعلم ويحس بأنه مراقب من قبل مخلوق مثله، فكيف إذا علم وتيقن بأن العليم الخبير -سبحانه وتعالى - مطلع عليه ويراه، قال تعالى : ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٧-٢١٨] . يراك في فراشك، يراك في بيتك، يراك مع إخوانك، يراك في بيعك وشرائك، يراك في علاقاتك، يراك في سفرك وفي حضرك، يراك في كل شؤونك، ماذا ينبغي أن تكون حالك معه ؟!

هل قرأت القرآن ومرّ بك قوله عز وجل : ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨] هل تفكرت في هذه الآية ؟

أسمعت أيها الإنسان ؟ أسمعت أيها المسكين ؟ إنها رقابة شديدة دقيقة رهيبة تطبق عليك إطباقاً شاملاً كاملاً لا تغفل من أمرك دقيقاً ولا جليلاً ولا تفارقك كل نفَس معدود وكل هاجسة معلومة وكل لفظ مكتوب وكل حركة محسوبة في كل وقت وكل حال وفي أي مكان عندها قل ما شئت وحدث بما شئت وتكلم بمن شئت ولكن اعلم أن هناك من يراقبك اعلم أن هناك من يسجل وأنه يعد عليك الألفاظ ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٧-١٨] .

تمام وكمال مراتب الدين : (أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) .

ويقول حافظ الحكمي: وثالثٌ مرتبة الإحسان وتلك أعلاها لدى الرحمن وهي رسوخ القلب في العرفان حتى يكون الغيب كالعَيان.

جاء في صحيح الجامع : (صل صلاة مودع كأنك تراه، فإن كنت لا تراه فإنه يراك) .

وهناك نماذج ناصعة ساطعة وقصص رائعة فائقة في المراقبة والحياء تمتاز هذه القصص أنها تحرك الهمم، وتقوي القلب، بل يقال أن القصص تحرق المعاصي إحراقاً. وقد قال ابن عيينة (عند ذكر الصالحين تتنزل الرحمة) .

وقال محمد بن يونس (ما رأيت للقلب أنفع من ذكر الصالحين) وعليك التأمل في مواقف السلف الإيمانية في رقابتهم لله وحيائهم ففيها عبرة ودرس، وتبصرة وذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد:- ذكرتها في رسالة جيب صغيرة لي بعنوان : الله جل جلاله يراني ووقفات. مع نماذج ساطعة وقصص رائعة.

أخي الكريم : أين تذهب ؟؟ انتبه !! عليك شهود يراقبونك في أي مكان وفي أي زمان فأين تذهب ؟؟ وأنت يا أختاه انتبهي واعلمي أن هناك شهود يشهدون على أفعالك ويراقبون تحركاتك فاحذري

فمن الشهود الملائكة الذين يكتبون علينا أعمالنا ويسجلون علينا سيئاتنا وحسناتنا قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢] .

أيها الأخ الحبيب :- أتذكر في تلك الليلة لما كنت أمام جهاز التلفاز وكنت تنظر إلى ما تبثه القنوات من تلك الصور العارية ؟ لعلك تذكرت ذلك الموقف ..هل كنت وحدك ؟ إنك لو علمت أن الملائكة قد كتبوا عليك تلك المعصية لما فعلت تلك المعصية وهناك شاب آخر قد أخذ سماعة الهاتف ليعاكس الفتيات يا ترى !! هل علم بأن الملائكة الكاتبين قد سجلوا عليه سوء عمله ؟وتلك الفتاه التي سمعت الأذان ولكنها تساهلت في أداء الصلاة حتى خرج وقتها ولم تصل تلك الصلاة ؛ لأنها انشغلت بالمكالمة الهاتفية أو لعلها كانت تشاهد الأفلام والقنوات . إنني أجزم أن تلك الفتاه غافلة عن شهادة الملائكة وأنهم يكتبون عليها أعمالها، وأقول لأولئك المفسدين من العلمانيين والكتاب المنافقين، إن ما تقولونه وتكتبونه سترونه في كتابكم يوم القيامة، لأن الملائكة الكاتبين قد كتبوا أقوالكم وأعمالكم .

وبعد تلك الكتابة من الملائكة، يا ترى ماذا سيجري بعد ذلك ؟ عندما تموت سيطوى

كتابك ولكنك سوف تلتقي معه عندما تخرج من قبرك وسوف تعطى هذا الكتاب الذي كتبته عليك الملائكة في الدنيا وسوف يأمرك اللّه جل وعلا بأن تقرأه عندما تقف بين يديه إنها لحظة عجيبة، إنها ساعة حرجة عندما يقف العبد حافياً عارياً أمام الجبار جل جلاله ومع العبد كتاب وهذا الكتاب هو ديوان الحسنات والسيئات فما هو شعورك يا من كان ليله في السهر على القنوات ونهاره في النوم عن الصلوات ؟ ما حالك يا عبد اللّه عندما ترى سيئاتك في ذلك الكتاب ؟ ويا ليت الأمر ينتهي عند مجرد رؤيتك له بل تؤمر بقراءته .. فماذا ستقرأ وماذا ستجد ؟ ماذا ستقرأ يا شارب الدخان؟ ماذا ستقرأ يا من عق والديه؟ ماذا ستقرأ يا من أهمل تربية أبنائه؟ ماذا ستقرأ يا آكل الربا؟ وأقول لتلك الفتاة التي غفلت عن ربها وأعرضت عن طاعة مولاها ماذا ستجدين في ذلك الكتاب الذي ؟؟ أختاه ستقرئين أعمالك هناك فماذا ستقرئين ؟ أما لباسك فحرام أما وقتك فضياع في الآثام . يا أختاه الأمر خطير، فمتى ستحذرين؟ ومن الشهود الجوارح التي هي من نعم اللّه علينا: اليدان والقدمان واللسان والعينان والأذنان بل وسائر الجلود ستأتي يوم القيامة لتشهد عليك يا عبد اللّه وستشهد عليك يا أختاه إنه مشهد لا مثيل له يقف العبد أمام ربه ويبدأ الحساب ثم تبدأ الجوارح لتكشف الأسرار ولتخبر بالفضائح والجرائم التي فعلتها في أيامك السابقة، وبعد ذلك ماذا يجري، وهل يقف الحد عند ذلك ؟ لا، فيا حسرتاه عندما تنطق اليدان وتخبر عنك أيها الإنسان وتقول يا رب : بيده اشترى المجلات الماجنة بيده حرك "مفتاح" القنوات الفضائية يا رب بيده لمس المرأة الأجنبية ورفع السماعة لمعاكسات الفتيات يا رب بيده شرب الدخان والشيشة والمخدرات بيده تعاطى الخمر والمسكرات، وتلك الفتاه، تنطق يداها، فما عساها تقول..!! يا رب بيدها لبست العباءة الضيقة وبيدها وضعت المكياج والعطور لكي تمر بها أمام الرجال إنه يوم الفضائح وتتكلم القدمان: أنا للحرام ذهبت وعن الصلاة قعدت وإلى بلاد الحرام مشيت .. وإن الأمر يزداد حرجاً وشدة عندما تنطق وكأني بذلك الشاب يقف متعجباً وهو يرى العين تشهد عليه بكل نظرة سيئة إنه متعجب وهو يسمع شهادة الأذنان بكل أغنية وفاحشة استمع إليها وبعد ذلك يحصل الأمر الغريب يخاطب المرء جوارحه لم يا عين تشهدين؟ !! لم يا سمع تشهد؟ !! لم يا قدم تتكلمين ؟ !! ولكن الجواب أعم

﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١﴾ [فصلت: ٢١] .

وينتهي ذلك المشهد العجيب ولكن يا ترى !! ما حالك هناك ؟ وهل ستكون ممن شهدت له الجوارح بالطاعات أم ستكون ممن تفضحه جوارحه أمام اللَّه خالق الكائنات ؟ وأخيراً يا ترى هل بقي أحد يشهد علينا ؟ نعم إنه الواحد الأحد رب الشهود، إنه الواحد المعبود، الذي يراك أينما كنت ويعلم بحالك.

إن الأمر خطير ويوم العرض عسير وهناك تبدو الأسرار وتنكشف الفضائح والجرائر والجرائم والمخازي تذكر يوم العرض على اللَّه وقد صار تاريخك مكشوفا وصحيفتك مكشوفة وجسدك مكشوف

وأحضروا للعرض والحساب	وانقطعت علائق الأنساب
وارتكمت سحائب الأهوال	وانعجم البليغ في المقال
وشهدت الأعضاء والجوارح	وبدت السوءات والفضائح
ونشرت صحائف الأعمال	تؤخذ باليمين والشمال

قل لي بربك ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخيت الستور واستترت عن الخلائق فقارفت الفجور ماذا سيكون جوابك عند كشف الأسرار وهتك الأستار يوم القيامة يوم تكشف المكنونات والمخبآت فحينئذ يساق العباد ومعهم الأشهاد فيشيب الصغير ويسكر الكبير ويتعلق بأمه الجنين خائفا مذعورا مندهشا وتغلي الحميم وتزفر الجحيم وييأس الكفار وتسعر النيران وتتغير الألوان ويخرس اللسان وتنطق الجوارح .

- **الوسائل التي تعين على تحقيق تعظيم الله**

يا مسلم عظم مولاك حق تعظيمه وإليك الوسائل التي تعين على تحقيق تعظيم اللَّه، أخي الكريم !

وبعد هذا كله فحريٌ بنا أن نتطرق إلى الأمور المعينة على تعظيم اللَّه وهي كثيرة وللَّه الحمد ؛ ولكن قبل أن نذكرها ننبه إلى نقطة مهمة وهي أن المسلم إذا أراد أن يكون ممن يعظم اللَّه حق التعظيم، فلا بد من وجود نية صادقة تدفعه دفعاً للوصول إلى هذه

الغاية، وأن يكون حرصه على تعظيم الله نابعاً من استشعاره لأهمية التعظيم، وأن يريد بعمله وجه الله تعالى لا أن يمدحه الناس ويثنوا عليه.

انتبه : عليك بالإخلاص واحذر الرياء والسمعة والتمس وجه الله!

يقول شاب: كنت أعاني من طلب ثناء الناس كثيرا في عبادتي، حتى قرأت قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [الروم: ٤٠] .

فكررت: ﴿ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾؟ لا والله! فيا له من حرمان أن يترك المرء طلب ثناء مولاه -الذي خلقه ثم رزقه ثم يميته ثم يحييه- إلى طلب ثناء مخلوق مثله!.

فالإخلاص: استواء أفعال العبد في الظاهر والباطن وقال آخر: نظر الأكياس في تفسير الإخلاص فلم يجدوا غير هذا أن تكون حركته وسكونه في سره وعلانيته لله وحده لا يمازجه شيء لا نفس ولا هوى ولا دنيا وتحقيق الإخلاص يحتاج إلى مجاهدة ومصابرة يقول سفيان بن عيينة: (اثنتان أنا أعالجهما منذ ثلاثين سنة ترك الطمع فيما بيني وبين الناس وإخلاص العمل لله).

يا الله ماذا وجد من فقدك؟ وماذا فقد من وجدك؟ من وجدك فقد وجد كل شيء . ومن فقدك فقد فقد كل شيء . اعمل لوجه واحد ليكفلك الوجوه كلها. والزم بابا واحدا تفتح لك الأبواب . واخضع لسيد واحد تخضع لك الرقاب . وإذا أردت أن تدفع الرياء عن نفسك فانظر إلى جميع ما في الدنيا على أنها جمادات

وإليك الوسائل التي تعين على تحقيق تعظيم الله فمنها

أولا: أن الاستسلام لله والانقياد لشرعه والطاعة له هي مناط القبول عند الله والرضا.

ثانيا : إن تعظيم الله وتمجيده تستلزم تعظيم أحكامه وشرعه .

ثالثا : دلالات وعلامات تعظيم النصوص الشرعية .

رابعا: أمثلة على مبادرة الصحابة ومسارعتهم لامتثال أمر الله وتعظيم شرعه .

وإليك بيان مختصر بها :

أولا : أن الاستسلام للَّه والانقياد لشرعه والطاعة له هي مناط القبول عند اللَّه والرضا:

ولما كان في نصوص الشريعة وأحكامها ما يخالف شهوات بعض الناس وشبهاتهم كان تلقيهم لتلك النصوص والأحكام مصحوباً بنوع من التردد والتقاعس مع التثاقل والحرج في صدورهم، هذا إن لم يدفعوا تلك الأحكام الشرعية بالكلية أو يتعسفوا ويتحذلقوا بتأويل نصوص الشرع والتحايل عليها في سبيل تحقيق شبهاتهم وشهواتهم .

وهـذا المزلق الخطير لا يستغرب حين يصدر ممن ليس لهم حظ في الإسلام من اليهود والنصارى وأشياعهم فهم كما قال اللَّه : ﴿ وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩] .

ولكن الغريب في ذلك أن ينزلق في هذا المسلك الخطير بعض المسلمين ممن فرحوا بما عندهم من العلم الدنيوي فأخذوا يَزِنون النصوص الشرعية بميزان عقولهم، فما وافق عقولهم قبلوه وما لم يوافق عقولهم أولوه وحرفوه بما يوافق الهوى، فجعلوا عقولهم حاكمة مهيمنة على الشرع، فلم يعد لهذه النصوص الشرعية في قلوبهم تعظيما أو تقديساً أو انقياداً.

ثانيا : إن تعظيم اللَّه وتمجيده تستلزم تعظيم أحكامه وشرعه:

إن تعظيم الرب تعالى وتمجيده مستلزم لتعظيم أحكامه ونصوص شرعه من القرآن والسنة قال الإمام ابن القيم رحمه : «أول مراتب تعظيم الحق عز وجل تعظيم أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر اللَّه عز وجل واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه فيكون تعظيم المؤمن لأمر اللَّه ونهيه دالاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر» اهـ

ثالثا : دلالات وعلامات تعظيم النصوص الشرعية:

فإن لتعظيم النصوص الشرعية من القرآن والسنة دلالات وعلامات من افتقدها فهو على خطر عظيم، فمن علامات تعظيم النصوص الشرعية عدم الاختيار أو المشورة

في قبول حكم الله تعالى بل التسليم الكامل المطلق دون تردد أو شك ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٦] ، قال ابن كثير رحمه الله: «فهذه الآية عامة في جميع الأمور. ذلك أنه إذا حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بشيء فليس لأحدٍ مخالفته. ولا اختيار لأحد هاهنا ولا رأي ولا قول» اهـ.

ومن علامات تعظيم النصوص الشرعية عدم وجود الحرج عند سماع النص الشرعي ويتأكد هذا عند تطبيقه قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء:٦٥]، فدلت الآية على وجوب الانقياد لحكم الله ظاهراً وباطناً برحابة صدر وطمأنينة نفس.

ومن العلامات أيضا عدم التنطع في البحث عن الحكمة أو العلم والتعمق في ذلك، فتلك الصفة تنافي كمال التسليم والانقياد لله. بل قد يستمرئ صاحبها ذلك فتجره إلى الاعتراض على بعض الأحكام الشرعية إلا حين يعلم الحكمة منها، فالواجب على المسلم الإمساك والتأدب مع مقام التشريع فالله عز وجل لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون.

ومع هذا لا مانع من السؤال والاستئناس بطلب الحكمة من الحكم الشرعي إن أمكن ظهورها مع الرضا والقبول التام أولاً.

قال شارح الطحاوية رحمه الله: "اعلم أن مبنى العبودية والإيمان بالله وكتبه ورسله على التسليم وعدم الأسئلة عن تفصيل الحكمة في الأوامر والنواهي والشرائع. ولهذا لم يحك الله سبحانه عن أمة نبي صدقت بنبيها وآمنت بما جاء به أنها سألته عن تفاصيل الحكمة فيما أمرها به ونهاها عنه وبلغها عن ربها ولو فعلت ذلك لما كانت مؤمنة بنبيها. بل انقادت وسلمت وأذعنت وما عرفت من الحكمة عرفته، وما خفي عنها لم تتوقف في انقيادها وتسليمها على معرفته ولا جعلت ذلك من شأنها وكان رسولها أعظم عندها من أن تسأله عن ذلك" اهـ.

ومن علامات تعظيم النصوص الشرعية الغضب لله تعالى إذا انتهكت محارم الله ومحاولة التغيير ما استطاع المرء إلى ذلك سبيلاً.

عن عائشة رضي الله عنها قالت : (ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها) [أخرجه البخاري].

فمتى كان العبد غيوراً على محارم الله مسارعاً إلى إنكارها وإصلاح أهلها كان ذلك دليلاً على تعظيمه للنصوص الشرعية ومراعاة حدودها وآدابها

ومن علامات تعظيم النصوص الشرعية أن يمسك عما ليس له به علم وأن يحذر من الخوض في ذلك وأن يجعل نصب عينيه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦]، فالخوض في معاني كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم دون دراية أو سؤال، من القول على الله بلا علم وهذا من الذنب العظيم فضلاً عما يجره من المفاسد، من ضلال الآخرين وإضلالهم.

وإنه لمن المؤسف أن يجعل كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم وأحكام الشرع المطهر ميداناً للحوار والنقاش والجدل من أناس ليس لهم حظ من العلم الشرعي وأحياناً من العقل فيحصل في هذه الحوارات من السفه والتأويل والتحريف للنصوص الشرعية مما يضعف تعظيمها والانقياد لها في نفوس من يستمع إلى مثل هذه الحوارات في مجالس الناس أو فيما يبث في الفضائيات فيستسهل الناس الأمر ويتعودوا القول على الله بغير علم، وكأن ما يطرح في الحوار قضية سياسية أو أدبية .

[- بتصرف يسير- من خطبة الإنقياد وشهادة أن لا إله إلا الله للشيخ: يونس صالح]

من علامات التعظيم

قال ابن القيم رحمه الله في الوابل الصيب: «فعلامة التعظيم للأوامر» رعاية أوقاتها وحدودها، والتفتيش على أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص على تحسينها وفعلها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوات حق من حقوقها، كمن يحزن على فوات الجماعة، ويعلم أنه لو تقبلت منه صلاته منفرداً،

فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفاً، ولو أن رجلاً يعاني البيع والشراء يفوته في صفقة واحدة في بلده من غير سفر ولا مشقة سبعة وعشرون ديناراً، لأكل يديه ندماً وأسفاً، فكيف وكل ضعف مما تضاعف به صلاة الجماعة خير من ألف وألف ألف، وما شاء الله تعالى، فإذا فوَّت العبد عليه هذا الربح خسر قطعاً.

كثير من العلماء يقول لا صلاة له وهو بارد القلب، فارغ من هذه المصيبة، غير مرتاع لها، فهذا من عدم تعظيم أمر الله تعالى في قلبه، وكذلك إذا فاته (الفرض) أو الوقت الذي هو رضوان الله تعالى، أو فاته الصف الأول الذي يصلي عليه الله وملائكته، ولو يعلم العبد فضيلته لجالد عليه، ولكانت قرعة، وكذلك فوت الجمع الكثير الذي تضاعف الصلاة بكثرته وقلته، فكلما كثر الجمع كان أحب إلى الله - عزَّ وجلَّ -، وكلما بعدت الخُطا كانت كل خطوة تحط خطيئة وأخرى ترفع درجة.. وكذلك فوت الخشوع في الصلاة، وحضور القلب فيها بين يدي الرب - تبارك وتعالى - الذي هو روحها ولبها، فصلاة بلا خشوع ولا حضور، كبدن ميت لا روح فيه، أفلا يستحيي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبداً ميتاً أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها، من ملك أو أمير، أو غيره، فهكذا سواء الصلاة الخالية من الخشوع والحضور وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد - أو الأمة - الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه الله عليها، فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، كما في «السنن» ومسند الإمام أحمد وغيره عن النبي - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم - أنه قال: (إن العبد ليصلي الصلاة وما كتب له إلا نصفها، إلا ثلثها، إلا ربعها، إلا خمسها حتى بلغ عشرها) رواه أبو داود رقم (٧٩٦) في الصلاة: باب ما جاء في نقصان الصلاة، وأحمد في المسند ٤/٣١٩ و٣٢١، من حديث عمَّار بن ياسر، وإسناده حسن، ولفظه: (إن العبد ليصلي الصلاة ما كتب له منها إلا عشرها، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها).

وينبغي أن يعلم أن سائر الأعمال تجري هذا المجرى، فتفاضل الأعمال عند الله بتفاضل ما في القلوب من الإيمان والإخلاص، والمحبة وتوابعها، وهذا العلم الكامل هو الذي يكفر الذنوب تكفيراً كاملاً والناقص بحسبه، وبهاتين القاعدتين تزول إشكالات

كثيرة، وهما: تفاضل الأعمال بتفاضل ما في القلوب من حقائق الإيمان وتكفير للسيئات بحسب كماله ونقصانه. أهـ

رابعا : أمثلة على مبادرة الصحابة ومسارعتهم لامتثال أمر الله وتعظيم شرعه:

لقد ضرب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة وأصدقها في المبادرة والمساعدة لامتثال أمر الله ورسوله وتعظيم نصوص الشرع والوقوف عندها والغضب عند مخالفتها وانتهاكها. وحرصهم هذا وتعظيمهم ليس مقصوراً على ما كان واجباً فحسب بل تعدى ذلك إلى المستحبات، ويكفيهم شرفاً وفخراً تزكية الله لهم وثناؤه عليهم.

وما ورد عن الصحابة رضي الله عنهم في هذا الشأن كثير يصعب حصره فمن ذلك ما ورد عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه إذ لما برأ الله عائشة رضي الله عنها من خبر الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه : (والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا، وكان ممن وقع في شأن عائشة، وكان أبو بكر ينفق عليه قبل ذلك، فلما نزل قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾[النور:٢٢] قال أبو بكر رضى الله عنه : بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي، فأرجع إلى مسطح النفقة، وقال والله لا أنزعها أبداً) [متفق عليه].

وجاء في شأن عمر الفاروق رضي الله عنه من ذلك الكثير فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس وكان الحر من النفر الذين يدنيهم عمر فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه. فأذن له عمر فلما دخل عليه قال عيينة: هيه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم بيننا بالعدل فغضب عمر حتى هم به فقال له الحر بن قيس: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[الأعراف:١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين قال ابن عباس: والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافا عند كتاب الله .

ومـن تعظيـم الفـاروق رضى الله عنه لشـأن النبي صلـى الله عليه وسـلم وأمره ما أخرجه الإمام أحمد بإسـناد حسـن أنه رضى الله عنه قلع ميزاباً للعباس على ممر الناس فقال له العباس : أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي وضعه في مكانه، فأقسم عمر : لتصعدن على ظهري ولتضعنه في موضعه.

و مـن رسـالة بعنوان الصحابة والاسـتجابة لإبراهيم بن صالح الدحيم ذكر بعد المقدمة - باختصار من الرسالة المذكورة -

ونشـرع الآن بذكر نماذج عالية من اسـتجابات الصحابة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، أعرضها غير مرتبة ولا معنونة اسـتثارة للنفس ودفعًا للسـآمة والملل مع تعليق مختصر يناسب المقام. صور منيرة لاستجابة الصحابة.

تجارة أبي الدحداح: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البقرة: ٢٤٥] قـال أبـو الدحـداح رضي الله عنه: يـا رسـول الله! أو إن الله يريد منا القـرض؟! قال: «نعـم يا أبا الدحداح»! قال: يدك يا رسول الله، قال: فناوله يده قال: فإني قد أقرضت ربي حائطي، حائطًا فيه ستمائة نخلة، ثم جاء يمشي حتى أتى الحائط وأم الدحداح فيه في عياله فناداها: يـا أم الدحداح! قالت لبيك: قال: اخرجي فقـد أقرضـت ربي حائطًا فيه سـتمائة نخلة» [تفسـير ابن جرير لآية (٢٤٥) من سـورة البقرة] ، وحين يتمالـكك العجب من فعل أبي الدحداح! فاعجـب أكثر من مطاوعة زوجته له!!. كم هي الخطب الرنانة التي تلهب العواطف؟! وكم الآيات التي تتلى في الترغيب بالصدقة، والأحاديث التي تتردد على الأسماع في ذلك، ثم انظـر حصيلة هذا الضخ العاطفي الضخم! بينما يسـمع الصحابي آية واحدة تحرك مشاعره وتزهده في الدنيا!!

غسـلته الملائكة: وهذا حنظلة بن أبي عامر يدخل على زوجته في ليلة عرسه فينادي منادي الجهاد: يا خيل الله اركبي! فيفزع من فراشـه إلى فرسـه ويأخذ سـيفه، ويدخل الجيش، ويلتقي الفريقان في مواجهة سـريعة حاسـمة، فيقتل فيها الزوج العروس لتتم له السعادة في الشهادة، ويرفع النبي ﷺ بصره وهو يقول: «إن صاحبكم تغسله الملائكة فسلوا صاحبته عنه» فقالـت: إنه خرج لما سمع الهائعة وهو جنب فقال ﷺ: «لذلك

غسلته الملائكة» [صلاح الأمة في علو الهمة. للعفاني وحسنه (٣/٣٦٩) وعزاه للحاكم، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي. وله شواهد يتقوى بها]. **اللَّه أكبر.. ناداه منادي الجهاد وهو في ليلة عرسه فأجاب، دعاه الشوق إلى الجنة وإلى لقاء اللَّه فلبى، ولم يجد فرصة لأن يغتسل خوفا أن يتأخر!!**

فباللَّه حدثني عن رجل ينام ملء عينيه: آمنًا في سربه معافىً في جسده، يسمع داعي اللَّه ينادي كل يوم (الصلاة خير من النوم) ولا يحرك ساكنًا، بل لسان حاله يردد (النوم خير من الصلاة!!).

اللَّهم ارحم بني سلمة: يعود رسول اللَّه ﷺ وأصحابه من أحد، تلك الغزوة التي اشتد فيها القرح وعظم فيها الجرح، قتل فيها من خيار الصحابة من قتل، وجرح فيها من جرح، حتى إذا صلى صلاة الصبح من اليوم الثاني أمر بلالاً فنادى: إن رسول اللَّه ﷺ يأمركم بطلب عدوكم، ولا يخرج معنا إلا من شهد القتال أمس، فخرج سعد بن معاذ إلى داره يأمر قومه بالمسير وكلهم جريح فقال: إن رسول اللَّه ﷺ يأمركم أن تطلبوا عدوكم فقال: أسيد بن حضير رضي الله عنه وبه سبع جراحات يريد أن يداويها!! (سمعًا وطاعة للَّه ورسوله) وأخذ سلاحه ولم يعرِّج على دواء، ولحق برسول اللَّه ﷺ وخرج من بني سلمة أربعون جريحًا: بالطفيل بن النعمان ثلاثة عشر جرحًا، وبالحارث بن الصمة عشر جراحات، حتى وافوا رسول اللَّه ﷺ على جراحهم فقال لما رآهم «اللَّهم ارحم بني سلمة».

الجريحان: وعن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان، أن رجلاً من أصحاب رسول اللَّه ﷺ من بني عبد الأشهل، كان شهد أحدًا. قال: شهدت أحدًا مع رسول اللَّه ﷺ أنا وأخ لي فرجعنا جريحين، فلما أذن مؤذن رسول اللَّه ﷺ بالخروج في طلب العدو قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول اللَّه؟! واللَّه ما لنا من دابة نركبها، وما منا إلا جريح ثقيل، فخرجنا مع رسول اللَّه ﷺ - وكنت أيسر جرحًا من أخي - فكنت إذا غلب حملته عقبة، ومشى عقبة، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون فخرج رسول اللَّه ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد [تاريخ الطبري ٢/٧٥، البداية والنهاية ٤/٥٦] فأنزل اللَّه تعالى قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٧٢].

لقد مزجوا حرارة الألم بلذة الطاعة، فانقلب الأنين حنينًا، والمشـقة شوقًا!! ونحن: أقعدنا ألم الضرس، ووجع الرأس - ليس عن ساح الكفاح - بل عن إجابة داعي الفلاح؟! ثم نطلب بعد ذلك عزًا، ونأمل نصرًا، حالنا كما قـال الأول:

يحاول نيل المجد والسيف مغمدٌ ويأمل إدراك العلى وهو نائــمُ!

لا تهزمهم الإبل: وفي حنين لما انكشـف النبي ﷺ وأصحابه ولم يبق مع النبي ﷺ إلا عدد قليل جدًا، أمر العباس أن ينادي بالناس: أين أصحاب الشـجرة؟! وكان العباس صيتًا، قال: فناديت بأعلى صوتي، أين أصحاب الشجرة!! قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك. قال: فاقتتلوا والكفار.. ولابن إسـحاق نحوه وزاد «فجعل الرجل يعطف بعيره فلا يقدر، فيقذف درعه ثم يأخذ بسـيفه ودرقته ثم يؤم الصوت» [فتح الباري ٨/٤٠]. إنها التربية النبوية على بذل النفوس والأموال رخيص في سبيل الله، وإجابة داعي الله لا يحجز عنه خوف أو طمع. فهل تملك لغة تعلق بها على هذه المواقف؟!

انتهينا انتهينا: وحين هاجر الصحابة إلى المدينة لم تكن الخمر قد حرمت بعد، فكان منهم من يتعاطاها كما يتعاطى الحلال من الطعام والشـراب، يشـربونها في نواديهم ومجالسـهم فلمـا نزل قولـه تعـالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [المائدة: ٩١]. قالـوا: انتهينا انتهينا. يقول أنس: كنت ساقي القوم يومئذ في بيت أبي طلحة، وإذ بمنادي رسول الله ﷺ ينـادي فقال: اخرج فانظر، فخرجت فـإذا منادٍ ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، قال: فجرت في سـكك المدينة فقال لي أبو طلحة: اخرج فاهرقها، فهرقتها..» [البخاري (٢٤٦٤) ومسـلم (١٩٨٠) واللفظ لمسلم]. لقد كان يكفي الصحابة أن يسـمعوا كلمة واحدة في تحريم شيء حتى يجتنبوه في امتثال تام واسـتجابة عامة لم يشـهد التاريخ لها مثيلاً!! لم يكن يمنعهم من تركها جريان العادة عليها، ولم يكونوا بحاجة إلى أيام ليتدرجوا في تركها، لقد تركوها مباشرة. وهذه هي حال أصحاب الإرادة القوية، تلك الإرادة التي ينشئها الإيمان، فتباشـر آيات القرآن بالقبول والإذعان، إنها صورة عظيمة لمجتمع الصحابة!! فهـل نجد في حاضـر الأمة أفرادًا حين يقال لهـم: إن الغناء محرم، والدخـان محرم، والربا محرم يكون رجع صدى أحدهم «سـمعنا وأطعنا»؟!. إنه الإيمان الذي باشر القلوب

فجعلها تذعن راضية مختارة! قارن هذا مع ما جرى في القرن العشرين (حيث أرادت الولايات المتحدة الأمريكية أن تخلص شعبها من مضار الخمر وتجرب ما جاء به القانون الإسلامي فشرعت في سنة ١٩٣٠ قانون تحريم الخمر، والذي حرم على الناس بيع الخمور أو شراءها أو صنعها أو تصديرها أو استيرادها وقد مهدت الحكومة لهذا القانون بدعاية واسعة عن طريق السينما والتمثيل والإذاعة ونشر الكتب والرسائل، وكلها تبين مضار الخمر مدعومة بالإحصائيات الدقيقة والبحوث العلمية والطبية، وقد قدر ما أنفق بـ٦٥ مليونًا من الدولارات، وسودت تسعة آلاف مليون صفحة في بيان مضار الخمر والزجر عنها، وأنفق ما قدر مجموعة بأربعة ملايين ونصف من الجنيهات لأجل تنفيذ هذا القانون، ودلت الإحصائيات للفترة الواقعة بين تاريخ تشريعه وبين تشرين الأول ١٩٣٣ أنه قتل في سبيل تنفيذ هذا القانون مائتا نسمة، وحبس نصف مليون، وغرم المخالفون له غرامات تبلغ مليون ونصف المليون من الجنيهات، وصودرت أموال تقدر بأربعمائة مليون جنيه. وكان آخر المطاف أن اضطرت الحكومة الأمريكية إلى إلغاء قانون التحريم في أواخر سنة ١٩٣٣، ولم تنفعها تلك الأموال الطائلة والتضحيات الجسيمة لحمل الناس على ترك الخمر الثابت ضررها، لأن القانون لم يكن له سلطان على النفوس يحملها احترامه وطاعته. ولكن كلمة ﴿ فَٱجۡتَنِبُوهُ ﴾ [المائدة: ٩٠] التي جاءت بها الشريعة الإسلامية في جزيرة العرب وبين أناس اعتادوا شربها دون أن يسبق ذلك دعاية واسعة أو نشر كتب ورسائل – ألجمت الأفواه عن تذوق الخمر ودفعت أولئك الناس إلى إراقة خمورهم بأيديهم لا بيد شرطي أو رقيب [المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية عبد الكريم زيدان ص٣٧].

نفوس روضت شهواتها: وصورة أخرى في هذا المعنى من الاستجابة للَّه ولرسوله ﷺ، والتخلص من الحضوض النفسية والانتصار على دافع الشهوة، نعرض لذلك في وقت نرى كثيرًا من الشباب قد باع دينه من أجل شهوة زائلة ونزوة عارمة، (ففي البخاري في خبر قدوم وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم وأنه خيرهم بين الأموال والسبي فاختاروا السبي فقام رسول اللَّه ﷺ في المسلمين فأثنى على اللَّه بما هو أهله ثم قال: «أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل». فقال الناس: قد طيبنا ذلك يا رسول اللَّه، فقال رسول اللَّه ﷺ: «إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن،

فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم». فرجع الناس، فكلمهم عرفاؤهم، ثم رجعوا إلى رسـول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا) [البخاري (٤٣١٨)] تصور هذا الموقف وانظر مدى الاسـتجابة، السبي وزع والجواري قسمت ثم يأتي الطلب بعد أن تعلقت النفوس بل ربما بعد أن هيئت الجارية لسيدها!! نقل ابن حجر عن ابن إسحاق في مغازيه» قال: حدثـني أبو وجزة يزيد بن عبيد السـعدي أن رسـول الله ﷺ أعطى من سـبي هوازن علي بـن أبي طالب جارية يقال لها ريطة بنت حبان بن عمـير، وأعطى عثمان جارية يقال لها زينـب بنت خنـاس، وأعطى عمر قلابـة فوهبها لابنه، قـال ابن إسـحاق: فحدثني نافع عـن ابن عمـر قال: بعثت جاريتي إلى أخـوالي في بني جمح ليصلحوا لي منها، حتى أطوف بالبيت ثم أتيتهم، فخرجت من المسجد فإذا الناس يشتدون، قلت: ما شأنكم؟ قالوا: رد علينا رسـول الله ﷺ نساءنا وأبناءنا فقلت دونكم صاحبتكم فهي في بني جمح، فانطلقوا فأخذوها [فتح الباري ٤٦/٨ ط دار السلام] إنها الاسـتجابة في الوقت الذي تعلق فيه القلب، واشـتاقت فيه النفس، إننا لا نسـتطيع أن نجـرد ابن عمر من معاني الرغبـة فيه، ولا من إنسانيته، لكنه الإيمان الذي يصنع العجائب وكفى!

بعـد ما غلت القـدور: وصورة أخرى في هـذا المعنى من الاسـتجابة الجماعية، ففي صحيـح البخاري عن ابن أبي أوفى رضي الله عنهما قال: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر فوقعنا بالحمر الأهلية فانتحرناها، فلما غلت القدور نادى منادي رسول الله: أكفئوا القدور، فلا تطعموا من لحوم الحمر شيئا» [البخاري (٣١٥٥)] وفي لفظ لمسلم «فأكفئت القدور بما فيهـا وإنها لتفور بما فيها» [مسلم (١٩٤٠)]... (مجاعة) و(القدور تغلي) أي استشـراف سيكون عند الصحابة، وأي تعلق ستبلغه نفوسـهم!! ثم في هذه الحالة تأتيهم الأوامر النبوية أن الحمر الأهلية قد حرمت.. فما العمل؟! اكفئوا القدور.. هل أحالوها مظاهرات واحتجاجات يملأ ضجيجها الأسواق والساحات العامة؟! لا (فأكفئت القدور بما فيها وإنها تفور بما فيها) وانتهت القضية.. ودون أي مراجعة!!

التنظيم العجيب: وفي حديث كعب بن مالك الطويل [البخاري (٤٤١٨)] في خبر تخلفه عن غزوة تبوك يقول - واقرأ العجب في حديثه - وفيه: (فنهى رسول الله ﷺ عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا، حتى تنكرت في نفسي

الأرض فما هي التي أعرف. فلبثنا على ذلك خمسين ليلة، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم، فكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إليَّ - فسلمت عليه، فوالله ما رد عليَّ السلام، فقلت: يا أبا قتادة، أنشدك بالله هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت، فعدت له فنشدته فسكت، فعدت عليه فنشدته، فقال: الله ورسوله أعلم، ففاضت عيناي وتوليت حتى تسورت الجدار قال كعب: حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين، إذا رسول رسول الله ﷺ يأتيني فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك، فقلت: أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال: لا، بل اعتزلها ولا تقربها، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك، فقلت لامرأتي: الحقي بأهلك، فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر) إن الكلمات تعجز عن التعليق على هذا الموقف، عن ماذا نتحدث؟! هل نتحدث عن الانضباط العام من الصحابة في عدم الحديث مع كعب وصاحبيه حتى استوحشت عليهم الديار؟! أم نتحدث عن الحميم والقريب لكعب - أبو قتادة - وكيف أنه استجاب للأمر مع شدته، أجزم أن هذا الأمر لو طلب من أبي قتادة أيام الجاهلية فستكون الثريا أقرب إلى الطالب منها، فالعصبية قد ضربت فيهم أطنابها، وشدت عليهم حبالها، قد صوت شاعرهم فقال:

لكنه الإيمان!! وسنكررها: إنه الإيمان حين يستقر في القلوب..

ثم لا ننسى هذه الاستجابة الفذة من كعب رضي الله عنه - صاحب القصة - فقد تتابعت عليه المحنة، ولا يزال على استعداد تام لقبول أوامر النبي ﷺ، حتى ولو كان ذلك في فراق زوجته؟!

عند تحويل القبلة: عن البراء رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وإنه صلى، أو صلاها - صلاة العصر - وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون فقال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت » [البخاري (٤٤٨٦)].

معاملة النساء: في الجاهلية كان الرجل يستنكف على المرأة، ويرى أنها مسخرة لخدمته، مخلوقة لحاجته، حتى إذا أشرقت أنوار الرسالة تحولت الصخور الجلمد - التي كانت قبل في الجاهلية - إلى قلوب لينة تلين إلى ذكر الله وأمره، تبتغي الأجر مظانه، فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سقى الرجل امرأته الماء أجر». قال: فقمت إليها فسقيتها وأخبرتها بما سمعت [السلسلة الصحيحة رقم (٢٧٣٦)].

الحلف بالله: وفي الجاهلية أيضا اعتاد الناس تعظيم الآباء حتى كانوا يحلفون بهم، فلما نهاهم النبي ﷺ عن ذلك، هل اعتذروا بجريان العادة؟! عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم» وفي رواية: «فمن كان حالفًا فليحلف بالله، أو ليصمت» وفي رواية: قال عمر: فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ ينهى عنها، ذاكرًا ولا آثرًا [آثرًا: أي: حاكيًا عن غيري أنه حلف بها] »[البخاري (٣٤٢٤) ومسلم (١٦٥٤)]. كم هي الكلمات التي تخرج على ألسنة الناس وفيها محاذير شرعية - اللعان، التنابز بالألقاب ونحوها - ثم إذا نهيتهم عنها وجدت أن تغيير ذلك يحتاج إلى زمن!!

باب النساء: وعن نافع عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ «لو تركنا هذا الباب للنساء. قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات »[أبو داود (٤٦٢-٥٧١) وصححه الألباني] إنه تمام الانقياد ومنتهى الاستجابة والطاعة، يكفي أن يقترح النبي ﷺ فتنقاد النفوس لذلك، كأنما تؤمر به أمرًا.

عند تأبير النخل: وإذا كان الاقتراح منه ﷺ يقع موقع الأمر، فإن الظن وتوقع الأصلح يكفي للتسليم والانقياد، عن موسى بن طلحة عن أبيه قال: مررت مع رسول الله ﷺ بقوم على رءوس النخل، فقال: «ما يصنع هؤلاء؟» فقالوا يلقحونه، يجعلون الذكر في الأنثى فيلقح، فقال رسول الله ﷺ: «ما أظن يغني ذلك شيئًا»، قال: فأخبروا بذلك فتركوه، فأخبره النبي ﷺ فقال: «إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه، فإني إنما ظننت ظنًا، فلا تؤاخذوني بالظن، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئًا، فخذوا به، فإني لن أكذب على الله عز وجل »[رواه مسلم (٢٣٦١)]. آه.. لقد سار القوم ووقفنا، وتقدموا ورجعنا، فوصلوا وانقطعنا، وإن لم نلحق بهم شقينا، لقد أقعدنا العجز وأخرنا التسويف!

إن قلت قم قال: رجلي ما تطاوعني.. أو قلت خذ قال: كفي ما تواتيني!!

هزمـوا ثورة نفوسـهم: صورة أخرى من الاسـتجابة تجسْـد لك معنى آخـر جميلاً، هـو التنازل عن الحقوق، والعفو عن الزلات طاعة الله واسـتجابة لأمره. أخرج الترمذي وأصل الحديث في البخاري أن معقل بن يسـار رضي الله عنه: زوج أخته رجلاً من الصحابة وأعانه على تكاليف الزواج ويسر له الأمر، حتى إذا مر به زمن طلقها طلاقًا رجعيًا، فلما خرجت من عدتها أراد أن يرجع إليها فخطبها مع الخطاب فقال معقل: وقد غضب من فعله – كيف يزوجه ويعينه ثم يطلق، وضع نفسك مكانه..؟! – زوجتك وفرشتك وأكرمتك فطلقتها ثم جئت تخطبها، لا والله لا تعود إليك أبدًا، – وكان رجلاً لا بأس به، والمرأة تريد أن ترجع إليـه – وأنـزل الله هـذه الآيـة ﴿ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقـرة: ٢٣٢] «فلما سـمعها معقل قال: الآن أفعل يا رسـول الله، فزوجها إياه» [البخـاري (٥١٣٠) والترمـذي (٢٩٨١)]. عجبًا والله: ما الذي حل غضب معقل، وما الذي أزال حنقه؟! إنه تعظيم أمر الله تعالى.

هزمـوا أطماعهـم: وقريـب مـن هذا الموقف ما روي في سـنن أبي داود عن أم سـلمة قالـت: أتى رسـول الله ﷺ رجلان يختصمان في مواريث لهم لم تـكن بينـة إلا دعواهما، فقال النبي ﷺ: «إنما أنا بشـر مثلكم وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسـمع، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شـيئا فإنما أقطع له قطعة من النار. فبكى الرجلان وقال كل واحد منهما حقي لك» [رواه أبو داود (٣٥٨٤)]. قارن ذلك مع واقعنا الذي اشتعلت فيه الخصومات، وازدادت فيه العداوات، وبحت فيه أصوات الدعاة تنادي ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات: ١٠] ولا مجيب؟!

في التذلل للإخوان: (عن علي بن زيد، قال: بلغ مصعب بن الزبير عن عريف الأنصار شيء، فهـم بـه، فدخـل عليـه أنس بـن مالك رضي الله عنه فقال له: إني سـمعت رسـول الله ﷺ يقـول «اسـتوصوا بالأنصار خيرًا – أو قـال: معروفًا – اقبلوا من محسـنهم، وتجاوزوا عن مسيئهم» فألقى مصعب نفسه على سريره، وألزق خده بالبساط، وقال: أمر رسول الله ﷺ على العين والرأس، فتركـه)[السلسـلة الصحيحة رقم (٣٥٠٩)] لقد انطفأت نار العداوة إكراما لقول رسول الله ﷺ. فللَّه ما أكرم الجيل وما أعظم الأمة التي ينتسب إليها هؤلاء!.

الوصيـة: عـن عبـد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسـول الله ﷺ قـال: «ما حق امـرئ مسـلم له شيء يوصي بـه يبيت ليلتـين، إلا ووصيته عنـده» [البخـاري (٤٤,٩)] زاد مسلم [مسلم (١٦٢٨)]: قال ابن عمر: ما مرت علي ليلة منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك إلا وعندي وصيتي.

تنفيـذ الأمر العـام: وأخرج البيهقي بسـند صحيح من طريق ثابت عن ابـن أبي ليلى: كان النبي ﷺ يخطب فدخل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فسـمعه يقول: «اجلسـوا» فجلس مكانه خارجًا من المسـجد، فلما فرغ قال له: «زادك الله حرصًا على طواعية الله وطواعية رسـوله» [الإصابة رقم الترجمة (٥٢٨٢). ط. بيت الأفكار الدولية]. ومثله روي عن ابن مسعود أن النبي ﷺ كان يخطب فقال للناس: «اجلسوا» فسمعه ابن مسـعود وهو على البابـ فجلس؛ فقال ﷺ: «يا عبد الله ادخل» [حياة الصحابة ص (٤٧١) ط بيت الأفكار، وعزاه لابن أبي شيبة وهو في كنز العمال (٥٦/٧)]. أي حالة من حالات الانضباط والاستجابة هذه الحالة، إنه الصدق الذي لا يحتاج معه إلى متابعة أو مراقبة، قارن ذلك بحال المنافقين الذين يستخفون من الناس، ويفرحون أن تغيب عنهم الأعين ﴿ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ﴾ [النور: ٦٣] حتى لا يقعوا في طائل التكليف.

الريطة: وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (هبطنا مع رسول الله ﷺ من ثنية فالتفت إلي وعلي ريطة مضرجة بالعصفر فقال: «ما هذه الربطة عليك؟! فعرفت ما كره فأتيت أهلي وهم يسجرون تنورًا لهم فقذفتها فيه ثم أتيته من الغد فقال: يا عبد الله ما فعلت الريطة؟ فأخبرته فقال: ألا كسوتها أهلك فإنه لا بأس به للنساء) [أبو داود (٤٠٦٦) وحسنه الألباني].

والنسـاء شقائق الرجال، لم يكن حالهم بأقل من الرجال لقد استجبن وما استلبثن، سجل لهن التاريخ مواقف يشتد منها العجب مقارنة بالواقع المعاصر؟!

النسـاء والحجاب: أخـرج ابن حاتم عن أم سـلمة رضي الله عنهـا قالت: لما نزلت قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب: ٥٩] خرجت نسـاء الأنصار كأن على رءوسـهن الغربان من السـكينة، وعليهن أكسـية سود يلبسنها» [ابن كثير في تفسير الآية ٤٨٢/٦ ط دار طيبة وروى ابن أبي حاتم بمعناه عن عائشة في نساء الأنصار عند نزول قوله تعالى (وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) ابن كثير ٤٦/٦. وهو في سنن أبي داود (٤١,٢) وصححه الألباني].

الاحتشام من الإيمان: وعن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] شققن مروطهن فاختمرن بها» [البخاري(٤٧٥٨)] . الله أكبر.. شققن مروطهن مباشرة فاختمرن بها! لم تنتظر حتى تذهب إلى السوق فتشتري خمارًا!! لقد كانت المرأة من الصحابة لا تعرف الحجاب قبل الإسلام، فلما نزل الأمر به، سارعت في الاستجابة حتى لكأنها متحجبة منذ زمن!! فهل تعي ذلك نساء المؤمنين اللاتي ولدن في الإسلام فتحفظ حجابها، وتستجيب لنصح الناصح حين تؤمر بتغطية ما ظهر من بدنها - وهي المرأة التي اعتادت الحجاب من نعومة أظفارها وعلمت أنه أمر ربها -؟!

عدم الاختلاط: عن أبي أسيد الأنصاري رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو خارج من المسجد فاختلط رجال مع نساء في الطريق فقال صلى الله عليه وسلم: «يا معشر النساء استأخرن فإن ليس لكن أن تحققن الطريق عليكن بحافات الطريق، قال أبو أسيد فقد رأيت المرأة تلتصق بالجدار حتى أن ثوبها يعلق بالجدار من شدة لصوقها به»[أبو داود (٥٢٧٢) وحسنه الألباني]. واليوم تجد الرجل أحيانًا هو الذي يلتصق بالجدار بسبب صفاقة المرأة وقلة حيائها، وذهاب الأدب عنها!!.

هذا شيء من خبر الصحابة الذين كانت حياتهن كلها استجابة لأمر الله ورسوله عرضناها من أجل بعث النفوس على التأسي: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ [الممتحنة: ٦].

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

وحين نبتغي للأمة عزًا ونطلب لها نصرًا، فلابد أن نحتذي حذو السلف الصالحين من الصحابة والتابعين، كما قال الإمام مالك رحمه الله: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

فها هي أخبار القوم قد نشرت لك، وأعلامهم قد رفعت إليك، قد صوت الداعي بك فعليك بالحق وهلم فالحق، فالصبح قد بان ضيائه، واستبان نهاره، وأشرقت أنواره. أهـ

رضي الله عن الصحابة الكرام، فقد بلغ من اقتدائهم به صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يفعلون ما يفعل، ويتركون ما يترك دون أن يعلموا لذلك سببا أو يسألوه عن علة الحكم.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس خاتما من ذهب، فنبذه فقال («لا ألبسه أبدا»، فنبذ الناس خواتيمهم)[البخاري رقم (٥٨٦٧)، مسلم رقم (٢٠٩١)].

وروى أبو داود عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: (بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى القوم ذلك ألقوا نعالهم، فلما قضى صلاته قال : (ما حملكم على إلقائكم نعالكم ؟)، قالوا : رأيناك ألقيت نعليك، فقال : (إن جبريل أخبرني أن فيهما قذراً) [أبو داود رقم (٦٥٠). صححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦)] .

فإذا بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هذه الدرجة، في الاقتداء بفعله والامتثال لأمره، فكيف بنا ونحن عالة عليهم في الفقه والعلم.

إذا تأملنا أخبارهم رضي الله عنهم وتأملنا حالنا وحال كثير من الناس اليوم.

كيف هُم يُدعون إلى سُنّة نبيِّهم صلى الله عليه وسلم ثم يتردّدون ويتلكؤون يعتذرون بآلاف الأعذار .. إنه سنّة .. لعله ليس بواجب ..لعله غير صحيح ..فهذا يزعم أنه لا يستطيع أن يتخلّى عن سيجارته، فهو أسيرُها . وآخر يدّعي أنه لا يتعامل بالربا، مع أنه في قرار نفسه موقنٌ بأنه « مُرابي « وثالث يطلق العنان لعينه بالنظر للمحرمات .. يُصبح ويُمسي عليها ورابع يطلق العنان لأذنيه لسماع المحرمات من الغاني والغيبة والنميمة ..أين هؤلاء جميعاً من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟؟!!

وأمثلة ذلك مما جاء عن الصحابة رضي الله عنهم كثير جداً، وعلى نهجهم سار أتباعهم ومن تبعهم من أئمة السلف إلى زماننا هذا ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ [النور: ٥١-٥٢] .

- **كيف نعظم كلام الله عز وجل**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من علم آية من كتاب الله كان له ثوابها ما تليت » [السلسلة الصحيحة]

من أحب القرآن أحب الله ورسـوله، فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره، ولا شيء عند المحبين أحلى من كـلام محبوبهم، فهو لذة قلوبهم وغاية مطلوبهم، كمـا قال بعض السلف: (إذا أردت أن تعرف قدرك عند الله فانظر إلى قدر القرآن عندك).

من تعظيمك لأمر الله سـبحانه وتعالى أن تعظم كتابه إن كتاب الله عز وجل هو كلامه ليس من شيء حولك إلا وهو مخلوق إلا شيء واحد أتدري ما هو ؟! إنه كلام الله فتعظيمك لهذا القرآن هو تعظيم لله تبارك وتعالى إذاً لا بد من تعظيم هذا القرآن برفعه حسـا ورفعه معنى تعظيـم هذا القرآن بالإقبـال عليه وعدم هجرانه تعظيـم هذا القرآن بالإئتمار بأمره والانتهاء عما نهى عنه تعظيم هذا القرآن بتصديق أخباره.

كيف أنت أيها العبد حينما تستمع إلى نداء الله سبحانه وتعالى لك يتوجه إليك وهو العظيم عز وجل (يا أيها الذين آمنوا) .

عشرات الآيات في القرآن الكريم تناديك (يا أيها الذين آمنوا)، فكيف تجد نفسك أمام هذا النداء العظيم من الله تبارك وتعالى .

إن الناس ينادونك إن أباك يناديك أمك تناديك مديرك في العمل يناديك اجعل هناك مقارنة شجاعة صريحة.

بين تأثرك استماعك إنصاتك تجاوبك مع نداء أولئك ومع نداء الله عز وجل وهو يقـول : (يا أيها الذين آمنوا)، إنه ليس خطاب من والد ولا من مدير ولا من أمير ولا من ملك من ملوك الدنيا إنه رب العالمين، ولا شيء عند المحبين أحلى من كلام محبوبهم .

ولذلك سيتعلق قلبك بكلامه وبكتابه فلا تقرأ القرآن إلا ويهتز قلبك وتدمع عينك ويقشعر جسدك وبدنك لأن هذا الكتاب يأخذ عظمته من عظمة الله .

وهكذا كان أهل الإيمان رضي الله تعالى عنهـم وأرضاهم إذا جاء الأمـر والنداء من الله سبحانه وتعالى تفرغت قلوبهم لتسمع ماذا يأمر الله عز وجل به أو ماذا ينهى الله عز وجل عنه

وما أجمل قول ابن مسـعود رضي الله تعالى عنه وأرضاه (إذا سـمعت قول الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا) فأرع لها سـمعك، فهي إما خير تؤمر به، أو شـر تنهى عنه)

﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام:٣٨]

(اشتمل القرآن على كل شيء، أما أنواع العلوم فليس مسألة إلا وفي القرآن ما يدل عليها، وفيه علم عجائب المخلوقات، وملكوت السموات والأرض، وما في الأفق الأعلى، وما تحت الثرى، وأسماء مشاهير الرسل والملائكة، وأخبار الأمم، وفيه بدء خلق الإنسان إلى موته، وكيفية قبض الروح وما يفعل بها، وعذاب القبر والسؤال فيه، ومقر الأرواح، وأشراط الساعة). [(السيوطي) واستطرد بعدها طويلا في تعداد العلوم].

عبد الله : إذا وجدت الأيام تمر عليك، وليس لكتاب الله حظ من أيامك وساعات ليلك ونهارك، فابك على نفسك، واسأل الله العافية، وانطرح بين يدي الله منيبا مستغفرا، فما ذلك إلا لذنب بينك وبين الله، فوالله ما حرم عبد الطاعة إلا دل ذلك على بعده من الله عزوجل. يقول ابن مسعود (إذا كنت في خلوتك لا تبكي على خطيئتك ولا تتأثر بتلاوة كتاب ربك فاعلم أنك مسكين قد كبلتك خطيئتك).

أخي : اغتنم ساعات العمر في الإقبال على تلاوة كتاب الله وجاهد نفسك ولو جزءا كل يوم فستجد نفسك لا تشبع من تلاوته وأتبع ذلك بالعمل وواظب على ذلك حتى الممات وستحظى بالفوز العظيم في الدار الأخرى ..

كان أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله (إذا ختم عليه الخاتم القرآن أجلسه بين يديه ووضع يده على رأسه وقال: يا هذا اتق الله فما أعرف أحدا خيرا منك إن عملت بالذي علمت).

فكم من مسلم إذا تكالبت عليه الهموم توضأ وتطهر ثم انتحى زاوية في بيته وأخذ المصحف يتلوه ويتلو فتزاح عنه الهموم وتنجلي فيقوم وكأنما نشط من عقال.

وكم من مسلم اضطجع على جنبه الأيمن عند نومه وقرأ على نفسه بضع آيات كأنما يمد بها طريقا إلى ربه ويبتغي بها رضاه فنام قرير العين آمناً بحفظ الله ورعايته.

وكم من مسلم أصابته الوحشة واستولى عليه الخوف فآنس نفسه بآيات فوجدها نعم الأنيس، أزالت وحشته، وأذهبت خوفه. كم من مسلم اضطرب وارتعد فتلا آيات فأنزل الله عليه سكينته وآمن روعته.

وكم من مسلم التمس الشيطان إلى قلبه سبيلاً وألقى إليه بالشبهات والشكوك فما تكاد تنقدح شرارتها حتى يدعوه داعي الإيمان إلى ترتيل آيات من القرآن فتقضي على كل شبهة وتقطع كل شك فيعود قلبه مطمئناً. وكم من مسلم ناله الفقر ومسه الجوع فوجد في القرآن غناه وفي تلاوته غذاءه

و كم من مسلم كاد أن يطغيه غناه وتذهب به بهجته فأنقذه الله بالقرآن يتلوه، فانكشف له الستار، وتذكر نعمة ربه فابتغى ما عند الله بما عنده

فإن جرب أحد شيئاً من هذا فوجده فليحمد الله فإنها نعمة عظمى أنعمها الله عليه، وإن جرب أحد مثل هذا فاستعصى عليه أو لم يجد فلينظر في حاله وليفتش عن العلة في نفسه فإنه من قِبَلِه هو أُتي يقول بعض السلف مخاطبا نفسه : يا نفس اقرئي القرآن كأنك سمعته من الله حين تكلم به فجاءت الحلاوة يقول الشعبي يقول تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد: ٢٤] يقول ابن جرير الطبري :إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته ويقول ابن تيمية عند قوله تعالى ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الواقعة: ٧٩]، فإذا كان ورقه لا يمسه إلا المطهرون فمعانيه لا يهتدي إليها إلا القلوب الطاهرة ويقول الزركشي [من لم يكن له علم وفهم وتقوى وتدبر لم يدرك من لذة القرآن شيئاً]ويقول [إني لأعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته] ويقول ابن قدامة (وليعلم أن ما يقرأه ليس كلام بشر وأن يستحضر عظمة المتكلم به سبحانه وتعالى ويتدبر الكلام) . وقد قيل لسفيان : الرجل إذا قام إلى الصلاة أي شيء ينوي بقراءته وصلاته ؟ قال ينوي أنه يناجي ربه . وأن يستشعر أن الله عز وجل بعظمته وعليائه وكبريائه يستمع للقارئ حسن الصوت كما ورد في الحديث (الله أشد أذنا -أي استماعا- إلى الرجل حسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة إلى قينته) ويقول سلمان السنيدي [فربما يعيش لحظة مع معنى قرآني تكلم به الله مشعراً به خلجات قلبه حياة أخرى ولقراءته طعماً ولدعائه لذة]، يقول سهل بن عبد الله لأحد طلابه : أتحفظ القرآن ؟ قال : لا ، قال : وا غوثاه لمؤمن لا يحفظ القرآن فبم يترنم ؟ فبم يتنعم ؟ .

أقول : ما تلذذ المتلذذون وما تنعم المتنعمون بمثل ما يتنعم به متدبرو القرآن فلذة

المحبوبين بكلام محبوبهم فهو غذاء قلوبهم وغاية مطلوبهم ولا يتـأتى هذا إلا بالتدبر والتفكر في معاني القرآن وأسراره والتأثر به .

قـال أحمـد بن الحواري : إني لأقرأ القرآن وأنظـر في آية فيحير عقلي بها، وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم، ويسعهم أن يشتغلوا بشيء من الدنيا وهم يتلون كلام اللّه، أمـا إنهم لو فهمـوا ما يتلون، وعرفـوا حقه وتلذذوا به واسـتحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحاً بما رزقوا.

أليس من الغبن العظيم أن يقرأ الإنسان القرآن سرا وجهارا، ليلا ونهارا، أزمنة مديدة، وأيامـا عديدة، ثم لا تفيض عينـاه من الدمع ؟ واللّه تعالى يقول: ﴿ قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩]

البكاء عند تلاوة القرآن وسـماعه ليس مقصودا لذاته ولا هو المراد في الأصل إنما المقصود حضور القلب وتدبره لما يتلو ويسـمع فيحدث له ذلك إيمانـا ويقينا ورغبة ورهبة ومحبة وشوقا توجب له هذه الأمور خضوعا وخشوعا وذلا وانكسارا يصاحب ذلك رقة وبكاء وهذا فعل السـلف فهذا البكاء يمدح ويثنى على صاحبه لا البكاء المجرد عن السـبب الذي ذكرت العاري عن الخشوع الذي وصفت ولا البكاء المتكلف أو البكاء الذي يراد به وجه الخلق . وليحاول العبد إن ويستحضر ما يتلى عليه ويتدبر ويستشعر عظمة الله كان كذلك أن يعيش مع آيات القرآن ويحيا في ظلاله فلن يتذوق حلاوته إلا إذا عاش حياة الأوائل الذين تربوا على هذا القرآن، كما أنه يحاول أن يبكي فإن البكـاء مذهب للذنوب محرق للآثام، ولقد قال بعض السلف : «ما جفت الدموع إلا لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلا لكثرة الذنوب، وما كثرت الذنوب، إلا من كثرت العيوب»

فإذا هُيِّئ للعبد شـيخ حسن الصوت يقرأ بحزن وخشوع فهنيئاً له، بالقراءة بالترتيل والخشوع تؤثر في السامع وذلك لأن الصوت الحسن نعمة من اللّه تعالى . قال القاضي أبو بكر ابن العربي «الأصوات الحسنة نعمة من اللّه تعالى وزيادة في الخلق ومِنَّة، وأحق ما لُبست هذه الحلة النفيسة والموهبة الكريمة كتاب اللّه فنعم اللّه إذا صرفت في الطاعة فقد قضى بها حق النعمة» .

وقال بعض السلف : « تفقد قلبك عند ثلاث : عند تلاوة القرآن وعند الذكر وعند الصلاة، فإن لم تخشع فاسأل اللَّه أن يمنَّ عليك بقلب فإنه لا قلب لك » يقول الفضيل بن عياض : (من لم يستأنس بالقرآن فلا آنس اللَّه وحشته) ما أعظمها من جلسة حين يكون جليسك مصحفك وأنيسك اللَّه من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة ومن آنسته قراءة القرآن لم توحشه مفارقة الإخوان.

ذكر اللَّه أثر القرآن على المؤمنين في عدة آيات منها قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] .

ما أجمل ما قاله ابن الخطيب في هذه الآية ليقرأ هذه الآية وليتدبرها كل مؤمن وليعرضها على نفسه فإن وجدها تنطبق على صفاته فليهنأ بما أتاه اللَّه من فضل وما وهبه من خير وإن وجدها في واد وهو في واد فليلجأ إلى الرحيم الودود وليجأر إلى اللطيف الحميد أن يصفي قلبه ويزيده إيماناً وتوكلاً فنعم المجيب .

أخي في اللَّه: أين ذهب قلبك وفكرك وأنت تقرأ كتابه العزيز؟

فتقف عند وعيده.. وشديد عقابه.. ما يتفطر له أكباد الخائفين.. وتوجل منه قلوب المتقين أخي: ﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج: ١٢] ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود: ١٠٢] ، ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨] .

أخي المسلم: خوف اللَّه تعالى ملأ قلوب العارفين .. وملك أفئدة المتقين .. ففارقوا اللذات .. وهجروا الشهوات .. وعكفوا على الصالحات .. فأناروا نهارهم بالذكر .. وليلهم بالتهجد .

فما أحوجنا إلى العودة إلى القرآن المجيد تلاوة وتجويدا حفظا ووعيا تدبرا وفهما تعظيما وتقديرا عملا وتطبيقا حكما وحاكما ومشرعا وتعلما وتعليما ونشرا وغياب أحد هذه الأمور عن واقعنا هجر للقرآن فكيف بهجرها جمعاء !!

فعلى هذه الأمة الاهتمام بنبراس حياتها ووسيلة بقائها كتاب اللَّه العظيم وسنة رسوله الكريم وإني لحزين كل الحزن حزنا يقطع القلب ويحرق الأفئدة ويضيق الصدور

على شـبابنا الذين يحفظون مئات الأغاني ولا يحفظون بعض آيات القرآن الكريم ولا يحسـنون قراءته ولا يعملون بهديه ولا يعظمونه حق التعظيم أن يسـتبدلوا بالبعر بعيرا وبالثرى ثريا فيعوا القرآن ويحفظوا الفرقان بدلا من مزمور الشيطان.

فعليك أخي الحبيب : بسماع الآيات لا سماع الأبيات وسماع القرآن لا سماع مزامير الشيطان وسماع كلام رب الأرض والسماء لا سماع قصائد الشعراء وسماع الأنبياء والمرسلين لا سماع المغنين والمطربين

سـبحان اللَّه ! ربنا . لم أنـزل الله هذا القرآن هل أنزله لتصنع منه الحجب وتوضع للأطفال ؟ هل أنزله ليتلى في المقابر على الأموات ويتخذ منه المتمشيخون وسيلة لابتزاز أموال الناس بالباطل ؟ هل أنزله ليتلوه الكسـالى والعاطلون في قارعـة الطريق بقصد الاستجداء ؟ هل أنزله ليعلق في صفحة واحدة على الجدران، وعلى أعناق المتبرجات للبركة والحرز؟ هل أنزله ليصنع منه المشعوذون التمائم ويصيحوا على أبواب المساجد : آية الكرسي والمعوذات والآيات المنجيات بخمسة قروش ؟! هل أنزله ليتغنى به المنشدون ويطرب على نغماته السَّـامعون، فيرسلون الآهات طرباً كأنهم في ملهى من الملاهي ؟! هل أنزله ليتخذ منه طريقـة للاسـتخارة والتنجيم ؟ هل أنزله ليتلى صباح مسـاء دون فهم ولا تدبر ؟ غفرانك يا رب، ليس لهذا كله أنزلت كتابك الكريم ! لقد أنزلته ليتدبر الناس آياته وليكون لهم سراجاً منيراً. أنزلته ليكون بشيرا ونذيرا، أنزلته ليكون كتابا للأحياء لا للموتى، أنزلته ليتخذ منه المسلمون دستورهم ونظامهم سواء في دورهم أو أسواقهم، وسواء في معاهدهم أو محاكمهم.

لقد بشـرنا رسـول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم منذ أربعة عشر قرنا فقال : (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب اللَّه وسنة نبيه) [رواه الحاكم وسنده حسن] ولما تمسـك به أجدادنا حقيقة جعلوه [منهجهم] في الحياة ونبراسهم في العمل، غدونا سادة العالم وقادته في سـنين قليلة . نقرأ القرآن كثيراً ولكن لا تتجاوز قراءته حناجرنا، نقرؤه دون فهم ولا تدبر ولا عمل، حتى صح في كثير منا قول السلف [كم من تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه] أما آن لنا أن صحوا من غفلتنا !. أما آن لنا أن نرجع عن ضلالنا .

إن هذا الكتاب الذي هو مصدر حياتك، ومنبع قوتك لا اتصال لك به إلا إذا حضرتك الوفاة، فنقرأ عليك سـورة (يس) لتموت بسـهولة. فوا عجباً، كيف أصبح هذا القرآن

الذي أنزل ليمنحك الحياة والقوة، يتلى الآن لتموت براحة وسهولة .

الكتاب الذي أنزله الله إنه هداية للعباد وسبيلاً لسعادة الخلق، فتركه أكثرهم نسياً منسياً وجعلوه وراءهم ظهرياً، واستغله آخرون فجعلوه مجال تكسب ومحل استغلال، حتى أصبح القرآن مقارناً للموت والقبور حيث لا صيانة ولا عظة ولا اعتبار.

ومن ذلك تبركهم بتقبيل المصحف تعبداً وجوّزوا ذلك ظنا منهم أنه من التعظيم، وبعضهم يضعه على جبهته كمن يسجد على شيء ومعلوم أن تعظيم شعائر اللّه يكون بما شرعه اللّه.

إذا عظم في صدرك تعظيم المتكلم بالقرآن، لم يكن عندك شيء أرفع، ولا أشرف، ولا أنفع، ولا ألذ، ولا أحلى من استماع كلام اللّه جل وعز، وفهم معاني قوله تعظيماً وحباً له، وإجلالاً، إذ كان تعالى قائله، فحب القول على قدر حب قائله " يقول عثمان رضي اللّه عنه (لو طهرت قلوبنا ما شبعنا من كلام ربنا) لو سألت أي مسلم : أتؤمن بأن القرآن هدى، ونور، ورحمة، وموعظة وشفاء، وحياة للقلب ؟لأجابك ـ وبلا تردد ـ : نعم ! ولكنك تأسف إذا علمت أن الكثير من المسلمين لا يعرف القرآن إلا في " رمضان " ! فهو كمن يعلن استغناءه عن هدى اللّه، ونوره، ورحمته، وشفائه، وحياة قلبه أحد عشر شهرا !

(ما أخوفني أن يكون المصحف في بيتك وأنت مرتكب لنواهي الحق سبحانه فيه فتدخل تحت قوله : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾ [آل عمران:١٨٧] . [ابن عقيل] .

كتاب اللّه لو انتزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد. [ابن عطية].

فما أحوجنا إلى العودة إلى القرآن المجيد تلاوة وتجويدا حفظا ووعيا تدبرا وفهما تعظيما وتقديرا عملا وتطبيقا حكما وحاكما ومشرعا وتعلما وتعليما ونشرا وغياب أحد هذه الأمور عن واقعنا هجر للقرآن فكيف بهجرها جمعاء.

ما أروع القرآن حين يكون مؤثرا في حياتنا كلها، ومفزعا لحل مشاكلنا ! شكا مسئول للشيخ ابن باز –رحمه اللّه– عقبات يجدها في عمله، فأخذ الشيخ بيده وعقد أصابعه واحدا واحدا عند كل أمر من هذه الأوامر التي ختمت بها السورة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[آل عمران: ٢٠٠] .

أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها، حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى - عن يوسف عليه السلام -: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤] فرجع لنفسه وقال: لو كنت مخلصاً لأنجاني ربي كما أنجى يوسف عليه السلام، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله .

﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ [التوبة: ٨١] ، الكثير من الناس ينفر في الحر، لكن فرق كبير بين نافر في حر الصيف ليبحث عن نزوة، ويقضي شهوة محرمة هنا أو هناك، لو دعي إلى خدمة دينه أو نفع أمته لاعتذر بشدة الحر! وبين نافر في الحر ليبلغ الخير وينفع الأمة !وسيعلم الفريقان عاقبة نفيرهم يوم قيام الأشهاد.

يقول أهل العلم: "إن من تعظيم كتاب الله أن لا يوضَع في أرض ليسَت محتَرَمة، وأن لا تمدَّ إليه الرِجل، وأن لا تولّيَه ظهرَك".

ومن تعظيم كتاب الله المحافظة على الكُتبِ العامّة والكتب المدرسيّة والصّحُف التي تشتمِل على آياتٍ من القرآنِ الكريمِ في غِلافها أو داخِلها، فلا تمتهن أوراق فيها ذكر الله، قال القاضي عياض رحمه الله: « من استخفَّ بالقرآن أو بالمصحَف أو بِشيءٍ منه فهو كافِرٌ بإجماعِ المسلِمين»، ويقول الإمام النووي في كتابه التبيان في آداب حملة القرآن: «أجمع المسلمون على وجوب تعظيم القرآن على الإطلاق وتنزيهه وصيانته، وأجمعوا على أن من جحد حرفًا مجمعًا عليه أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر، وأجمعوا على أن من استخف بالقرآن أو شيء منه أو بالمصحف أو ألقاه في القاذورة أو كذَّب بشيء مما جاء به من حكم أو خبر أو نفى ما أثبته أو أثبت ما نفاه وهو عالم أو شك في شيء من ذلك فهو كافر، وكذلك إن جحد شيئًا من كتب الله تعالى كالتوراة والإنجيل وأنكر أصله فهو كافر».

كل هذا من تعظيم كلام الله تعالى، فالكلام يعظَّم بعظَمِ قائله، فكيف إذا كان المتكلم هو الله جل في علاه؟! فإنه ـ والله ـ خير كلام وأجل كلام، كلام الملك العلام، وهو خير من كل ما يجمعه الناس من أعراض الدنيا وزينتها، والقرآن اليوم يواجه هجمة شرسة من الداخل والخارج، من داخل بلاد المسلمين ومن خارجها، فأما من الداخل فقد وجِدَ من يمتهِنُ القرآن ويلقيه في القمامات ويطأ ما فيه ذكر الله برجله، ووجد من لطخ القرآن بالعذرَةِ،

ووجد من لطخة بدم الحيض، ووجد من يغني بالقرآن وبألفاظ الأذان وقد قال العلماء: قد أجمعت الأمة على كفر من استخف أو هزل بالقرآن أو بشيء منه، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ ﴾ [الطارق: ١٣-١٤]، فكل من اتخذ شيئًا من آيات القرآن للّهزل والغناء والرقص والطرب فقد اتخذها هزوًا ولعبًا، وقد توعد الله هؤلاء بالعذاب المهين فقال تعالى: ﴿ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الجاثية: ٩].

وقال الشيخ العلامة أبو بكر محمد الحُسيني الحُصني الشافعي في كتابه كفاية الأخيار (ص٤٩٤): «وأما الكفر بالفعل فكالسجود للصنم والشمس والقمر وإلقاء المصحف في القاذورات والسحر الذي فيه عبادة الشمس وكذا الذبح للأصنام والسخرية باسم من أسماء اللّه تعالى أو بأمره أو وعيده أو قراءَة القرآن على ضرب الدف». فكل هذه الأفعال عدها العلماء من الكفر المخرج من الملة المحمدية.

وأما من الخارج من بلاد الكفار فمسلسل الاحتقار ومسلسل الإهانة للمصحف الشريف يتوالى، فكم ركلوه بأرجلهم، وهدموا المسجد فوق المصاحف فاستُخْرِجَ من بين الركام، ورسموا عليه الصليب في كثير من المناسبات التي هاجموا فيها مساجد المسلمين، وأهين كتاب اللّه في معسكراتهم وسجونهم، وألقي به في المرحاض، ولطخ بالنجاسات، حقد على الإسلام والمسلمين.

إذا من الوسائل التي تعين على تعظيم اللّه ما يلي:

١- الاعتناء بتلاوة القرآن الكريم وتدبر آياته.

٢- التفكر في مخلوقات اللّه عَزَّوَجَلَّ؛ فيدرك من خلال ذلك عظمة خالقها عَزَّوَجَلَّ.

٣- الاعتناء بتحقيق توحيد الأسماء والصفات ومعرفة اللّه عَزَّوَجَلَّ.

٤- ترك تعظيم المخلوقين ورفعهم فوق منزلتهم، سواء أكانوا من أهل السلطان في الدنيا، أم كانوا من الأولياء والصالحين.

٥- النظر في حال الأمم الكافرة التي قبلنا وكيف دمرهم اللّه.؟؟؟

٦- الدعاء: وهو أنفع الأدوية وأقوى الأسباب متى ما حضر القلب وصدقت النية؛ فإن اللّه لا يخيب من رجاه قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٦].

كيف أختبر نفسي في قضية تعظيم الله تعالى ؟ وإذا ما أراد أحدنا اختبار نفسه في قضية تعظيم الله تعالى فعليه أن يسأل نفسه الأسئلة الأربعة التالية :

١ - هل يرتعد كيانك ويخاف قلبك ويوجل إذا ما طرق سمعك لفظ الجلالة «الله» إذا كنت كذلك فأنت تعظم ربك وإلا فلا، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٢] .

٢- هل يتغير سلوكك بعد أن تسمع آيات القرآن الكريم ؟ إذا قلت نعم فأنت تعظم ربك وإلا فلا. قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

٣- كيف تشعر بعد أن تقترف ذنبا أو ترتكب إثما؟ هل تشعر بأنك في واد سحيق وجبل يوشك أن يقع عليك؟ فأنت حينها تعظم ربك أم تشعر وكأنك قد حطت على أنفك ذبابة فقلت بها بيدك هكذا فأنت حينها لا تعظم ربك.

٤- كيف حالك وأنت بعيد عن أعين الناس هل تترفع عن المعصية كما لو كنت أمامهم ظاهرا للعيان .أخرج ابن ماجه عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لأعلمن أقواما من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضا . فيجعلها الله عز وجل هباء منثورا) . قال ثوبان: يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم . قال: (أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم . ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها) .

- **كيف نعظم الله تعالى ؟**

١) ألا تذكر اسمه مع المحقرات :

قال بعض السلف : « ليعظم وقار الله في قلب أحدكم أن يذكره عند ما يستحي من ذكره » وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: عظِّموا الله تعالى، لا يقل أحدكم لمولاه: أخزاك الله، أو قبحك الله، فتقرنون الله بهذا الكلام . . فانظر إلى مدى توقير السلف لربهم.. كانوا يستنزهون أن يوضع اسم الله بجوار ما يستقبح ذكره.. فيقرن اسمه به.. كأن يقول الرجل:

«قبح اللّه الكلب والخنزير» . . فيوقرون اللّه أن يوضع اسمه مع هذه الحيوانات .

٢) ألا تنسب الشر إليه :

إن من عقيدتنا أن الخير والشر من اللّه، لكننا لا ننسب الشر إلى اللّه تأدباً. قال صلى اللّه عليه وآله وسلم: (لبيك وسعديك، والخير كله في يديك.. والشر ليس إليك) [مسلم]. وقال إبراهيم عليه السلام : { والـذي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ } [الشعراء : ٧٩، ٨٠] فلم يقل : وإذا أمرضني .. وإنما نسب الشر إلى نفسه تأدباً مع اللّه .وقال مؤمنو الجن: { وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا} [الجن :١٠]. فعند الرشد ذكروا ربهم.. وعند الشر بنوا الفعل للمجهول .لكن بعض أهل عصرنا على العكس . . تجد الرجل منهم يقول :» يا كاسر كل سليم يا رب « !أعوذ باللّه ! من إذاً الذي يجبر المكسور؟ وكيف ينسب الشر إلى اللّه ؟ وتجد من يقول: «الحمد للّه الذي لا يُحمد على مكروه سواه »! سبحان اللّه ! لماذا تذكر بالمكروه؟ إننا لا نناقش هنا حرمة هذه الكلمة من حلها، ولكننا نناقش السبب الذي من أجله نسبت الشر إلى اللّه . . وكيف أن السلف كانوا يجلونه ويبجلونه لدرجة أنهم لا يذكرون بجوار اسم الجلالة أي لفظ يرون أنه لا يناسب عظمته عز وجل . . هذا وإن كان الخير والشر منه سبحانه جل وعلا .

٣) ألا تعدل به شيئاً من خلقه لا في اللفظ ولا في الفعل :

فلا تقل : «ما شاء اللّه وشئت »، وهذا لأنه عندما قالها رجل لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال صلى اللّه عليه وسلم : «أجعلتني للّه نداً؟» [البخاري في «الأدب المفرد»، وابن ماجة، وصححه الألباني في «السلسلة»]

٤) ألا تشرك معه شيئاً في الحب والتعظيم والإجلال : قال تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :١٦٥] . سماهم مشركين، كما في الطاعة ؛ فتطيع المخلوق في أمره ونهيه كما تطيع اللّه ! وإنما طاعة اللّه مطلقة في كل شيء. وطاعة المخلوق مقيدة بالمعروف، فالأب والأم والزوج والزوجة ومديرك في العمل.. العرف والتقاليد والمجتمع . . طاعة كل هؤلاء مقيدة بقول النبي صلى اللّه عليه وسلم : « إنما الطاعة في المعروف » [البخاري]، و« لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » [أحمد وقوى

إسناده ابن حجر]. فلا تجعل طاعتك لشيء كطاعة الله مهما كلفك ذلك.

٥) ألا تجعل له الفضلة :

إن آفة أهل عصرنا - حتى بعض الملتزمين منهم - أنهم يعطون الله الفضلة : إذا بقي لدى الواحد منهم وقت ليقوم الليل فيه قام، وإلا تركه ؛ يجعل لله الفضلة .. إذا بقي عنده وقت للأذكار قالها، وإلا غفل عنها .. وهكذا .. وقد قال تعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ ﴾ [البقرة :٢٦٧] .

هذا ليس من توقير الله، بل من توقير الله أن تقتطع له من أعز الأوقات وقتاً، ومن أعز الأموال مالاً، فينبغي ألا تجعل لله الفضلة في الوقت، ولا في الجهد، ولا في الصحة، ولا في المال، ولا في الكلام والذكر .. فما الذي يشغلك أهي الدنيا؟ والله ما خلقت لها: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦] .. وقال الله تعالى: ﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٩٢] .

وقد يندهش بعض الناس حين نقول : «ينبغي أن تكثر من الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والتنفل ..». فيقول : «أين الوقت الذي يسع كل هذا؟» سبحان الله . وهل خلقت لغير هذا؟ ثم إن البركة من الله اللّهم بارك لنا في أوقاتنا والإعانة والتوفيق من الله . إنك إذا ظننت أنك تقوم بحولك وقوتك، فأنت فاشل مخدوع .. أما إذا اعتقدت أنك تستعين بالقوي المتين، فإنه يعنيك ويقيمك ويبارك لك اللّهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك .

٦) ألا تقدم حق المخلوق على حق الله :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١] . أي لا تقدموا أمراً بين يدي أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ولا حباً بين يدي حب الله ورسوله لا تجعل أمام الله أحداً، بل الأول هو الله .

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٦] .

أجرى بعضهم استطلاعاً للرأي - على طلبة إحدى الجامعات - عن المثل الأعلى

والقدوة وأهم المحبوبات، فوجدوا أن الترتيب كما يلي :

الفنانين .لاعبي الكرة. المشاهير من الإعلاميين . الله ورسوله . فإذا كان الله في التفضيل هو الرابع ترتيباً، فأين يكون التوقير؟ أين يكون الحب والإجلال؟

أين يقع الأمر بأن تجعل الله ورسوله قبل كل شيء.. في الطاعة.. الحب.. الخوف.. الرجاء.. التوكل عليه.. والإنابة إليه.. ؟

٧) بذل البدن والقلب والروح في طاعته تعالى :

كان سلفنا رضوان الله عليهم ينتصبون في السمع والطاعة لله، فلا يرعون السمع إلا لكلام الله، ولا يسلمون القلب إلا لأوامر الله، فإذا كانوا في الصلاة فلا تسل عن الخشوع والخضوع، وإذا كانوا في الصيام فلا تقل عن الإخلاص والورع، وكذلك في الذكر والصدقة..

أما حالنا فيندى له الجبين خجلاً ؛ فإذا كلمك أحد الناس، انتبهت إليه بكل جوارحك، وإذا وقفت بين يدي الله وقفت بجسدك فقط . فعقلك وقلبك في شغل عنه . وتأمل ذلك في صلاتك وصيامك . وغيرها من العبادات .قال الله تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣]

٨) ألا تقدم مراد نفسك على مراد ربك .

٩) الحياء من أن يطلع على قلبك، فيرى منك ما يكره .

١٠) أن تستحي منه في الخلوة أعظم مما تستحي من أكابر الناس .

[بتصرف واختصار من (مظاهر التوقير والتعظيم لله العلي الكريم) لأبي يونس العباسي]

إن قدر الله عظيم عظيم، وقدر اسمه جليل جليل، لكن استخدامنا له ليس كما يليق بجلال وجهه، وبهاء اسمه، فقد أصبحنا نستخدم هذه الكلمة كأي كلمة من كلمات المعجم التي ننطقها دون أن نراعي لها أي اهتمام، أو نقدرها قدرها، قال تعالى : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] .

فمن كانت الأرض قبضته، والسماوات مطويات بيمينه، والخلق كله بيديه، والقلوب بين أصبعين من أصابعه فإن علينا أن نجل اسمه أيما إجلال، ونعظم ذكره في الألسن أيما تعظيم، ولا نجعل النطق باسمه العلي كالنطق بأي كلمة أخرى سواه، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[النور: ٦٣]، أي لا تنادوا رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم كما تنادون بعضكم بعضا، تعظيما لمكانة النبي صلى اللّه عليه وآله وسلم وهيبته يقول قتادة: (أمر اللّه أن يهاب نبيه صلى اللّه عليه وسلم، وأن يُبَجَّل وأن يعظَّم فإن حق اللّه أعظم، وقدره أكبر).

لو عددنا لفظ الجلالة الذي ننطقه في يومنا منذ أن نصبح إلى أن نمسي، لوجدنا أن العدد كبير، لكن التقدير والإجلال الذي يصحب تلفظنا بهذه الكلمة العظيمة قليل جدا، أو منتف في كثير من الأحيان، وذلك بسبب أننا أدرجنا هذه الكلمة العظيمة في استعمالات كثيرة، وعبارات مختلفة، بعضها تستعمل في معان حميدة، وبعضها تستخدم في معان ذميمة، وهذا ما جعل الاسم العظيم يفقد هيبته وجلاله.

فمن الناس من يقسم باللّه جهد أيمانه، ويستجيد الحلف ويحسن صياغته، ويستعين عليه بتحريك اليد ورفع الصوت وجحوظ العينين، حتى يصور إلى السامع أنه صادق، وهو أكذب الكاذبين .. إن الذي يحلف باللّه العظيم، على أمر يعلم أنه كذب، يريد به عرضا من أعراض الدنيا الفانية، يكون قد استخف بهذه الكلمة أيما استخفاف، وأهانها في نفسه إهانة عظيمة، إذ جعل قدر اللّه عز وجل في نفسه أقل من هذه البضاعة التي يحلف عليها، أو هذه المنفعة التي يريد أن ينالها، فيكون قد بلغ من الحمق منتهاه، ومن السفه أقصاه، حين اتخذ اسم اللّه العظيم سلما يرقاه بلسانه الآثم لينال عرضا من الدنيا قد لا يتجاوز دريهمات معدودة، فيرتكب هذه الكذبة العظيمة ويستخدم اسم اللّه مرقا يغمس فيه كذبته، ودهانا يطلي به بهتانه، بل لربما سبح وهلل وحوقل واسترجع، وهو لا يريد بذلك كله إلا التحايل على السامع كي يطمئن إليه ويصدقه. وفي الحديث أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (من حلف على يمين وهو فيها فاجر يقتطع بها مال امرئ مسلم لقي اللّه وهو عليه غضبان) [رواه أبو داود وابن ماجة وهو حديث صحيح].

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم : (لا يقتطع رجل حق امرئ مسلم بيمينه إلا حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار فقال رجل من القوم : يا رسول الله وإن كان شيئاً يسيراً قال عليه الصلاة والسلام : وإن كان سواكاً من أراك) [رواه ابن ماجة] .

ولو عرف أقل القليل من معاني التوكل، وكان لديه شيء يسير من الإيمان بالقضاء والقدر، لعرف أن الله جل جلاله، هو من سيعطيه ويمنعه، وأن الكذب بئس الكذب، لا يزيد في رزق ولا يقرب من أجل.

إن هذا السفيه لم يعظم الله عز وجل فما أحلم الله وما أعظم الله، والويل لمن جعل إلهه وسيلة للاستيلاء على أموال الناس، وجعل اسمه العظيم عونا له على جيوبهم وممتلكاتهم، فركب هذا الاسم العظيم ليكذب على عباد الله ويأخذ حقوقهم فأقبح به من ذنب وعجبي كيف يغفر ربنا ويستر ويحلم مع كل هذه الوقاحة والجرأة عليه، سبحانه ما أعظم حلمه وأجل قدره: ﴿ قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

ذكر الغزالي في إحياء علوم الدين: (أن عيسى عليه السلام رأى سارقاً يسرق، فقال عيسى للسارق: أتسرق؟ قال: والله ما سرقت، -وقد سرق- فقال عيسى عليه السلام: صدقت بالله عز وجل وكذبت عيني) وذلك احتراماً لليمين؛ لأنه حلف بالله.

من تعظيم الله ألا نحلف إذا اضطررنا إلى اليمين إلا بالله تبارك وتعالى.

قال الشافعي رحمه الله تعالى كما ذكر ذلك عنه الذهبي : ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذباً في حياتي؛ توقيراً لله تبارك وتعالى وتعظيماً له.

وذكر ابن تيمية رحمه الله أن محمد بن جعفر الصادق كان إذا قال له الرجل: لا والله؛ احمر وجهه إجلالاً لله تبارك وتعالى.

فالذي لا يستكفي بالله عز وجل فلا كفاه الله، والذي لا تشفيه اليمين به تبارك وتعالى، بأسمائه وصفاته فلا شفاه الله؛ لأنه قد عظّم غير الله أكثر منه.

ومن واجبنا في الأيمان كذلك ألا نحلف بغير الله تبارك وتعالى فإنه شرك، ويدخل في ذلك الحلف بالطلاق والحرام؛ فإن هذا تعظيم لغير الله، والطلاق في الإسلام إنما وضع

لفظاً لمفارقـة الزوجة، لا لليمين، ولا لعقد الحلف، فمن فعل ذلك؛ فقـد عظّم غيرالله أكثرمنه تبارك وتعالى، وكثيرٌ من الناس لا يسـتجيبون إلا بالطلاق وبالحرام، وما هذا إلا لبدعتهم وجهلهـم، وقلة فقههم، ولقلة عظمة الله عز وجل في قلوبهم، فأولى لهم ثم أولى أن يرضوا بالله تبارك وتعالى.

ومن الناس، من يذكر اسـم الله عز وجل في اليوم أكـثرمن مائة مرة، لكنه لا يذكره ذكر الصالحين، إنما يذكره ذكر الفاسـقين، السـبابين اللعانين، الذين لا تصبر ألسنتهم عن الفحش، ولا تكف أفواههم عن اللغو، وهم بين هذا وذاك، يرددون السُّبة العظيمة تغـوص فيهـا النـوق من عظمها، فيحشـرون فيها اسـم الجلالة حشـرا سـيئا شـنيعا، فلا تسـمع هـذا اللفظ من أفواههم المنتنة، إلا في سـباب أو هـراش، ولا يفتأون يلعنون ويشـتمون، حـتى إن أحدهم ليلعـن ولده وزوجتـه ودابته، ولا يترك من حوله شـيئا إلا ولطخه بريقه العفن، وكلامه البذيء، فيجني بلسـانه على نفسـه ويجني على من حوله من الناس والدواب والأنعام، ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[النور: ٢٦] .

ومن الناس من يذكر الله عز وجل، لـكنه يتبع غيرسبيل المؤمنين، ويتلاعب بهذه الكلمة على غيرهدى من الله، فـتراه يلهث ويتقافز مـرددا هو هو هو، زاعما بذلك أنه يتقرب إلى الله، وهو يتقرب من الشـيطان، ويظن أنه يرضي الله عز وجل، وهو قد اتخذ اسـمه هزؤا، وعبادته بدعـا ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الشورى: ٢١] .

ومن الناس من يجعل هذه الكلمة العظيمة، رديفة لقوله يا ليل يا عين، فتراه يتمايل وهو يرددها بتغنج عند انتهاء الغانية من نوتة الموال، منتشيا فرحا جذلا، كـأنه يظن أن لن يحور، ﴿ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ ﴾ [الانشـقاق: ١٥] ، فلا يزال يـكررها في مكان، كان يجب أن يقوم عنه قيام الصالحين الذين إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه، وإذا مروا به مروا كراما.

وخير الناس حالا، من يجعلون الاسم العظيم أسلوب كـلامهم، ووصلة أحاديثهم، فيلغـون في أيمان لا يؤاخذهم الله فيهـا، ولا يَلزمُهم تكفيرها، لكن هذا وإن كان لا يضرهم

في دينهم، ولا يُكتب عليهم في موازينهم، إلا أن من تعظيم الله عز وجل أن نذكره ذكرا يليق باسمه العظيم، ووجهه الكريم، ولا نجعله عرضة لأيماننا، وهمزة وصل لأحاديثنا، حتى يفقد الاسم الجليل هيبته في قلوبنا، وقد ندرجه في كلام باطل، ولغو فاسد، فتجد الماجن يصف خليلته وعلاقتهما البائسة، أو تجد المرابي وهو يتحدث عن صفقته المحرمة، أو المخمور وهو يصف ليلته الحمراء، وكلهم يردد اسم الله العظيم ويدرجه في كلامه السافل الوضيع، وأولى له أن يجرد كلامه من ذكر اسم الجلالة، وينزهه عن هذه المواضيع الساقطة التي تفوح برائحة القذارة

قال تعالى مادحا نفسه : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] .

فانظر إلى اسم الله عز وجل ومكانته العظيمة حتى كان هو أخص اسم من أسمائه سبحانه، فاقدُر هذا الاسم العظيم قدره، وجنّبه مواطن السفه ومعاني السوء.

[من مقال بعنوان : (اسم الجلالة العظيم والاستخدام القبيح) لحامد الإدريسي بتصرف]

- **تعظيم أسماء الله عز وجل :**

يقول الله تعالى ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر: ٦٧] ولله در من قال : الأمة لن تقوم إلا إذا عظمت الله، إلا إذا وقرت ربها إلا إذا عبدت رب السماوات والأرض كما ينبغي .

سبحان الله.. قليل هم الذين يغارون على الله ..يغار كل منا على ممتلكاته ..يغار كل منا على أشيائه ..لكنه لا يغار لله.. بدليل الجرائد والمجلات التي امتلأت بها القمامات تحمل اسم من ؟!

هذه الجرائد والمجلات التي نرميها في اليوم مرات ومرات تحمل اسم ؟!

أليس من بين سطورها العزيز، والحكيم، والقوي، والرحمن، والرحيم..

اسـم الرحمـن يمتهن في القمامات بـل أصبحت الجرائد والمجلات سـفراً للطعام والشراب، وتلزق على الجدران يمسح بها الزجاجات.

نعيد الفتوى مرات ومرات فلا ينتبه أحد .

اسم اللّه يمتهن ونحن راضون .. في المزابل والقمامات ..

كيف يتغير الواقع ؟!.

ليس هذا فقط بل آيات القرآن .. بل آيات القرآن تداس وتمتهن بالأقدام .

اسمع – بارك اللّه فيك – . يقال لبشر الحافي : يا بشر إن لك اسماً له هيبة كأسماء الأنبياء، فما سر هذا؟!. ما سر هذا الاسم الذي يحمل كل هذه الهيبة ؟!

الأمر بسيط ..قال : كنت أسير بطريق في مرة من المرات فإذا بورقة ملقاة على جانب الطريق .. رفعتها فإذا مكتوب فيها الرحمن .. قلت : اسـم الرحمن يمتهن .. فرفعت الورقة وطويتها وطيبتها ثم وضعتها في جيبي . .فجاءني آت في منامي قال : رفعت اسمنا فرفعناك، وطيّبت اسمنا فطيبناك ..ورقة .. ورقة رفعها ..

[ينظر :الحلية، البداية والنهاية وفيات الأعيان والرسالة القشيرية :»]

انظر في القمامات .. انظر في المزابل . انظر ماذا يستعملون في الورش وفي المطاعم بل في بيوتنا وفي الجرائد اسم اللّه يمتهن في كل مكان .

كيف تقوم لنا قائمة وما قدرنا الرحمن حق قدره؟؟؟!!!!

جعلنا الحاويات عند المساجد .. جعلنا الصناديق في كل مكان .. اجمعوا فيها الجرائد والمجلات .. اجمعوا فيها الكتب المدرسية التي تحمل الآيات ..

أمة تهين اسم ربها .. كيف تنتصر .؟؟!!! لم ننتهي من الزنا والفواحش والمنكرات حتى أهنا الرحمن ..

فاتقوا اللّه .. اتقوا اللّه .. وعظموا اللّه واقدروه حق قدره ..

انبشوا القمامات ليس عيباً اننا ننبش القمامات ونخرج اسم الرحمن منها ..هذا عز وشرف وكرامة لنا .

انصحوا الناس .. لا تأكلوا على الجرائد والمجلات..

لا تضعوا اسم الرحمن على الرفوف ..

إن فعلنا وقدرنا اللَّه حق قدره هناك سيتغير الواقع ويتبدل الحال..

عندك جرائد .. عندك مجلات أكل الدهر عليها وشرب .. إئت بها هنا سنضع حاوية عند المسجد ..

- فتوى في حكم استعمال الجرائد سفرة للأكل: هل يجوز استخدام الجرائد كسفرة للأكل عليها؟ وإذا كان لا يجوز فما العمل فيها بعد قراءتها؟ لا يجوز استعمال الجرائد سفرة للأكل عليها، ولا جعلها ملفا للحوائج، ولا امتهانها بسائر أنواع الامتهان إذا كان فيها شيء من الآيات القرآنية أو من ذكر اللَّه عز وجل، والواجب إذا كان الحال ما ذكرنا حفظها في محل مناسب أو إحراقها أو دفنها في أرض طيبة. [نشرت في كتاب الدعوة الفتاوى لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز، الجزء الأول، ص (٢٤١، ٢٤٢) - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء السادس].

هذا سؤال طرح على شيخنا رحمه اللَّه عبدالعزيز بن باز جاء فيه: هل يجوز كتابة البسملة على بطاقات الزواج نظرا لأنها ترمى بعد ذلك في الشوارع أو في سلال المهملات؟

فكان من جوابه يشرع كتابة البسملة في البطاقات وغيرها من الرسائل وكان صلى اللَّه عليه وسلم يبدأ رسائله بالتسمية. ولا يجوز لمن يتسلم البطاقة التي فيها ذكر اللَّه أو آية من القرآن أن يلقيها في المزابل أو القمامات أو يجعلها في محل يرغب عنه، وهكذا الجرائد وأشباهها لا يجوز امتهانها ولا إلقاؤها في القمامات ولا جعلها سفرة للطعام ولا ملفا للحاجات - لما يكون فيها من ذكر اللَّه عز وجل، والإثم على من فعل ذلك أما الكاتب فليس عليه إثم. [نشرت في مجلة الدعوة في العدد ٩٩٣. - مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء السادس]

و من رسالة بعنوان: بيان بالأدلة الشرعية الفرق بين الرقية الشرعية والرقية التجارية للشيخ عبد الكريم الحميد أنقل باختصار وتصرف يسير هذه الأسطر: فداحة الاستهانة بذِكر اللَّه تعالى. ذِكرُ أمثلة تبين فظاعة ما يحصل في وقتنا من الاستهانة بذِكْر اللَّه تعالى.

عدم الاكتراث والمبالاة والتمعُّر لذلك مثل ما حصل في وقتنا، وإنها - واللَّهِ - مصيبة عظيمة! ؛ ففي «المزابل» ومع ما يُستقذر وفي الطرق ترى الجرائد وغيرها مما فيه آيات

وأحاديث وأسماء الله وهي في غاية الامتهان، مع خلطها بالصور المحرمة والباطل، وقَلَّ أن تجد من يراعي ذلك ويهتم به .

وانظر ما فعل «عبد الملك بن مروان» من تعظيم اسم الله - تعالى -، حيث وقع منه (فِلْسٌ) في بئرٍ قَذِرَة، فاكْتَرَى عليه بثلاثة عشر ديناراً حتى أخرجه منها، فقيل له في ذلك ؟!، فقال : إنه كان عليه اسم الله - عزَّ وجل - .

قال « محمد بن الدينوري » : سمعت « بِشْرَ بنَ الحارثِ » وسُئل : ما كان بدءُ أمْرِك، لأنَّ اسمك بين الناس كأنه اسم نبي ؟!، قال : (هذا من فَضْل الله، وما أقول لكم ؟! ..كنت رجلاً عيّاراً صاحب عصبية، فَجُزْتُ يوماً، فإذا أنا بقرطاس في الطريق، فرفعته فإذا فيه : «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ، فمَسَحته وجعلته في جيبي، وكان عندي درهمان ما كنت أملك غيرهما، فذهَبْتُ إلى العطّارين، فاشتريت بهما غالية ومَسَحْته في القرطاس، فَنِمْتُ تلك الليلة، فرأيتُ في المنام كأن قائلاً يقول : « يا بشر بن الحارث ؛رَفَعْتَ اسْمَنا عن الطريق وطيَّبته، لأُطَيِّبَنَّ اسْمَك في الدنيا والآخرة»، ثم كان ما كان) انتهى.

وإنما حصل لـ «بِشْرِ بنِ الحارث» ما حصل لأنه قام بقلبه من تعظيم ربه وحُبِّهِ ما كان سبب فضْلِ الله عليه، فإن الجزاءَ من جنس العمل ﴿ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾[البقرة:١٠٥] .

أمثلة تُبيِّن فظاعةَ ما يَحصُل في وقتِنَا مِنَ الاستهانةِ بذِكرِ اللَّهِ تعالى..

- فمن ذلك ما يَحصل في الدُّشوش والتلفاز والراديو والجوّالات ونحوها من الإهانة البليغة لكلامِ الله وذِكْرِه - تعالى - حيث يُخلط مع الضلال والهذَيَان ومزامير الشيطان، وبعضهم يجعل بعض الآيات القرآنية نغمة لجوّاله !، وكلّ هذا إهانة لكلام الله عَزَّوَجَلَّ .

- وها هي أكياس «الإسْمِنت» مكتوب عليها اسم الله (العزيز) وتُهان تحت الأقدام من بداية تعمير هذه العمارات الحادثة وحتى النهاية .

- وفي بعض المراكب والبيوت يُشرب الدخانُ الخبيث المنتن الْمُحرَّم ونحوه من الخبائث والمصحفُ بقرب الشارب، كذلك الكتب والأوراق التي فيها اسم ملك الملوك العظيم الجليل - سبحانه -، وكل هذا يحصل لقلّة المبالاة .

- ومن ذلك غير ما تقدم استعمال (الجريدة) سُفْرة للأكل وهذا فظيع وليس لـ (الجريدة) احترام وإنما الشأن بذكر الله فيها ؛ كذلك الذين يصبغون السيارات والْمَحَلاَّت ونحوها يُهينون (الجرائد) بجعلها حائل عن وصول أصباغهم للزجاج ونحوه، وهذا الامتهان دليل خسران .

- وبعض البائعين يجعل (الجريدة) لُفَافة لـ (الكراث)، وغير ذلك مما لا يليق أن تعامل به آيات الله وذِكْرِه .

- كذلك أوراق (التقويم) - الذي يُسَمَّى (الرزنامة) - حيث يُكتب فيها الآيات والأحاديث وذِكْر الله وتُهان بِرَمْيها حيث ولَّت .

- ومن أمثلةِ ما يحصل في وقتنا من الاستهانة بذكر الله تعالى ما يفعله كثيرٌ من الصبيان حيث يُعلِّقون حقائبهم خلْفَ ظهورهم مع أن فيها الآيات والأحاديث والذِّكْر، مع خلْط ذلك بالصور والعلوم الدخِيلة، وهذه إهانات بليغة .

- بل يقول لنا أحد الإخوان بأنه شاهد بعينه ووقف بنفْسه على بعض طلاب المدارس وهم يَلُفُّون بسَجَّاداتٍ دُروسَهم وفيها آيات وأحاديث وغير ذلك من ذكر الله تعالى، وإذا أراد الواحد منهم الجلوسَ على الأرض جَلَس على تلك السجادة وهي ملفوفة بما يحتوي على ذكر الله - جل جلاله -، وهذا - واللهِ - أمرٌ خطير وفي غاية الإهانة لذكر الله ! .

- وآخر ما بلغني من إهانة ذِكر الله - تعالى - وأنا أكتب هذا الكتاب أن (لا إله إلاَّ الله، محمد رسول الله) مكتوبة على (الكُرَة) - التي تُركَل بالأقدام - .

وهذا غاية في السُّخرية والإهانة ولوْ لَمْ يُلعب بها، أما اللَّعِب بهَا وضَرْبها بالأرجل - وهي بتلك الحال - فلا شَكَّ أنه رِدة، وقد قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [الأعراف: ٥١] .

وكل ما تقدم ذِكرُه إنما هو مجرد أمثلة لإهانة ذكر الله في وقتنا مِمَّا لَمْ يحصل له مَثِيلٌ من قَبْل !، وبعض الناس قد لا يبالي بذلك .. ﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [النور: ١٥] .

وما الاستهانة بذكر اللَّه – جَلَّ وعَلاَ – إلاَّ ثمرة لضعف الإيمان به وعدم معرفته والجهل بعظمته مِمَّا يُورث عدم توقيره وقَدْره حقَّ قدره، واللَّهُ – سبحانه وبحمده – يقول: ﴿ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ ﴾ [نوح:١٣].

وإنَّ مِن عَلاَمَاتِ الإيمانِ باللَّه – جلَّ وعَلاَ – وتعظيمِهِ وإجلالِهِ وتوقيرِهِ عدم الاستهانة بذِكْره، والإنكار على مَن يستهين بذلك، وحَمْل الأوراق التي لا تخلو عادةً من ذِكره إذا وُجِدَت ساقطة على الأرض ومُهَانة في الشوارع والزبائل ؛ وتعظيمُ اللَّهِ وذِكْرِه من علاماتِ توفيق اللَّه لعبده .

من تعظيم اللَّه : تغيير اسم المسلم إذا كان معبداً لغير اللَّه .

السؤال: هل يلزم من أعلن إسلامه أن يغير اسمه السابق مثل: جورج وجوزيف وغيرهما؟

الجواب: لا يلزمه تغيير اسمه إلا إذا كان معبدا لغير اللَّه، ولكن تحسينه مشروع فكونه يحسّن اسمه من أسماء أعجمية إلى أسماء إسلامية، فهذا مناسب وطيب، أما الوجوب فلا. أما إذا كان اسمه عبد المسيح وأشباهه من الأسماء المعبدة لغير الله، فالواجب تغييره بإجماع أهل العلم؛ لأنه من التعبد لغير اللَّه. كما نقل ذلك أبو محمد ابن حزم رحمه الله. وباللَّه التوفيق . [المصدر: فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله].

قال البيهقي – رحمه اللَّه – في « شُعَب الإيمان » (٢ / ٢٢٧) : (وفي تعظيم اللَّه – عز وجل – وتعظيم رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أن لاَ يَحْمِل على مُصْحَف القرآن ولاَ على جوامع السُّنن كتاباً ولا شيئاً من مَتاع البيت، وأن ينفض الغبارَ عنه إذا أصابه، ولاَ يَمْسَح أحَدٌ يدَه مِن طعامٍ ولا غيره بورقة فيها ذكر اللَّه تعالى أو ذكر رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ولا يُمزقها تمزيقاً، ولكن إن أراد به تعطيلها فليغسلها بالماء حتى تذهب الكتابة منها وإن أحْرَقَها بالنار فلا بأس ؛ حَرَّق عُثمان – رضي اللَّه عنه – مصاحفَ كانت فيها آيات وقرآن منسوخة ولَم يُنكر ذلك عليه أحَدٌ ؛ واللَّه أعلم) انتهى.

نماذج من تعظيم الله : كيف عظّم الله السلف ؟! – غير ما تقدم –

ومن أروع الأمثلة التي دوّنها التاريخ عن سلفنا الصالح وتعظيمهم لله عزّ وجلّ ما وقع للإمام مالك رحمه اللَّه تعالى لما سأله أحدهم عن قوله تعالى:

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه:٥] فقال: كيف استوى ؟ فما كان موقف الإمام مالك إزاء هذا السؤال إلا أن غضب غضبا شديدا لم يغضب مثله قط، وعلاه العرق، وأطرق القوم إلى أن ذهب عن الإمام مالك ما يجد، فقال: «الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالاً»، ثم أُمر به فأُخرج. [رواه اللالكائي في « شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة « (٣/٤٤١) والبيهقي في «الأسماء والصفات « (ص ٤٠٨) وصححه الذهبي وشيخ الإسلام والحافظ ابن حجر] .

فتأمّل - رحمك اللّه - ما أصاب الإمام مالك رحمه اللّه من شدة الغضب وتصبّب العرق إجلالاً وتعظيمًا للّه تعالى وإنكارًا لهذا السؤال عن كيفية استواء الربّ تعالى .

ومن الأمثلة في هذا الباب ما جرى للإمام أحمد رحمه اللّه تعالى لما مر مع ابنه عبد اللّه على رجل يحدث الناس بغير علم ويذكر حديث النزول فيقول: إذا كان ليلة النصف من شعبان ينزل اللّه عزّ وجلّ إلى سماء الدنيا بلا زوال ولا انتقال ولا تغير حال، وهذا كذب على اللّه، يقول عبد اللّه: فارتعد أبي، واصفر لونه، ولزم يدي، وأمسكته حتى سكن، ثم قال: «قف بنا على هذا الكذاب»، فلما حاذاه قال: «يا هذا، رسول اللّه أغيَر على ربّه عزّ وجلّ منك، قل كما قال رسول اللّه »أهـ [الاقتصاد في الاعتقاد لعبد الغني المقدسي].

وفي صحيح البخاري في كتاب الوكالة: (أن رجلاً من بني إسرائيل أتى إلى رجل آخر يقترض منه مائة دينار، فأقرضه وسلفه، فقال: هل لك من شاهد؟ قال: ما لي شاهد إلا اللّه. قال: كفى باللّه شاهداً. قال: فهل لك من كفيل يكفلك ؟ قال: ما لي من كفيل إلا اللّه. قال: كفى باللّه كفيلاً. فأخذ هذا المال، وسافر به وركب البحر، فلما أتت المدة أتى بمائة دينار، يريد أن يعيدها إلى صاحبها، فوقف على ساحل البحر، وانتظر السفينة فلم تأتِ سفينة، وانتظر ثلاثة أيام، فلما يئس رفع طرفه إلى السماء، ثم قال: اللّهم إني اقترضت منه، فقال: هل لك من شاهد؟ فرضيت بك شاهداً، وقال: هل لك من كفيل ؟ فرضيت بك كفيلاً، اللّهم فبلّغ هذه الدنانير إليه. ثم أخذ خشبة، فنقرها، ووضع فيها الدنانير، ووضعها على ظهر ماء البحر، فسلط اللّه الريح؛ فأخذت هذه الخشبة، وساقتها إلى الساحل الآخر، وخرج ذالك الرجل صاحب الدين في ذلك اليوم، يقول لأهله: علني أتعرض للسفن، أركب إلى صاحب المال الذي جعل بيني وبينه اللّه شهيداً وكفيلاً.

فانتظر سـفناً فلم تأتِ سفينة، فقال: لقد يئسـت، وحسبي اللّه ونعم الوكيل. ثم نظر إلى الخشـبة، فقال: آخذ هذه إلى أهلي لتكون حطباً لهم. فلما أتى بها إلى البيت كسـرها؛ فإذا الدنانير فيها، وإذا الرسالة، والمبايعة، فقال: من استكفى باللّه كفاه، ومن توقى باللّه وقاه).

يقول علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه : لقد سبق إلى جنات عدن أقوام ما كانوا بأكثر النـاس صلاة ولا صياماً ولا حجّاً ولا اعتماراً، لكنهم عقلوا عن اللّه مواعظاً، فوجلت منه قلوبهم، واطمأنت إليه نفوسهم، وخشعت له جوارحهم، فقاموا في الناس بطيب المنزلة، وعلو الدرجة عند الناس في الدنيا، وعند اللّه في الآخرة.

ولما وعظهم النبي صلى اللّه عليه وسـلم تلكَ الموعِظَةِ العظيمةَ المشهورةَ كيفَ ذرفَتْ عيونُهُم وكيف وَجَلَتْ قلوبهم.

نعـم، هذا هم السـلف لهم في جانب التعظيم أخبـار وأخبار، أخمصـوا البطون عن المطاعـم الحرام تعظيماً للّه، وأغمضـوا الجفون عن مناظر الآثام تعظيمـاً للّه، واجتنبوا قبائح الأفعال والكلام تعظيماً للّه، فللّه هم، فللّه حياتهم، فللّه هيبتهم من ربهم.

• هذا أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه الرجل الأسيف البكّاء، سـبق الأمة بإيمان عميق، وتصديق وثيق، لما حضرته الوفاة قالوا له: ألا ندعوا لك طبيباً؟ قال: إن الطبيب قد رآني، فقال: إني فعّال لما أريد.

• هذا عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه وفي وجهه خطّان أسودان من كثرة البكاء، عند وفاته يقول لابنه عبداللّه: يا بني ضع خدي على الأرض عساه أن يرحمني، ثم قال بل ويل أمي إن لم يغفر لي، ويل أمي إن لم يغفر لي.

• وهذا سـفيان الثوري رحمه اللّه طاف بالبيت الحرام، وصلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه فنظر إلى السماء فوقع مغشيّاً عليه خوفاً وخشيةً وإجلالاً ومهابةً للّه، وكان شديد التفكر في عظمة اللّه وقدرته.

• هذا بلال بن رباح يوم أن عَمَر فؤاده بجلال اللّه، وعظمة اللّه، هان لديه كل عظيم.. يوضع في رمضاء مكة الحارقة، توضع الصخور الكبيرة على صدره وهو يهتف بنداء التعظيم أحد.. أحد.

• وهذا محارب بن دثار يقول أحد جيرانه: كنا إذا أظلم الليل، ونامت العيون، نسمع محارب بن دثار وهو يدعو ويرجو ويهتف ويبكي في ظلمة الليل، وهو يقول: يا الله أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد، أنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد، أنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد، أنا الغريب الذي آويته فلك الحمد، أنا العاري الذي كسوته فلك الحمد، أنا الراجل الذي حملته فلك الحمد، أنا المريض الذي شفيته فلك الحمد، أنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد، أنا الداعي الذي أجبته فلك الحمد، فلك الحمد ربنا حمداً كثيراً على حمدٍ لك – وتقدم – .

• وهذا عبدالرحمن بن يزيد قال: قلت ليزيد بن مرثد: ما لي أرى عينك لا تجف من البكاء؟ قال يزيد: إن الله عز وجل توعدني إن أنا عصيته أن يسجنني في النار، والله لو توعدني أن يسجنني في الحمام كنت حريّاً أن لا يجف لي دمعه [من خطبة عن عظمة الله لفيصل الشدي].

أخي الكريم! ولنتأمل حال أولئك المعظمين لله تعالى عند قيامهم للصلاة؛ فقد قال مجاهد رحمه الله: كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره إلى شيء، أو أن يلتفت أو يقلب الحصى، أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه من شأن الدنيا إلا ناسياً ما دام في صلاته، وكان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع، وكان يسجد فأتى المنجنيق فأخذ طائفة من ثوبه وهو في الصلاة لا يرفع رأسه، وكان مسلمة بن بشار يصلي في المسجد فانهدم طائفة منه فقام الناس وهو في الصلاة لم يشعر.

وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلون وجهه، فقيل له: ما لك؟ فقال: جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها.

وكان سعيد التنوخي إذا صلى لم تنقطع الدموع من خدّيه على لحيته.

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى يميل يمنة ويسرة وهذا غيض من فيض من أخبار وأحوال أولئك المعظمين لله، اللّهم كما رزقتهم تعظيمك فارزقنا إياه يا سميع الدعاء.

بل إن من العجيب أن كفار قريش كان في قلوبهم شيءٌ من تعظيم الله، وإليك بعض الشواهد على ذلك:

١- قصة عتبة بن ربيعة حينما قرأ عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فواتح سورة فصلت فلما بلغ قوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَـٰعِقَةً مِّثْلَ صَـٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصلت:١٣] .(وضع يده على فم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناشده الله والرحم ليسكتن) [تفسير القرطبي، ٢٢١/١٥].

٢- قصة جبير بن مطعم أنه قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَۣيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[الطور: ٣٥-٣٧] كاد قلبي أن يطير) [أخرجه : البخاري، في كتاب التفسير، (٦،٣/٨)، رقم (٤٨٥٤)].

٣- (كان الرسول صلى الله عليه وسلم عند الكعبة وحوله صناديد قريش فقرأ عليهم سورة النجم فلما وصل إلى السجدة في آخر السورة سجد فسجدوا معه) [البخاري، (٥٥٣/٢)، رقم (١،٧١)] فهذه الشواهد تدل على أن كفار قريش رغم كفرهم وإشراكهم كان في قلوبهم شيء من تعظيم الله .

قال شيخ الإسلام: «والمشركون ما كانوا ينكرون عبادة الله وتعظيمه ولكن كانوا يعبدون معه آلهةً أخرى» [٢٨٢ مجموع الفتاوى المجلد٢١].

وانظروا إلى هذه الآثارِ العظيمةِ التي تدلُّنا دِلالاتٍ واضحة قويَّة على مدى تعظيمِ واحترامِ هؤلاءِ الصحابةِ والتابعينَ لنبي الله صلى الله عليه واتباعه وسلم.

عن أنس رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، فيهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فلا يرفع أحد منهم إليه بصره إلا أبو بكر وعمر فإنهما كانا ينظران إليه وينظر إليهما ويبتسمان إليه ويبتسم اليهما) [الترمذي ٢٧٤/٥، وإسناده حسن، والحديث أخرجه أحمد: المسند ١٥/٣. قال الشيخ الألباني : صحيح٣٦٦٨ في تخريج جامع الترمذي للألباني].

وكانت من صفاتهم في مجلس النبي صلى الله عليه وسلم والتي كانت ناتجة عن

التأدب والاحترام والتوقير للنبي صلى اللَّه عليه سلم فكانوا كأنما على رؤوسهم الطير، لا يرفع أحدهم منهم إليه بصره احتراماً وتوقيراً، ويصف أحدهم تعامل الصحابة الكرام مع الرسول صلى اللَّه عليه سلم فيقول عروة بن مسعود: « إني وفدت إلى الملوك كسرى وقيصر والنجاشي، وإني واللَّه ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه كما يعظم أصحاب محمد محمداً، وليس بملك وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده وما يحدون النظر إليه تعظيما له، ولا يتكلم رجل منهم حتى يستأذن فإن هو أذن له تكلم وإن لم يأذن له سكت » . ومما يدل على توقيرهم للرسول صلى اللَّه عليه سلم أنهم كانوا يقتتلون على وضوئه ونخامته ويظهر ذلك في الحديث .

تعظيم السلف الصالح للنبي صلى اللَّه عليه وسلم

أخبار السلف في ذلك مستفيضة، وأخبار التابعين وتابعيهم فيه كثيرة. يبكي واحدهم إذا ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم عنده محبة له وتوقيرا وإجلالا، سئل الإمام مالك رحمه اللَّه تعالى متى سمعت من أيوب السختياني؟ فقال: (حج حجتين، فكنت أرمقه ولا أسمع منه، غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم بكى حتى أرحمه، فلما رأيت منه ما رأيت، وإجلاله للنبي صلى اللَّه عليه وسلم كتبت عنه).

وكأن هذا الإجلال للنبي صلى الله عليه وسلم كان سجية عند السلف الصالح ؛ لأنهم قد عرفوا قدره ومنزلته، وعلموا ما له من الفضل عليهم، كما حدث بذلك الإمام مالك رحمه اللَّه تعالى عن جماعة من شيوخه رأى من حالهم ما رأى عند ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم، روى مصعب بن عبد اللَّه رحمه اللَّه تعالى فقال: كان مالك إذا ذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون، لقد كنت أرى محمدَ بنَ المنكدر وكان سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه، ولقد كنت أرى جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذُكر عنده النبي صلى اللَّه عليه وسلم اصفر لونه، وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى اللَّه عليه وسلم إلا على طهارة. ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى اللَّه عليه وسلم فيُنظر إلى لونه كأنه نزف منه الدم، وقد جف لسانه في فمه ؛ هيبة لرسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، ولقد كنت

آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذُكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع، ولقد رأيت الزهري وكان لمن أهنأ الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته، ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى، فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس ويتركوه.

وهذا الحسن البصري رحمه الله تعالى كان يبكي إذا حدث بحديث الجذع الذي بكى لما فارقه النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: (يا عباد الله، الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ شوقا إليه لمكانه من الله، فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه) وكان من المستقر عندهم رحمة الله تعالى عليهم: توقير النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته كتوقير الصحابة رضي الله عنهم له في حياته، فلا يرفعون أصواتهم في مسجده إجلالا وتوقيرا له عليه الصلاة والسلام ؛ ولذلك لما رفع رجلان أصواتهما في مسجده صلى الله عليه وسلم في عهد عمر رضي الله عنه استنكر عمر ذلك ؛ كما روى السائب بن يزيد رحمه الله تعالى فقال: (كنت قائما في المسجد فحصبني رجل فنظرت فإذا عمر بن الخطاب فقال: اذهب فأتني بهذين، فجئته بهما، قال: من أنتما أو من أين أنتما ؟ قالا: من أهل الطائف، قال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم).

بل كان بعض التابعين يرى أن رفع الصوت في مجالس الحديث كرفع الصوت عند النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الحديث حديثه، قال حماد بن زيد رحمه الله تعالى كنا عند أيوب السختياني فسمع لغطا فقال: ما هذا اللغط ؟ أما بلغهم أن رفع الصوت عند الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرفع الصوت عليه في حياته).

وكان من توقيرهم للنبي صلى الله عليه وسلم أنهم لا يحدثون بحديثه إلا وهم على أحسن حال وهيئة، ويربون أتباعهم على ذلك، قال أبو سلمة الخزاعي رحمه الله تعالى كان مالك بن أنس إذا أراد أن يخرج ليحدث توضأ وضوءه للصلاة، ولبس أحسن ثيابه، ولبس قلنسوة، ومشط لحيته، فقيل له في ذلك، فقال: أوقر به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومر الإمام مالك على أبي حازم وهو يحدث فجازه، فقيل له، فقال: لم أجد موضعا فكرهت أن آخذ حديث رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأنا قائم (وكان محمد بن سيرين يتحدث فيضحك فإذا جاء الحديث خشع)

وجاء عن سعيد بن المسيب رحمه اللَّه تعالى أنه سئل عن حديث وهو مضطجع في مرضه فجلس وحدث به، فقيل له: وددت أنك لم تتعن فقال: كرهت أن أحدث عن رسول اللَّه وأنا مضطجع، وسئل ابن المبارك رحمه اللَّه تعالى عن حديث وهو يمشى فقال: ليس هذا من توقير العلم.

وأخبارهم في ذلك غزيرة، وأحوالهم فيه عجيبة ؛توقيرا للنبي صلى اللَّه عليه وسلم، وتعظيما لحديثه .

كانوا يكرهون أن يقول الرجل قال الرسول ولكن يقول : قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم تعظيما له.

هكذا كان حال أسلافكم من التابعين وتابعيهم، وكبار العلماء المتبوعين، والأئمة المهديين ؛توقيرا للنبي صلى اللَّه عليه وسلم، وتعظيما لحديثه. وأداء لحقوقه عليهم، وأخبارهم في ذلك تعز على الحصر، وتستعصي على الجمع، من كثرتها وتنوعها .

كان من توقير السلف الصالح رحمهم اللَّه تعالى للنبي صلى اللَّه عليه وسلم : تعظيمهم لسنته، والعناية بها، وتقديمها على أقوال الرجال وآرائهم مهما بلغت علومهم، وعلت منازلهم، وما من إمام متبوع من أصحاب المذاهب المشهورة إلا ويعلن في أتباعه وتلامذته أن سنة النبي صلى اللَّه عليه وسلم مذهبه، وأن أي قول له يخالف السنة فهو يبرأ إلى اللَّه تعالى منه .

وأمثلة ذلك مما جاء عن الصحابة رضي اللَّه عنهم كثيرجداً، وعلى نهجهم سار أتباعهم ومن تبعهم من أئمة السلف إلى زماننا هذا.

سئل عليٌّ رضي اللَّه عنه : كيف كان حبُّكم لرسولِ اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم ؟ قال : كان واللَّه أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظَّمأ .

وقال عمروُ بنُ العاصِ رضي اللّه عنه : ما كان أحد أحبُّ إليَّ من رسولِ اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا أجلَّ في عينَيَّ منه ، وما كنت أطيقُ أن أملأَ عينَيَّ منه إجلالاً ، ولو سئلتُ أن أصفَه ما أطَقْتُ لأني ما كنت أملأُ عيني منه .

ولقد كان الصحابة رضي اللّه عنهم عندما يسمعون حديث الرسولِ صلى اللّه عليه وسلم كأن على رؤوسهم الطيرَ من الخشوعِ والعظمةِ لأمرِ النبي صلى اللّه عليه وسلم.

وكان من أدَبِهم مع المصطفى عليه الصلاة والسلام أنهم كانوا يطرقون أبوابَه عليه الصلاةُ والسلامُ بالأظافيرِ. فكان من أدبهم أنهم لا يطرقونَ البابَ طرقاً كالطرقِ المعتادِ ؛ وإنما كانوا يتلَطَّفونَ ويتأدَّبون حتى كانوا يطرقون أبوابه طرقاً بالأظافيرِ، فرضي اللّه عنهم وصلى اللّه على هذا النبي الهادي البشير، وغيرذلك كثيرٌ من الآثارِ عن السلفِ في تعظيمِهم لحديثِ نبيِّهم للنبي صلى اللّه عليه وسلم .

وإذا رأينا في أقوال الأئمةِ وفيما نُقِلَ عن أئمَّتِنا نجدُ في ذلك آثاراً كثيرةً أيضاً منها :

- ما جاء في البخاري عن السائبِ بنِ يزيدَ عن عمر - وتقدم -

- ولهذا أُثِرَ عن الإمامِ مالكٍ رحمه اللّه - وكان من أشدِّ الناسِ تعظيماً لحديثِ رسولِ اللّه للنبي صلى اللّه عليه وسلم -أنه إذا جلس للفقهِ جلسَ كيفَ كان، وإذا أراد الجلوسَ للحديثِ اغتسلَ وتطَيَّبَ ولبس ثياباً جُدُداً وتعَمَّمَ وجلس على مِنَصَّتِهِ بخشوعٍ وخضوعٍ ووقارٍ، ويجلسُ في ذلك المجلسِ، وكان يبخرُ ذلك المجلسَ من أوَّلِهِ إلى آخرِه تعظيماً لحديثِ المصطفى عليه الصلاة والسلام .

كان الإمامُ الشهيرابنُ مهدي إذا قرأ حديثَ رسولِ اللّه للنبي صلى اللّه عليه وسلم أمرَ الحاضرينَ بالسُّكوتِ فلا يتحدَّثُ أحدٌ ولا يُبْرى قلمٌ ولا يتبسَّمُ أحدٌ ولا يقوم أحد قائماً كأن على رؤوسهم الطيرَ أو كأنهم في صلاةٍ، فإذا رأى أحداً منهم تبسَّمَ أو تحدَّثَ لبس نعلَه وخرجِ .

فانظروا إلى هذه الآثارِ العظيمةِ التي تدلُّنا دِلالاتٍ واضحة قويَّة على مدى تعظيمِ واحترامِ هؤلاءِ الصحابةِ والتابعينَ لنبي اللّه صلى اللّه عليه واتباعه وسلم.

فهل وقر النبي صلى اللّه عليه وسلم من يسخرون بسنته ، ويسعون سعيا حثيثا

في صرف الناس عنه إلى مناهج ملاحدة الشرق والغرب، وما أكثرهم في أهل الصحافة والإعلام، الذين يحتفون بالزنادقة والملحدين والمنافقين والمرتدين أكثر من احتفائهم بالنبي صلى الله عليه وسلم، ويقضون بأقوالهم الكفرية على النصوص المعصومة من الكتاب والسنة، ويدّعون أنهم يدعون إلى إسلام حضاري ليبرالي متسامح. وهل وقّر النبي صلى الله عليه وسلم من سخر بشيء من هديه في الهيئة واللباس كتقصير الثياب وإكرام اللحى وإعفائها، وكثير ممن يسخرون بهذا الهدي النبوي يزعمون أنهم إنما يسخرون بالأشخاص لا بالهدي النبوي، ثم نراهم يحتفون بمن انتكس بعد الاستقامة، وزاغ بعد الهداية، ونزع مظاهر السنة من سمته وهيئته، ويعظمونه ويقدمونه، ويختصونه بالرعاية الإعلامية، ويفتحون له المجالات الصحفية، وإذ ذاك لم تكن سخريتهم بالأشخاص وإنما بسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وهل وقر النبي صلى الله عليه وسلم من حاد عن طريقته، واستدرك عليه في شريعته، وابتدع في دينه ما ليس منه، وترك من السنة بقدر بدعته، كمن يحيون الموالد، ويختصون بعض الليالي بفضل وعبادات لم ترد في الكتاب ولا في السنة، ومن ذلك ما يفعله كثير منهم في هذه الأيام من الاحتفاء بليلة النصف من شعبان، وتخصيص ليلتها بالقيام، ويومها بالصيام، مخالفين بذلك سنة النبي صلى الله عليه وسلم، مبتدعين في دينه ما ليس منه.

إن البرهان الحقيقي للتعظيم الصادق هو تعظيم ما جاء به - صلى الله عليه وسلم - من الشريعة القائمة على الكتاب والسنة كما فهمها سلف هذه الأمة، إذ العبرة بالحقائق لا بالمظاهر والأشكال الجوفاء.

هل عظّمه من حلف به وهو القائل: (من حلف بغير الله فقد أشرك) [أبو داود] ؟

هل عظّمه من توسل بذاته مخالفاً بذلك هدي الصحابة - رضوان الله عليهم - ؟

هل عظمه من استغاث به من دون الله ؟

أليس ذلك كله تنكراً لمحبته وتعدياً لشرعه وعصياناً لأمره وهو القائل: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله) [البخاري].

هـل من تعظيمـه الابتـداع في دينه والزيـادة في شـريعته، من التمسـح بحجرته أو الاحتفال بمولده؟

أي حسن في الاحتفال ساعات وأيام ثم التقصير والإهمال سائر العام؟

وأي حسن في الاحتفال بزمن توفي فيه المصطفى - صلى الله عليه وسلم -؟

وأي حسن في مشابهة دين النصارى المفتونين بالاحتفالات؟

وأي حسن في عمل لم يشرعه الحبيب - صلى الله عليه وسلم - ولم يفعله أنصاره وحماة دينه وحملة رسالته - رضي الله عنهم -؟

أليسوا أصدق الناس حباً له؟

لو كان خيراً محضاً أو راجحاً لكان السـلف - رضي الله عنهم - أحق به منا، فإنهم أشد محبة لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص وعن التكلف أبعد.

تعظيم السلف لله في الفتيا نماذج من مواقف السلف من الفتوى

وكيف كانوا يهابونها ويتوقونها ويتدافعونها

اعلـم وفقنـا الله وإياك وجميع المسـلمين لمـا يحبه ويرضـاه أنه لمـا في الفتوى من الخطر العظيم والتبعة الجسـيمة كان السـلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة المشـهورين يأبون الفتيا ويشـددون فيها ويتحاشـونها ويتدافعونها تعظيما لله ولا يرون بذلك بأسـاً ولا غضاضة ولا يقدمون عليها إلا عند الحاجة الشـديدة إليهـم فيها أو عند الضرورة إذا تعينت على أحدهم مخافة مجاوزة الحق فيهلكون .كل ذلك استشعار منهم لهول الموقف بين يدي الله حين يسـأل المكلف ما نسبه إلى ربه وقال عنه من تحليل وتحريم أكان عن علم أم بغير علم وهل كان خالصاً لوجه الله مقصوداً به نصح المسلمين أم به دخن . لقد كان النبي ﷺ يسـأل عما لم ينزل عليه فيه الوحي، فيتوقف حتى ينزل الـوحي فيجيب الله عما سـئل فيـه نبيـه: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ﴾ [المائـدة: ٤]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [الكهف: ٨٣]

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ [الإسراء:٨٥] ، ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ [الكهف:٢٢] .

وفي حديث جبريل «قال متى الساعة قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل » [متفق عليه] ، وفي حديث مصير من يموت صغيراً لما سئل عنه ﷺ قال: (الله أعلم بما كانوا فاعلين) [البخاري]. وحديث مر بجنازة فقال يهودي يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال النبي ﷺ «الله أعلم »[أبو داود] .

وفي حديث التأبير قال ﷺ : «أنتم أعلم بأمر دنياكم »[مسلم (٢٣٦٣/٤)] .

وسئل النبي ﷺ أي البلدان شر فقال : لا أدري فلما أتاه جبريل عليه السلام قال: يا جبريل أي البلدان شر ؟ قال لا أدري حتى أسأل ربي عز وجل فانطلق جبريل عليه السلام ثم مكث ما شاء الله أن يمكث ثم جاء فقال : يا محمد إنك سألتني أي البلدان شر فقلت لا أدري وأني سألت ربي عز وجل أي البلدان شر فقال : أسواقها . [رواه أحمد في مسنده (٨١/٤) والحاكم (٦/٢)]

وكلمة الصديق رضي الله عنه أي سماء تضلني وأي أرض تقلني إذا انا قلت في كتاب الله بغير علم وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه تنزل به الحادثة فيجمع لها الصحابة ويستشيرهم فيها . وقال ابن سيرين «لم يكن أحد أهيب مما لا يعلم من أبي بكر ولم يكن أحد بعد أبي بكر أهيب مما لا يعلم من عمر» وقد تدافع الصحابة رضي الله عنهم ومن أتى بعدهم من علماء السلف الفتوى طلباً للسلامة فقد روى الإمام أحمد وغيره عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : « أدركت عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يسأله أحدهم عن المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول » وقال البراء : « لقد رأيت ثلاثمائة من أصحاب بدر ما فيهم من أحد إلا وهو يحب أن يكفيه صاحبه الفتيا . وما منهم من يحدث بحديث إلا ود أن أخاه كفاه إياه، ولا يستفتى عن شيء . إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا » .

وعن عمر رضي الله عنه أنه قال : « اتقوا الرأي في دينكم » وكان عمر بن الخطاب وعلي وعامة خيار الصحابة رضي اللَّه عنهم كانت تردُ عليهم المسائل وهم خير القرون الذي بعث فيه النبي ﷺ وكانوا يجمعون أصحاب النبي ﷺ ويسـألون ثم يفتون فيها . قال ابن مسـعود وابن عباس رضي اللَّه عنهما : «من أفتى عن كل ما يسـأل فيه فهو مجنون». وقال ابن مسعود رضي الله عنه « إذا سئل أحدكم عما لا يعلم فليقر ولا يستحي ».

وذكر الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه خرج عليهم وهو يقول : « ما أبردها على الكبد، وما أبردها على الكبد ! فقيل له : وما ذاك ؟ قال : «أن تقول للشيء لا تعلمه، اللَّه أعلم». وقـال ابن عباس رضي اللَّه عنهما «إذا ترك العالـم لا أدري أصيبت مقاتله»، صح عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما أنه قال : « العلم ثلاثة كتاب ناطق وسـنة ماضية ولا أدري». قال سفيان : «من فتنة الرجل إذا كان فقيهاً أن يكون الكلام أحب إليه من السكوت». وقال المروزي : قلت لأبي عبداللَّه : «العالم يظنونه عند كل شيء ». فقال قال ابن مسعود رضي الله عنه : «إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون » . وقال سعيد بن جبير : ويل لمن يقول لما لا يعلم إني أعلم .وقال محمد بن عبد الحكم : سألت الشافعي رحمه اللَّه عن المتعة أكان فيها طلاق أو ميراث أو نفقة تجب أو شـهادة ؟ فقـال : واللَّه ما ندري . وقال مالك : «من فقه العالم أن يقول لا أعلم فإنه عسى أن يهيأ له الخير» أهـ بتصرف وعن عطاء بن السائب التابعي قال : «أدركت أقواماً يسأل أحدهم عن الشيء فيتكلم وهـو يرعد» . وعن الشـعبي والحسـن وأبي حصين وهـم من التابعين قالـوا : إن أحدهم ليفتي في المسألة ولو وردت على عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه لجمع لها أهل بدر . وقال بعض السلف الصالح : « ليتق أحدكم أن يقول أحل اللَّه كذا، وحرم كذا، فيقول اللَّه، لـه : كذبت لم أحل كذا ولم أحرم كذا، فلا ينبغي أن يقول لما لا يعلم ولا ورد الوحي المبين بتحليلـه وتحريمه : أحلـه اللَّه وحرمه اللَّه لمجـرد التقليد أو بالتأويل » .وقـال أبو حنيفة :« لـولا الفَـرَق من اللَّه تعالى أن يضيع العالم ما أفتيت، لهم يكون المهنـأ وعلي الوزر» وقال مالك بن أنس «إني لأفكر في المسألة منذ بضع عشر سـنة، فما اتفق فيها لي رأي إلى الآن . وقال : ربما وردت علي المسـألة فأفكر فيها ليالي » .وكان يقول : « من أحب أن يجيب عن مسـألة فليعرض نفسه قبل أن يجيب على الجنة والنار، وكيف يكون خلاصه

في الآخرة، ثم يجيب » . وقال بعضهم : « لكأنما مالك إذا سئل عن مسألة والله واقف بين الجنة والنار. وقال :ما شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام لأن هذا هو القطع في حكم الله، ولقد أدركت أهل العلم والفقه ببلدنا وأن أحدهم إذا سئل عن مسألة كأن الموت أشرف عليه » .ويروى أنه سأله رجل عن مسألة استودعه إياها أهل المغرب فقال : «ما أدري ما ابتلينا بهذه المسألة ببلدنا، ولا سمعنا أحداً من أشيخنا تكلم فيها ولكن تعود، فلما كان من الغد جاء وقد تحمل ثقله على بغله يقوده فقال : مسألتي، فقال : ما أدري ما هي، فقال الرجل : يا أبا عبدالله تركت خلفي من يقول : ليس على وجه الأرض أعلم منك ! فقال مالك - غير مستوحش- : إذا رجعت فأخبرهم أني لا أحسن » . وسأله آخر فلم يجبه، فقال له : يا أبا عبدالله أجبني، فقال : « ويحك تريد أن تجعلني حجة بينك وبين الله، فأحتاج أنا أولاً أن أنظر كيف خلاصي ثم أخلصك » . وعن الهيثمي بن جميل قال : شهدت مالكاً سئل عن ثمان وأربعين مسألة، فقال في اثنتين وثلاثين منها لا أدري، وسئل من العراق عن أربعين مسألة فما أجاب إلا في خمس . وقال : قال ابن عجلان :«إذا أخطأ العالم (لا أدري) أصيبت مقاتله » . وقال سمعت ابن هرمز يقول :«ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول: لا أدري» وسئل مرة عن مسألة فقال : لا أدري، فقال السائل : إنها خفيفة سهلة، وإنما أردت أن أعلم بها الأمير . وكان السائل ذا قدر . فغضب مالك وقال : مسألة خفيفة سهلة ! ليس في العلم شيء خفيف ! أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل: ٥]؟ وقال القرافي : « ما أفتى مالك حتى أجازه أربعون محنكاً، وكانوا يتهمون أنفسهم ويزهدون عن مواقف الشهرة » وكان الإمام أحمد يسأل عن المسألة فيتوقف أو يقول لا أدري أو يقول سل غيري أو سل العلماء أو نحو ذلك . وعن سفيان بن عيينة وسحنون : «أجسر الناس على الفتيا أقلهم علماً» وقال الشافعي :«ما رأيت أحداً جمع الله تعالى فيه آلة الفتيا ما جمع في ابن عيينة أسكت منه على الفتيا» . وكان سعيد بن المسيب لا يفتي فتيا إلا قال : « اللَّهم سلمني وسلم مني ». وقال ابن المنكدر : «إن العالم بين الله تعالى وبين خلقه فلينظر كيف يدخل بينهم » وقال عبيد الله بن أبي جعفر : «أجرؤكم على الفتيا أجرؤكم على النار» . وقال سهل بن حنيف : «يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم » . وفي «سنن الدارمي» عن عبدالعزيز بن رفيع قال : سُئل عطاء عن شيء ؛ قال : لا أدري

. قـال قيـل : له ألا تقول فيها برأيك ؟ قال إني أسـتحيي من الله أن يـدان في الأرض برأيي [نصف العلم لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥)]، وقد سئل الشعبي – رحمه الله – عن شيء فقال : « لا أدري » فقيل له ألا تستحي من قولك لا أدري وأنت فقيه العراقين ؟ فقال : « لكن الملائكة لم تستح حين قالت : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾ [البقرة:٣٢] ». وقال الشعبي أيضاً لا أدري نصف العلم . وعن ابن عون قال: « كنت عند القاسم بن محمد إذ جاءه رجل فسأله عن شيء، فقال القاسم لا أحسنه، فجعل الرجل يقول : إني دُفِعتُ إليك لا أعرف غيرك . فقال القاسم : لا تنظر إلى طول لحيتي وكثرة الناس حولي والله ما أحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه : يا ابن أخي، إلزمها فوالله ما رأيتك في مجلس أنبل منك اليوم فقال القاسم : والله لأن يقطع لساني أحب إلي من أن أتكلم بما لا علم لي به » [جامع بيان العلم (٦٦/٢)] .عن عقبة بن مسلم قال: « صحبت ابن عمر أربعة وثلاثين شهراً فكثيراً ما كان يسأل فيقول لا أدري ثم يلتفت إلي فيقول : تدري ما يريد هؤلاء ؟ يريدون أن يجعلوا ظهورنا جسراً لهم إلى جهنم » .

وعن سحنون : أن رجلاً أتاه، فسأله عن مسألة فأقام يتردد إليه ثلاثة أيام، فقال له: « مسألتي أصلحك الله، لي اليوم ثلاثة أيام ».فقال له : «وما أصنع لك يا خليلي ؟ مسألتك معضلة، وفيها أقاويل وأنا متحير في ذلك ». فقال له : أنت أصلحك الله لكل معضلة .فقال له سحنون « هيهات يا ابن أخي، ليس بقولك هذا أبذل لك لحمي ودمي إلى النار، ما أكثر ما لا أعرف، إن صبرت رجوت أن تنقلب بمسألتك، وإن أردت أن تمضي إلى غيري فامضِ تجاب مسألتك في ساعة ؟ » .فقال له : إنما جئت إليك ولا أستفتي غيرك فقال له : «فاصبر عافاك الله، ثم أجابه بعد ذلك »وقد كان فيهم – رضي الله تعالى عنهم – من يتباطأ بالجواب عما هو فيه غير مستريب، ويتوقف في الأمر السهل الذي هو عنه مجيب .

وفي هذا المقام يقول الخطيب البغدادي وينبغي أن يكون توقفه في جواب المسألة السهلة كتوقفه في الصعبة ليكون ذلك عادة فقد روينا عن عبدالله بن المعتز « التثبت يسهل طريق الرأي إلى الإصابة والعجلة تضمن العثرة » [الفقيه والمتفقه (٣٩٥/٢)] وروي عن سحنون بن سعيد، أنه قيل له : إنك لتسأل عن المسألة، لو سئل عنها أحد من أصحابك

لأجاب فيها، فتترجح فيها وتتوقف ؟! فقال إن فتنة الجواب بالصواب، أشد من فتنة المال . [نصف العلم لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥)] وأنشد بعض الأعلام في هذا المقام شعراً :

إذا استفتيت عما فيه تحريم وإحلال

فلا تعجل ففي فتواك أخطار وأهوال

فإن أخطأت في الفتوى فبئس الأمر والحال

وإن أحسنت لا يغرك إعجاب وإدلال

[صلاح العالم بإفتاء العالِم للشيخ حامد بن علي العمادي (٣٣-٣٥)]

بلغنا عمن سمع سحنون بن سعيد : يزري على من يعجل في الفتوى ويذكر النهي عن ذلك، وعن المتقدمين بين مُعَلِّميه، وقال : إني لأسأل عن المسألة فأعرفها، وأعرف في أي كتاب هي، وفي أي ورقة، وفي أي صفحة، وعلى كم هي من سطر، فما يمنعني الجواب فيها إلا كراهة الجرأة بعدي على الفتوى . [أدب المفتي والمستفتي لابن الصلاح تحقيق مصطفى الأزهري (٧٨-٧٩)]، ويقول أحد السلف رحمه الله : «إني لأستحي أن يعبد الله عز وجل برأيي ».

عن محمد أنه كان إذا سئل عن شيء من الفقه الحلال والحرام تغير لونه وتبدل، حتى كأنه ليس بالذي كان [تعظيم الفتيا لابن الجوزي (٧٧)].وقد حكي عن أحد أئمة الشافعية وقد آلت إليه إمامة المذهب في بلده أنه خطب على المنبر وقال :

خلت الديار فَسُدْتُ غير مُسَوَّدٍ ومن البلاء تفرُّدي بالسُّؤددِ

قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله : «ومن أعظم ما يجب على المعلمين أن يقولوا لما لا يعلمون : الله أعلم وليس هذا بناقص لأقدارهم بل هذا مما يزيد قدرهم ويستدل به على كمال دينهم وتحريهم للصواب وفي توقفه عما لا يعلم فوائد كثيرة منها أن هذا هو الجواب عليه . ومنها أنه إذا توقف وقال لا أعلم فما أسرع ما يأتيه علم ذلك من مراجعته أو مراجعة غيره . ومنها أنه إذا توقف فيما لا يعرف كان دليلاً على ثقته وأمانته وإتقانه فيما يجزم به من المسائل ومنها أن المعلم إذا رأى منه المتعلمون التوقف فيما لا يعلم كان ذلك تعليماً لهم وإرشاداً لهذه الطريقة الحسنة » [الفتاوى السعدية (٦٢٨)] وهذا

أيضاً مما يؤثر عن بعض العلماء المعاصرين ؛ فقد ذكر عبدالرحمن بن يوسف الرحمة في «الإنجاز في ترجمة الإمام عبدالعزيز بن باز » .« والشيخ – رعاه الله – لا يتورع عن قول لا أدري ، والله أعلم ، بل هي سلاحه في كثير من الأحايين ، وهذا نهج علمي دقيق سار عليه سماحته ، بل عددت له في مجلس أكثر من عشر مرات وهو يقول : الله أعلم » . أهـ [نصف العلم .. لا أدري لأبي سهل خالد رمضان (٥٣)] هكذا كان أسلافنا يهربون من الفتوى لا لقصور في تفكيرهم ولا لضعف في علمهم بل لأنهم يهابون الله ويجلون دينه وكان كل واحد منهم يتمنى أن يكفيه غيره شأن الفتوى . فهذه الأقوال المنقولة عن هؤلاء الأئمة الأعلام وغيرهم مما نقل عنهم وعن غيرهم يدلك على مدى تهيبهم من الفتيا وخشيتهم منها ومن تبعاتها ومن الحساب عليها .ومع ذلك لم يتركوا هذا المنصب الخطير ويهملوا هذا الفرض المؤكد عليهم وعلى أمثالهم من العلماء عند الحاجة إليهم وتعينه عليهم ولهذا هداهم الله إلى الرشاد ووفقهم وسددهم فأصبحوا أئمة الهدى ومنارات الرشد ومصابيح الظلام لصدق نياتهم ورغبتهم فيما عند الله . وللعاقل أسوة حسنة في رسول الله ﷺ وصحابته والتابعين وكل خير في اتباع من سلف . فانظر رعاك الله كيف انعكس الحال اليوم صار المرهوب منه مطلوباً والمطلوب مرهوباً يقول بشر بن الحارث «من أحب أن يُسأل فليس بأهل أن يُسأل » . لا سيما في هذا الزمن الذي ظهرت فيه موجات الفتن والشهوات والشبهات وكثر فيه الطرق الضالة والأحزاب المنحرفة كل حزب بما لديهم فرحون .نسأل الله العافية فليتأمل المتسرعون إلى الفتيا بغير علم ما ذكر .اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه – من رسالة بعنوان : منزلة الفتوى لكاتب هذه الأسطر تقديم سماحة المفتي وهي مطبوعة ولله الحمد –

!! .. أين نحن من تعظيم الله عز وجل .. !!

ليس من تعظيم الله قلب النعال

إرشاد الأنام إلى أن إيجاب قلب النعال المتجه إلى الأعلى من محدثات العوام لماهر ظافر القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد

فقد انتشرت بين أهل الإسلام في الأعصار المتأخرة بدعة أوجبوها على أنفسهم نشأ عليه الصغير وهرم عليها الكبير واتخذها الناس سنة فإذا غيرت قالوا غيرت السنة وهي أن أحدهم إذا رمق ببصره حذاء مقلوبا أسفله إلى جهة السماء سارع إلى قلبه إلى جهة الأرض تعظيما لله سبحانه الذي استوى على عرشه ويخافه من فوقهم ملائكته قال تعالى ءأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور وقال عن ملائكته يخافون ربهم من فوقهم مع كون ذلك البعض يتهاون ربما في كثير من معصية الرب سبحانه !

وهذا مقصد للخير يبغونه فنعم المقصد مقصد تعظيم الرب جل جلاله ولكن كما قال عبدالله بن مسعود وكم من مريد للخير لن يصيبه .أي أن إرادة الخير وقصده لا يكفي في صحة العمل وقبوله بل لابد من الإتباع للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه لاكما ظن بعض الفضلاء من أهل العلم من كون المسلم يؤجر على قصده كحضور المولد ولو كان العمل محدثا . فإنه يرده ما رواه البخاري في صحيحه عَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ ضَحَّى خَالٌ لِي يُقَالُ لَهُ أَبُو بُرْدَةَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاتُكَ شَاةُ لَحْمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ عِنْدِي دَاجِنًا جَذَعَةً مِنْ الْمَعَزِ قَالَ اذْبَحْهَا وَلَنْ تَصْلُحَ لِغَيْرِكَ ثُمَّ قَالَ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَإِنَّمَا يَذْبَحُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ذَبَحَ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَقَدْ تَمَّ نُسُكُهُ وَأَصَابَ سُنَّةَ الْمُسْلِمِينَ فقوله شاتك شاة لحم بالرغم من إرادة

ذلك الصحابي الخير وإصابة السنة دليل كما أفاد بن حجر على أن القصد الحسن لفعل العبادة لا يصير العبد مأجورا إذا فارق العبد فيها الإتباع .

وإنـه مـن العجيب أنك ترى أحدهـم يزين لـه الشـيطان قلب النعال وهو تارك للصـلاة. وقد نقل ابن مفلح في الآداب الشـرعية عـن ابن عقيل . إشـارة إلى إنه من قلة فقه العوام قلبهم للنعال ولما سألت اللجنة الدائمة من مشايخنا كما في فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦-٣٠٢) عن بعض كبار السن أنهم يقولون أن قلب النعال على ظهرها لا يجـوز حيث تقابل وجـه اللَّه تعالى. فهل هذا صحيح ؟ أعرضت اللجنـة عن هذا المعتقد وأجابت بمشروعية ذلك تقذرا .. فلو كان لذلك عندهم أصل وهو معتقد العامة بأنه لا يجوز لمقابلة وجه اللَّه لذكروا ذلك رفع الله قدرهم . آمين

فقالوا : قلب الحذاء بحيث يكون أسفله أعلاه فيه تقذر وكراهة لأن أسفله مما يلي الأرض فيكون لابس الحذاء يطأ على الأرض وقد يطأ به شـيئا مـن الأقذار وباللَّه التوفيق. عبد العزيز بن باز ، عبدالرزاق عفيفي ، عبدالله الغديان.

فالسـلف كانوا أشد الناس تعظيما للَّه ولكن على طريقة رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم وأصحابه كما روي عن حذيفة أنه قال أي عبادة لم يتعبدها أصحاب النبي صلى اللَّه عليه وسلم فلا تعبدوها وعليكم بالأمر العتيق وعن بن مسعود أنه قال [اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم..] فلو كان قلب النعال سنة منتشرة بينهم وهم أشد تعظيما للَّه لكان مما تتوفر الدواعي لنقله وهو أمر ممكن الوقوع والظهور في عصرهم رضي اللَّه عنهم . فلما لم ينقل علم أنه مما أحدثه العوام في الأعصار المتأخرة فلا واجب إلا ما أوجبه اللَّه تعالى ورسـوله وفهمه السلف الصالح رضي اللَّه عنهم كما قالت عائشة عن رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم أي شرط ليس في كتاب اللَّه فهو باطل وإن كان مائة شرط.

فأين وجد هؤلاء أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم أمر بذلك أمر وجوب أو استحباب أو فعله سلفنا الصالح.

وقد كنت أمشي في الحرم المكي أنا وبعض المشـايخ الفضلاء من أهل الحديث فرأى نعلا مقلوبا إلى السـماء فاتجه ناحيته ليقلبه إلى الأرض فاستوقفته إلى أين . هل هذا كان

من هدي السلف رحمهم الله فاستدرك . وترك قلبه .رفع الله قدره .كذا أهل الحديث كما عرفناهم منذ القديم فلا يزالون يتوارثون مذهبهم من الرجوع إلى الحديث والحق بعد ما تبين قال شعبة إذا أتاكم الحديث فخذوه وإذا أتاكم رأيي فبولوا عليه .

قال بعضهم (باب وليس كل ما انتشر بين الناس له أصل) .أو كما قال .

أقول وهو كذلك فقد انتشر بينهم رفع الأيدي على الصفا والمروة مكبرين ثلاثا وهو محدث والاضطباع طيلة الإحرام بالحج والعمرة وهو محدث وتقبيل المصحف وهو محدث والإستعاذة عند المثائبة وهو محدث والإستنجاء عند الوضوء بلا بول وغائط وهو محدث وزخرفة المساجد وتلوينها وهو محدث ورفع اليدين عند الخطبة بلا استسقاء وهو محدث وقصد الشاخص برمي الجمرات وصعود جبل الرحمة وهو محدث وجعل الخط الأسود علامة على اكتمال شوط الطواف وهو محدث والاضطباع في السعي وهو محدث والامتناع من الكلام في الخلاء مع أحد لا يتخلى بغير ذكر الله وهو محدث والتطريب في الدعاء وهو محدث وقول صدق الله العظيم عند ختم القراءة وهو محدث والدعاء عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم وهو محدث والمسح على الرقبة في الوضوء وهو محدث . واعتقاد خطأ من صلى بنعاله وكثير من المحدثات والتي يطول ذكرها وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال (وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا) ..وعند ذلك قال (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) وفي حديث آخر عند النسائي و(كل ضلالة في النار) وفي حديث عائشة (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) وهو متفق عليه وكان يقول (وشر الأمور محدثاتها) والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

[الشيخ ماهر بن ظافر القحطاني]

كلامي في المسألة على من ظن حرمته لأنه يقابل الله جل في علاه ..أما تقذرا فلا حرج كما بينت اللجنة أدامها الله بالبر والتقوى : ففي فتاوى اللجنة الدائمة (٢٦ - ٣,٢) عن بعض كبار السن أنهم يقولون أن قلب النعال على ظهرها لا يجوز حيث تقابل وجه الله تعالى . فهل هذا صحيح ؟

الجواب: قلب الحذاء بحيث يكون أسفله أعلاه فيه تقذر وكراهة لأن أسفله مما يلي الأرض فيكون لابس الحذاء يطأ على الأرض وقد يطأ به شيئا من الأقذار وبالله التوفيق . عبد العزيز بن باز ، عبدالرزاق عفيفي ، عبدالله الغديان .

تعديل النعال المقلوبة - كلام نفيس للشيخ ابن عثيمين :

السؤال: أحسن الله إليكم يقول هذا السائل يا فضيلة الشيخ يوجد بعضٌ من الناس يقولون بأنه عند وجود الحذاء مقلوباً رأساً على عقب بأن الملائكة لا تدخل هذا البيت أو أن الله لا ينظر إلى هذا البيت فماذا تقولون في هذا الأمر؟

الجواب : الشيخ: نقول هذا لا صحة له ولا أعلم في كون النعل مقلوبة بأساً لكن هذا أمرٌ شديدٌ عند الناس وقد يكون الأمر شديداً عند الناس ولا أصل له هذا مثالٌ من الأمثلة ومثالٌ آخر البول قائماً بعض العوام يشدد فيه جداً حتى إنه ليخرج الإنسان من الإسلام إذا بال قائماً وهذا غلط فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه بال قائماً وقال أهل العلم لا بأس بالبول قائماً بشرط أن يأمن التلويث بالبول وأن يأمن الناظر يعني إذا لم يكن حوله أحد ولا يخشى أن يتلوث بالبول فلا بأس أن يبول قائماً ولا كراهة في ذلك لا سيما إذا احتاج إلى هذا مثل أن يكون معه وجع ركب يشق عليه الجلوس فلا إشكال في جوازه [فتاوى نور على الدرب] .

- **حب العربية من الإيمان**

كان سلفنا الصالح -رحمهم الله تعالى- يعدون تعلم العربية وخدمتها وحبها من الدين، ومن حب الله -تعالى- ورسوله ﷺ يدل على ذلك ما قاله الإمام أبو منصور الثعالبي -رحمه الله « من أحب الله -تعالى- أحب رسوله ومن أحب الرسول العربي أحب العرب، ومن أحب العرب أحب العربية التي بها نزل أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم، ومن أحب العربية عني بها، وثابر عليها، وصرف همته إليها، ومن هداه الله للإسلام، وشرح صدره للإيمان، وأتاه حسن سريرة فيه اعتقد أن محمداً ﷺ خيرَ الرسل، والإسلامَ خيرَ الملل، والعربَ خيرَ الأمم، والعربيةَ خيرَ اللغات والألسنة، والإقبالَ على تفهمها من الديانة؛ إذ هي أداة العلم، ومفتاح التفقه في الدين، وسبب إصلاح المعاش والمعاد».

أخي الكريم، إن عدم تعظيم الله في القلوب سيُسأل عنه كل فرد منا ؛ فلا بد من المحاسبة والمراجعة وتقويم النفس والنظر في علاقتنا بربنا جل وعلا .

تعظيم غيرالله سبحانه من فتوى رقم (٢٢٩٤) ، (الجزء رقم : ١، الصفحة رقم: ٢٢٨ - ٢٣٢)

س: ما حكم القيام للداخل وتقبيله ؟

ج: أولاً: بالنسبة للوقوف للداخل فقد أجاب عنه شيخ الإسلام ابن تيمية إجابة مفصلة مبنية على الأدلة الشرعية رأينا ذكرها لوفائها بالمقصود، قال رحمه الله تعالى: (لم تكن عادة السلف على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام، كما يفعله كثير من الناس، بل قال أنس بن مالك: (لم يكن شخص أحب إليهم من النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا إذا رأوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك، ولكن ربما قاموا للقادم من مغيبه تلقيًا له) كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قام لعكرمة . وقال للأنصار لما قدم سعد بن معاذ : قوموا إلى سيدكم، وكان قد قدم ليحكم في بني قريظة ؛ لأنهم نزلوا على حكمه والذي ينبغي للناس أن يعتادوا اتباع السلف على ما كانوا عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنهم خير القرون، وخير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يعدل أحد عن هدي خير الورى وهدي خير القرون إلى ما هو دونه. وينبغي للمطاع أن لا يقر ذلك مع أصحابه بحيث إذا رأوه لم يقوموا له إلاَّ في اللقاء المعتاد.

وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقيًا له فحسن، وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام، ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يقام له؛ لأن ذلك أصلح لذات البين وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة فليس في ترك ذلك إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله صلى الله عليه وسلم: (من سره أن يتمثل له الرجال قيامًا فليتبوأ مقعده من النار)، فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء، ولهذا فرقوا بين أن يقال: قمت إليه وقمت له، والقائم للقادم ساواه في القيام بخلاف القائم للقاعد. وقد ثبت في (صحيح مسلم) أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلَّى بهم قاعدًا من مرضه وصلوا قيامًا أمرهم بالقعود وقال: لا تعظموني كما يعظم

الأعاجم بعضها بعضًا، وقد نهاهم عن القيام في الصلاة وهو قاعد لئلا يتشبه بالأعاجم الذين يقومون لعظمائهم وهم قعود. وجماع ذلك كله الذي يصلح، اتباع عادات السلف وأخلاقهم والاجتهاد عليه بحسب الإمكان، فمن لم يعتقد ذلك ولم يعرف أنه العادة وكان في ترك معاملته بما اعتاد من الناس من الاحترام مفسدة راجحة فإنه يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما، كما يجب فعل أعظم الصلاحين بتفويت أدناهما) انتهى كلام شيخ الإسلام ومما يزيد ما ذكره إيضاحًا ما ثبت في الصحيحين في قصة كعب بن مالك لما تاب الله عليه وعلى صاحبيه رضي الله عنهم جميعًا، وفيه أن كعبًا لما دخل المسجد قام إليه طلحة بن عبيد الله يهرول فسلم عليه وهنأه بالتوبة، ولم ينكر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فدل ذلك على جواز القيام لمقابلة الداخل ومصافحته والسلام عليه ومن ذلك ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا دخل على ابنته فاطمة قامت إليه وأخذت بيده وأجلسته مكانها وإذا دخلت عليه قام إليها وأخذ بيدها وأجلسها مكانه حسَّنه الترمذي.

ثانيًا: وأما التقبيل فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على مشروعيته، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم في بيتي فأتاه فقرع الباب فقام إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عريانًا يجر ثوبه، والله ما رأيته عريانًا قبله ولا بعده فاعتنقه وقبله رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، ومعنى عريانًا: أي ليس عليه سوى الإزار، فهذا الحديث يدل على مشروعية فعل ذلك مع القادم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّل النبي صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي، فقال الأقرع بن حابس: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من لا يرحم لا يُرحم متفق عليه، فهذا الحديث يدل على مشروعية التقبيل إذا كان من باب الشفقة والرحمة. وأما التقبيل عند اللقاء العادي فقد جاء ما يدل على عدم مشروعيته، بل يكتفي بالمصافحة، فعن قتادة رضي الله عنه قال: قلت لأنس: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم رواه البخاري. وعن أنس رضي الله عنه قال: لما جاء أهل اليمن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

قد جاء أهل اليمن، وهم أول من جاء بالمصافحة [رواه أبو داود بإسناد صحيح].

وعن البراء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلاَّ غفر لهما قبل أن يفترقا رواه أبو داود، ورواه أحمد والترمذي وصححه. وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله، الرجل منا يلقى أخاه وصديقه أينحني له؟ قال: لا، قال: أفيلتزمه ويقبله؟ قال: لا، قال: فيأخذ بيده فيصافحه؟ قال: نعم رواه الترمذي، وقال: حديث حسن، كذا قال، وإسناده ضعيف؛ لأن فيه حنظلة السدوسي وهو ضعيف عند أهل العلم، لكن لعل الترمذي حسَّنه لوجود ما يشهد له في الأحاديث الأخرى. وروى أحمد، والنسائي، والترمذي وغيرهم بأسانيد صحيحة، وصححه الترمذي عن صفوان بن عسال أن يهوديين سألا النبي صلى الله عليه وسلم عن تسع آيات بينات، فلما أجابهما عن سؤالهما قَبَّلا يديه ورجليه، وقالا: نشهد أنك نبي الحديث. وروى الطبراني بسند جيد عن أنس رضي الله عنه قال: كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا تلاقوا تصافحوا وإذا قدموا من سفر تعانقوا، ذكره العلامة ابن مفلح في [الآداب الشرعية] وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم. [مجموع فتاوى اللجنة الدائمة بالسعودية - المجلد الخامس (العقيدة)].

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(١/٢٢٨-٢٣)، عبد الله بن غديان، عبد العزيز بن عبد الله بن باز

السؤال الثاني من الفتوى رقم (٧١١٣):

س ٢: هل من الإسلام إذا سلم أحد على أخيه أن ينحني له تعظيما، أو يخلع نعليه وينحني له تعظيما؛ لأن هذا كله من عادة آبائنا، ولذلك أرجو منكم بيانا شافيا من فضلكم؟

ج ٢: لا يجوز الانحناء عند السلام ولا خلع النعلين له.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الرئيس: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي، عضو: عبد الله بن غديان، عضو: عبد الله بن قعود(١/٢٣٣).

السؤال الثالث من الفتوى رقم (٥٣١٣)

س ٣: انخرطنا في نادي من نوادي الكاراتيه بأمريكا، وقال المدرب: إنه يجب أن تنحني عندما ينحني لك هو، فرفضنا وشرحنا له ذلك في ديننا فوافق ولكن قال: على أن نحني فقط الرأس؛ لأنه هو يبدؤك بالانحناء فلا بد أن ترد تحيته فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

ج ٣: لا يجوز الانحناء تحية للمسلم ولا للكافر لا بالجزء الأعلى من البدن ولا بالرأس؛ لأن الانحناء تحية عبادة، والعبادة لا تكون إلا للّه وحده.

وباللّه التوفيق، وصلى اللّه على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، عضو: عبد اللّه بن قعود، عضو: عبد اللّه بن غديان، نائب رئيس اللجنة: عبد الرزاق عفيفي، الرئيس: عبد العزيز بن عبد اللّه بن باز.

فتاوى اللجنة: الجزء الأول ص ٢٣٣

لقد جاء في الفتوى الصادرة من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم ٢١٢٣ ج١/٢٣٥

برئاسة سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه اللّه: (لا يجوز للمسلم القيام إعظاماً لأي عَلَمٍ وطنيٍّ، أو سلامٍ وطنيٍّ، بل هو من البدع الْمُنكرة التي لَم تكن في عهد رسول اللّه صلَّى اللّه عليه وسلَّم، ولا في عهد خلفائه الراشدين رضي اللّه عنهم، وهي مُنافيةٌ لكمال التوحيد الواجب وإخلاص التعظيم للّه وحده، وذريعةٌ إلى الشرك، وفيها مشابهةٌ للكفار وتقليدٌ لهم في عاداتهم القبيحة، ومجاراة لهم في غُلُوِّهم في رؤسائهم ومراسيمهم، وقد نهى النبيُّ صلَّى اللّه عليه وسلَّم عن مشابهتهم أو التشبُّه بهم) انتهى

وجاء في الجواب على السؤال الثالث من الفتوى رقم ٥٩٦٣ ج١/٢٣٦ برئاسة سماحته أيضاً: (لا تجوز تحيَّة العَلَم، بل هي بدعة مُحدثة، وقد قال النبيُّ صلى اللّه عليه وسلم: (مَنْ أحدثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منه فهو رَدٌّ) انتهى.

السؤال: ما حكم الإسلام في وقوف الطلبة لمدرسيهم أثناء دخولهم الفصول، هل هو جائز أم لا؟ وهل وقوف الناس بعضهم لبعض في المجالس حين التحية والمصافحة منهي عنه؟

الإجابة: خير الهدي هدي محمد صلى اللّه عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وخير

القرون القرن الذي فيه الرسـول صلى الله عليه وسلم والقرون المفضلة بعده، كما ثبت ذلك عنه، وكان هديه صلى الله عليه وسـلم مع أصحابه في هذا المقام أنه إذا جاء إليهم لا يقومون له؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك، فلا ينبغي لهذا المدرس أن يأمر طلبته بأن يقوموا له، ولا ينبغي لهم أن يمتثلوا إذا أمرهم، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- **مسائل في التفكر**

التأمل والتفكر عبادة قلبية يغفل عنها كثير من الناس .. يتأمل المؤمن عظيم خلق الله .. فيمتلئ قلبه إعظامًا وإجلالاً لربه، ويستغرق لسانه في ذكره، وتنبعث جوارحه إلى طاعتـه بينما يمر أهل الضلال والغفلة على آيات ربهم وهـم معرضون. ﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [يوسف:١٠٥] .

والأمثلة في التفكر في مخلوقات الله كثيرة وإليك هذا المثال البسيط: إذا رفعت رأسك فرأيت الشمس والقمر والنجوم فاستحضر هذه المعاني الثلاثة التي أخبر الله عنها في القرآن:

١ – أن هذه المخلوقات آية من آيات الله ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [فصلت:٣٧].

٢ – أن هذه المخلوقات مسخرة مذللة، يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الأعراف:٣٦]، ويقول سبحانه: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [الجاثية:١٣] .

٣ – والعجيب أنها تسجد لربها وتسبح بحمده ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾ ﴾ [الحج:١٨] .

مسألة خطيرة

- هل يجوز التفكر في ذات الله عز وجل ؟ الجواب : قد أمر الله سبحانه بالتفكر والتدبر في كتابه العزيز، وأثنى على المتفكرين بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩١] . ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَـٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الرعد: ٣] .

وعن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله عز وجل) [حسنه الألباني في الصحيحة ٤ / ١٧٨٨ لشواهده] وعن ابن عباس: (تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في ذات الله) [فتح الباري لابن حجر-الصفحة أو الرقم: ١٣/ ٣٩٤ موقوف وسنده جيد] (تفكروا في خلق الله، ولا تفكروا في الله) [كشف الخفاء - الصفحة أو الرقم: ١/ ٣٧١ أسانيده ضعيفة لكن اجتماعها يكسبه قوة ومعناه صحيح]. فالتفكر في ذاته سبحانه ممنوع منه، وذلك أن العقول تتحير في ذلك، فإنه أعظم من أن تمثله العقول بالتفكر، أو تتوهمه القلوب بالتصوير: ﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَـٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] . هناك تفكر مذموم يسخطه الله وينهى عنه وهو التفكير في المجالات التي لم يعط الإنسان القدرة على التفكير فيها وإدراكها كالتفكير في ذات الله كما قال صلى الله عليه وسلم "تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله" حسنه الألباني وقال "يأتي الشيطان أحدكم فيقول :من خلق كذا ومن خلق كذا؟ حتى يقول :من خلق ربك ؟ فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته" متفق عليه وليقل: الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . وقد منع الإنسان من التفكر في ذات الله تعالى لأن ذاته سبحانه أعظم وأجل من أن يدخل فيها التفكير، لأن التفكير والتقدير يكون في الأمثال والمقاييس وفي الأمور المتشابهة وهي المخلوقات .أما الخالق جل جلاله فليس له شبيه ولا نظير قال تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١]، فهو سبحانه ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] .

- مسألة حكم من وسوس له الشيطان بقوله: من خلق الله ؟ وما العلاج لهذه الوسوسة ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(لا يزال الناس يتساءلون حتى يقولون: هذا الله خلق كل شيء، فمن خلق الله ؟ قال: فإذا وجد أحدكم ذلك، فليقل: آمنا بالله) [رواه مسلم] قال الحافظ رحمه الله: (فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته) أي: عن الاسترسال معه في ذلك، بل يلجأ إلى الله في دفعه، ويعلم أنه يريد إفساد دينه وعقله بهذه الوسوسة، فينبغي أن يجتهد في دفعها بالاشتغال بغيرها. ويقول صلى الله عليه وسلم (إِنَّ أَحَدَكُمْ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فَيَقُولُ مَنْ خَلَقَكَ فَيَقُولُ اللَّهُ فَيَقُولُ فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ فَإِذَا وَجَدَ ذَلِكَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقْرَأْ آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُذْهِبُ عَنْهُ) [رواه أحمد] ويقول صلى الله عليه وسلم: (يوشك الناس يتساءلون بينهم، حتى يقول قائلهم: هذا الله خلق الخلق، فمن خلق الله عز وجل ؟ فإذا قالوا ذلك، فقولوا: [الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد]، ثم ليتفل أحدكم عن يساره ثلاثا، وليستعذ من الشيطان). لقد دلت هذه الأحاديث الصحيحة على أنه يجب على من وسوس إليه الشيطان بقوله: من خلق الله ؟ أن ينصرف عن مجادلته إلى إجابته بما جاء في الأحاديث المذكورة، وخلاصتها أن يقول: (آمَنْتُ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ، الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد، ثم يتفل عن يساره ثلاثا، ويستعيذ بالله من الشيطان، ثم ينتهي عن الانسياق مع الوسوسة).أهـ

ويتلخص العلاج فيما يأتي

١-الاستعاذة بالله والانتهاء بالكلية عن هذه التقديرات كما أمر بذلك النبي ﷺ .

٢- ذكر الله تعالى وضبط النفس عن الاستمرار في هذه الوساوس .

٣- الانهماك الجدي في العبادة والعمل امتثالاً لأمر الله، وابتغاء لمرضاته، فمتى التفت إلى العبادة التفاتاً كلياً بجدٍّ وواقعية نسيت الاشتغال بهذه الوساوس إن شاء الله.

٤- كثرة اللجوء إلى الله والدعاء بمعافاتك من هذا الأمر .

وأسال الله تعالى لك العافية والسلامة من كل سوء ومكروه .

[مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ج ١/ ص ٥٧ - ٦]

أمة الإسلام .. [التوحيد التوحيد]

أخي على درب الحق: ما ذكرناه آنفاً بعض عظمته سبحانه مما تتحمله العقول، وإلا فعظمة اللّه وجلاله أجل من أن يحيط بها عقل .

هل عظم اللّه من جعل في رتبته مخلوقا لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً ؟ فأي تعظيم للّه تعالى ممن جعل في رتبته أمواتاً أنبياء كانوا أو أولياء ! أي تعظيم للّه تعالى ممن جعل في رتبته ملائكة أو جنا أو غيرهم،

فمن هذا بعض عظمته كيف يجعل في رتبته مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً ؟

فأي تعظيم للّه تعالى ممن جعل في رتبته أمواتاً أنبياء كانوا أو أولياء !

أي تعظيم للّه تعالى ممن جعل في رتبته ملائكة أو جن أو غيرهم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [غافر:٦٥]. ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزمر:٦٧] .

اللّه: الإله الحق المستحق للعبادة وكل معبود سواه باطل . فلا نعبد إلا اللّه . ولا نخاف ولا نرجو إلا اللّه . فاللّه سبحانه وتعالى منه الخوف وله الرجاء . وعليه التوكل وبه الثقة . فلا صلاة ولا صيام ولا حج ولا ذبح ولا نذر ولا دعاء ولا استغاثة ولا استعانة ولا استكانة إلا للّه . ومن يصرف أي نوع من أنواع العبادة لغير اللّه تعالى فهو مشرك باللّه . اتخذه وكيلا أفرده بالعبادة، أفرده بالتوحيد، أفرده بالتوكل، أفرده بالاستعانة، فلا إله غيره ولا رب سواه، والأمر كله بيد اللّه وحده، والعجب كل العجب ترى القارئ يقرأ: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ﴿١٨﴾ ﴾ [الجن:١٨] والناس حول ضريح الولي المدفون في ناحية المسجد يدعون بأعلى أصواتهم: يا سيدي مدد! ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ [محمد:٢٤].

ولا أعظم ذنبًا ولا أكبر جرمًا ممن جعل للّه ندًّا وضدّا، فعن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال: قلت: يا رسول اللّه، أيّ الذنب أعظم؟ قال: (أن تجعل للّه ندًّا وهو خلقك) [متفق عليه] .

فويلٌ للذين يعبدون الحجارةَ الموات والأضرحة والأموات، يذبحون لها القرابين، ويجتمعون حولها طائفين وساجدين، معتقِدين أنها تنفَع من دعاها وترفع من لاذَ بحِماها، يتّخذون أهلَها شفعاءَ ووسطاء، وينزلونهم منزلة الخالق في إجابة الدعاء وسماع النّداء، ويروِّجون كذبًا وزورا حديثًا موضوعا: (إذا أعيتكم الأمور فعليكم بأصحاب القبور). وهو كذبٌ على اللّه وكذبٌ على نبيِّنا محمّدٍ رسول الله صلى اللّه عليه وسلم .

فيا سبحان اللّه ! كيف أوجبوا لها الشِّركة في العبادة وهي لا تملك نفعًا ولا ضرًا، ولا تجلب خيرًا ولا تدفع شرًا؟!

﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ١٤ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤]

ما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا يكون بحضرة الحق، وملائكة السماء سجود له، تترامى به الأحوال والجهالات بالمبدأ والمآل، إلى أن يوجد ساجداً لصورة في حجر، أو لشمس أو لقمر، أو لشجرة من الشجر، ما أوحش زوال النعم، وتغيّر الأحوال، والحور بعد الكور. أين هؤلاء عن التوحيد الذي خلقوا له ؟!

قال الحافظ بن حجر رحمه اللّه تعالى: إذا استقام القلبُ على التوحيد، استقامت الجوارحُ كلُّها على طاعة العزيز الحميد .

ما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج اللّه كربه بالتوحيد .

فائدة عقدية مهمة بعنوان : عقيدة كل مسلم

(سؤال وجواب مع الدليل من القرآن والسنة الصحيحة) :

١- لماذا خلقنا اللّه تعالى ؟ خلقنا لنعبده ولا نشرك به شيئا قال عز وجل: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات:٥٦] وقال ﷺ: (حق اللّه على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا) [متفق عليه].

٢- كيف نعبد اللّه تعالى؟ كما أمرنا اللّه ورسوله مع الإخلاص قال عز وجل: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ [البينة:٥]، وقال ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) أي: مردود [رواه مسلم] .

٣- هل نعبد اللّه خوفا وطمعا؟نعم نعبده خوفا وطمعا قال عز وجل: ﴿ وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف:٥٦] (أي : خوفا من ناره وطمعا في جنته) وقال ﷺ : (أسأل اللّه الجنة وأعوذ به من النار) [رواه أبو داود] .

٤- ما هو الإحسان في العبادة ؟ مراقبة اللّه وحده الذي يرانا قال عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء:١]، ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٨] وقال صلى اللّه عليه وسلم: (الإحسان أن تعبد اللّه كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [رواه مسلم].

٥- لماذا أرسل اللّه الرسل ؟ للدعوة إلى عبادته ونفي الشرك عنه قال عز وجل: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [النحل:٣٦] وقال ﷺ: (الأنبياء إخوة من علات وأمهاتهم شتى ودينهم واحد) (أي كل الرسل دعوا إلى التوحيد) [رواه مسلم] .

٦- ما هو توحيد الإله ؟ إفراده بالعبادة كالدعاء والنذر والحكم قال عز وجل: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد:١٩]، وقال ﷺ : (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا اللّه) [متفق عليه] .

٧- ما معنى لا إله إلا اللّه ؟ لا معبود بحق إلا اللّه قال عز وجل : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ ﴾ [لقمان: ٣٠]. وقال ﷺ: (من قال لا إله إلا اللّه وكفر بما يعبد من دون اللّه حرم ماله ودمه) [مسلم] .

٨- ما معنى التوحيد في صفات اللّه ؟ إثبات ما وصف اللّه به نفسه أو رسوله صلى اللّه عليه وسلم قال عز وجل : ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى: ١١] وقال ﷺ : (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا) (نزولاً يليق بجلاله) [رواه مسلم].

٩- ما هي فائدة التوحيد للمسلم ؟ الهداية في الدنيا والأمن في الآخرة قال عز وجل: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وقال ﷺ : (حق العباد على اللّه أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) متفق عليه .

١٠- أين اللّه ؟ اللّه على السماء فوق العرش قال عز وجل : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ [طه:٥] (أي : علا وارتفع ، كما جاء في البخاري) وقال ﷺ (إن اللّه كتب كتابا إن رحمتي سبقت غضبي فهو مكتوب عنده فوق العرش) [البخاري] .

١١- هل اللّه معنا بذاته أم بعلمه ؟ اللّه معنا بعلمه يسمعنا ويرانا قال عز وجل ﴿ قَالَ لَا تَخَافَآۖ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ ﴾ [طه: ٤٦] (أي: بحفظي ونصري وتأييدي) وقال ﷺ : (إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم) (أي: بعلمه يسمعكم ويراكم) [متفق عليه].

١٢- ما هو أعظم الذنوب ؟ أعظم الذنوب الشرك باللّه قال عز وجل : ﴿ وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴿١٣﴾ ﴾ [لقمان: ١٣]، و(سئل أي الذنب أعظم عند اللّه ؟ قال : أن تجعل للّه ندا وهو خلقك) [رواه مسلم].

١٣- ما هو الشرك الأكبر؟ هو صرف العبادة لغير اللّه كالدعاء قال عز وجل : ﴿ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ﴿٢﴾ ﴾ [الجن: ٢]، وقال ﷺ : (أكبر الكبائر الإشراك باللّه) [رواه البخاري] .

١٤- ما هو ضرر الشرك الأكبر؟ الشرك الأكبر يسبب الخلود في النار قال عز وجل: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [المائدة: ٧٢] وقال ﷺ: (من مات يشرك بالله شيئا دخل النار) [رواه مسلم].

١٥- هل ينفع العمل مع الشرك؟ لا ينفع العمل مع الشرك قال عز وجل ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٨]، (من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) [حديث قدسي رواه مسلم].

١٦- هل الشرك موجود في المسلمين؟ نعم: موجود بكثرة مع الأسف قال عز وجل: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [يوسف: ١٠٦] وقال ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين وحتى يعبدوا الأوثان) [صحيح رواه الترمذي].

١٧- ما حكم دعاء غير الله كالأولياء؟ دعاؤهم شرك يدخل النار قال عز وجل: ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ ﴾ [الشعراء: ٢١٣] (أي: في النار) وقال ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار) [رواه البخاري].

١٨- هل الدعاء عبادة لله تعالى؟ نعم: الدعاء عبادة لله تعالى قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ﴾ [غافر: ٦]. وقال ﷺ: (الدعاء هو العبادة) [رواه الترمذي].

١٩- هل يسمع الأموات الدعاء؟ الأموات لا يسمعون الدعاء قال عز وجل ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [النمل: ٨]، ﴿ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [فاطر: ٢٢]، وقال ﷺ: (إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام) [رواه النسائي].

٢٠- هل نستغيث بالأموات والغائبين؟ لا نستغيث بهم بل نستغيث بالله قال عز وجل: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [الأنفال: ٩]، (كان إذا أصابه هم أو غم قال: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث).

٢١- هل يجوز الاستعانة بغير الله ؟ لا تجوز الاستعانة إلا بالله قال عز وجل ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ﴾ [الفاتحة:٥]، وقال ﷺ : (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله) [رواه الترمذي] .

٢٢- هل نستعين بالأحياء الحاضرين ؟ نعم: فيما يقدرون عليه قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ ﴾ [المائدة:٢]، وقال ﷺ: (والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه) [رواه مسلم] .

٢٣- هل يجوز النذر لغير الله ؟ لا يجوز النذر إلا لله قال عز وجل : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [آل عمران:٣٥]، وقال ﷺ: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه) [رواه البخاري].

٢٤- هل يجوز الذبح لغير الله ؟ لا يجوز لأنه من الشرك الأكبر قال عز وجل : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ ﴾ [الكوثر:٢] (أي : الذبح لله فقط وقال ﷺ : (لعن الله من ذبح لغير الله) [رواه مسلم] .

٢٥- هل يجوز الطواف بالقبور؟ لا يجوز الطواف إلا بالكعبة قال عز وجل : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الحج:٢٩] (أي: الكعبة) وقال ﷺ: (من طاف بالبيت العتيق سبعا وصلى ركعتين كان كعتق رقبة) [رواه ابن ماجه] .

٢٦- هل تجوز الصلاة والقبر أمامك؟ لا تجوز الصلاة إلى القبر قال عز وجل : ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [البقرة:١٤٤]، وقال ﷺ : (لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها) [رواه مسلم] .

٢٧- ما حكم العمل بالسحر ؟ العمل بالسحر كفر قال عز وجل : ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢ ﴾ [البقرة:١٠٢]، وقال ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات : الشرك بالله والسحر) [رواه مسلم].

٢٨- هل نصدق العراف والكاهن ؟ لا نصدقهما في إخبارهم عن الغيب قال عز وجل ﴿ قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٦٥ ﴾ [النمل:٦٥] وقال ﷺ : (من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد) [رواه أحمد].

٢٩- هل يعلم الغيب أحد ؟ لا يعلم الغيب أحد إلا الله، قال تعالى : ﴿ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٥٩ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

٣٠- بما ذا يجب أن يحكم المسلمون ؟ يجب أن يحكموا بالقرآن والسنة قال عز وجل : ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩ ﴾ [المائدة:٤٩]، وقال ﷺ : (الله هو الحكم وإليه الحكم) [رواه أبو داود].

٣١ - ما حكم القوانين المخالفة للإسلام ؟ العمل بها كفر أكبر إذا أجازها قال عز وجل : ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤ ﴾ [المائدة:٤٤]، وقال ﷺ : (وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) [رواه ابن ماجه] .

٣٢- هل يجوز الحلف بغير الله ؟ لا يجوز الحلف إلا بالله قال عز وجل : ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾ ﴾ [التغابن:٧] وقال ﷺ : (من حلف بغير الله فقد أشرك) [رواه أحمد] .

٣٣- هل يجوز تعليق الخرز والتمائم ؟ لا يجوز تعليقهما لأنه من الشرك قال عز وجل: ﴿ وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يَمۡسَسۡكَ بِخَيۡرٖ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأنعام:١٧]، وقال ﷺ : (من علق تميمة فقد أشرك) (التميمة : ما يعلق من العين والآفة) [رواه أحمد] .

٣٤- بما ذا نتوسل إلى الله تعالى ؟نتوسل بأسمائه وصفاته والعمل الصالح قال عز وجل: ﴿ قَالَ ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأعراف:١٨]. وقال ﷺ : (أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك) [رواه أحمد].

٣٥- هل يحتاج الدعاء لواسطة مخلوق ؟ لا يحتاج الدعاء لواسطة مخلوق قال عز وجل ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [البقرة:١٨٦]، وقال ﷺ :(إنكم تدعون سميعا قريبا وهو معكم) (أي: بعلمه يسمعكم ويراكم) [متفق عليه] .

٣٦- ما هي واسطة الرسول ﷺ ؟ واسطة الرسول ﷺ هي التبليغ قال عز وجل: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الأعراف:٦٧]، وقال ﷺ: (اللّهم اشهد) (جوابا لقول الصحابة : أي نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت) [رواه مسلم] .

٣٧- ممن نطلب شفاعة الرسول ﷺ ؟ نطلب شفاعة الرسول ﷺ من الله قال عز وجل : ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الزمر:٤٤] (اللّهم شفعه في) (أي : شفع الرسول ﷺ في) [رواه الترمذي].

٣٨- كيف نحب الله ورسوله ﷺ ؟ المحبة تكون بالطاعة واتباع الأوامر، قال عز وجل: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران:٣١]، وقال ﷺ :(لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) [رواه البخاري] .

٣٩- هل نبالغ في مدح الرسول ﷺ ؟ لا نبالغ في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم قال عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله ﷺ) [رواه البخاري].

٤٠- من هو أول المخلوقات ؟ من البشر آدم ومن الأشياء القلم بعد العرش والماء قال عز وجل ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ ﴾ [ص: ٧١]، وقال ﷺ: (إن أول ما خلق الله القلم) رواه أبو داود.

٤١- من أي شيء خلق محمد ؟ خلق الله محمدا من نطفة قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [غافر: ٦٧]، وقال ﷺ :(إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة) [متفق عليه].

٤٢- ما حكم الجهاد في سبيل الله ؟ الجهاد واجب بالمال والنفس واللسان قال عز وجل ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ [التوبة: ٤١]، وقال ﷺ :(جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) [رواه أبو داود] .

٤٣- ما هو الولاء للمؤمنين ؟ هو الحب والنصرة للمؤمنين الموحدين قال عز وجل: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]، وقال ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا) [رواه مسلم] .

٤٤- هل تجوز موالاة الكفار ونصرتهم؟ لا تجوز موالاة الكفار ونصرتهم قال عزوجل ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال ﷺ: (إن آل بني فلان ليسوا لي بأولياء) لأنهم من الكفار [متفق عليه].

٤٥- من هو الولي ؟ الولي هو المؤمن التقي قال عزوجل : ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، وقال ﷺ: (إنما وليي الله وصالح المؤمنين) [متفق عليه] .

٤٦- لماذا أنزل الله القرآن ؟ أنزل الله القرآن للعمل به قال عزوجل : ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [الأعراف: ٣]، وقال ﷺ : (اقرؤوا القرآن واعملوا به ولا تجفوا عنه ولا تغلوا فيه ولا تأكلوا به ولا تستكثروا به) [رواه أحمد].

٤٧- هل نستغني بالقرآن عن الحديث ؟ لا نستغني بالقرآن عن الحديث قال عزوجل : ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال ﷺ :(ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه) [رواه أحمد] .

٤٨- هل نقدم قولا على قول الله ورسوله ﷺ ؟ لا نقدم قولا على قول الله ورسوله ﷺ قال عزوجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ﴾ [الحجرات: ١]، وقال ﷺ : (لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف) [رواه أبو داود] .

٤٩- ماذا نفعل إذا اختلفنا ؟ نعود إلى الكتاب والسنة الصحيحة قال عزوجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال ﷺ : (تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ) .

٥٠- ما هي البدعة ؟ كل ما لم يقم عليه دليل شرعي قال عزوجل : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال ﷺ :(من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (أي : غير مقبول) [متفق عليه] .

٥١- هل في الدين بدعة حسنة ؟ ليس في الدين بدعة حسنة قال عزوجل : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ [المائدة:٣]، وقال ﷺ :(إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة) [رواه أبو داود] .

٥٢- هل في الإسلام سنة حسنة ؟ نعم كالبادئ بفعل خير ليقتدى به قال عز وجل : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤]، وقال ﷺ : (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده) [رواه مسلم] .

٥٣- هل يكتفي الإنسان بإصلاح نفسه ؟ لا بد من إصلاح نفسه وأهله قال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [التحريم:٦]، وقال ﷺ: (إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه) [رواه الترمذي] .

٥٤- متى ينتصر المسلمون ؟إذا عملوا بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ ، قال عز وجل : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد:٧]، وقال ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي منصورين) [رواه ابن ماجه] .

فانتبه : وجرد التوحيد لرب العالمين تعلّماً واعتقاداً وعملاً .

وخلاصة القول: أنَّ التوحيد مُنْطَلَقُ الدعوة إلى الله وغايتها، فلا دعوة إلى الله بدونه، مهما تَسَمَّت باسمٍ من أسماءِ الإسلامِ، وانتسبت إليه، وذلك أنَّ الرُّسُلَ جميعاً – وعلى رأسهم سيِّدهم وخاتمهم محمد – كانت دعوتهم إلى توحيد الله بدءاً وغاية ونهاية، فكل رسولٍ قال لقومه أوَّل ما قال: (يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره) فهذه هي غاية المسلمِ، وهدفه السَّامي، الذي يسعى عُمُرَهُ باذلاً جُهدَهُ لإيجادها بين الناس، وتوطيدِها بين الخلائق. يَظن بعض النَّاس: أنَّ من نطق بالشَّهادتين فهو مسلم ولو ارتكب ما ارتكب مما يُناقضها مُستدلاً بِقولِ النبي: (أُمِرتُ أنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا مِنْي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إلا بِحَقِّهَا وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ) [البخاري ومسلم] .

فنقولُ لهم: ما هُوَ حَقُّ (لا إله إلاَّ اللَّه)، فهل رجعتم لِكُتب العقيدة والتوحيد قبل أن تصدروا ما يُخالف مفهومها ؟ .

اعلم بأنَّ مَن نطق بـ(لا إله إلا اللَّه) في اليوم سبعين ألفَ مرة، ولكنَّهُ يطلب المدد والعون والنُّصْرة والاستعانة والاستغاثة مِن غير اللَّه من شجر وبشر وحجر وجن وملائكة وغيرها، أو حرَّم ما أحلَّ اللَّه، أو أحلَّ ما حرَّم اللَّه، أو سجد أو طاف لغير اللَّه، لم يُعط (لا إله إلا اللَّه) حقَّها .

ومن نطق بلا إله إلا اللَّه في اليوم مائة مرة ثم قال : (القرآن ناقص أو لا يصلح لهذا الوقت) أو ترك الصَّلاة أو جحد شيئاً من فرائض الدين لم يعطِ لا إله إلا اللَّه حقَّها .

و من نطق بلا إله إلا اللَّه في اليوم ما شاء من المرات، وهو يُنكر القيامة، أو الجنة، أو النار أو العرش أو أباح الربا أو الزنا أو الخمر، أو صحح المذاهب الكفرية من يهودية ونصرانية ومجوسية وعلمانية وبعثيّة واشتراكية وحداثة وغيرها، لم يُعط لا إله إلا اللَّه حقَّها.

«وفي قول النبي ﷺ : (مَنْ قَالَ : لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَرُمَ : مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ) أعظم ما يبين معنى (لا إله إلا اللَّه) فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصما للدم والمال بل ولا معرفة معناها مع لفظها، بل ولا الإقرار بذلك، بل ولا كونه لا يدعو إلا اللَّه وحده لا شريك له، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يُضيف إلى ذلك : الكُفر بما يُعبد من دون اللَّه، فإن شك أو توقف، لم يحرم ماله ولا دمه . فيا لها من مسألة ما أعظمها وأجلها، ويا له من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للمنازع»

لا تظن أن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾ [الانفطار:١٣-١٤]. يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم في دورهم الثلاثة :الدنيا، والبرزخ، والآخرة، وأولئك في جحيم في دورهم الثلاثة ! وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب، وسلامة الصدر، ومعرفة الرب تعالى، ومحبته، والعمل على موافقته ؟! يا من أردت سعادة الدارين وأردت الجنة في الدنيا قبل الآخرة تذكر دائما وأبدا ما قاله بعض السلف: (مسكين من خرج من الدنيا ولم يذق أطيب ما فيها . فقيل له: وما أطيب ما فيها ؟ فقال : محبة اللَّه والأنس به والشوق إلى لقائه والتنعم بذكره وطاعته فواللَّه ما

طابت الدنيا إلا بمحبته وطاعته ولا الجنة إلا برؤيته ومشاهدته) قال بعض السلف: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك، ولا يجدونه إلا في طاعة الله (الشـوق إلى اللَّه ولقائه نسيم يهب على القلب يروح عنه وهج الدنيا).

فاللَّه أنس المؤمن وسلوة الطائع وحبيب العابد من أنس باللَّه أنس بالحياة وسعد بالوجـود وتلذذ بالأيام فقلبه مطمئن وفؤاده مسـتنيروصدره منشـرح نقشـت محبة اللَّه في قلبه وسكنت صفات اللَّه في ضميره ومثلت أسماء اللَّه أمام عينيه فيثيرذلك في نفســه حبا وأنســا بالباري وتعظيما للعظيم وقربا وتوقيرا للعليم، إن شعور المؤمن بمعية اللَّه وصحبتــه دائماً يجعله في أنسٍ دائمٍ بربه ونعيمٌ موصولٌ بقربه، يُحس أبداً بالنوريغمرُ قلبهُ ولو أنه في ظلمةِ الليل البهيم، ويشعرُ بالأنس يملأُ عليه حياته وإن كان في وحشة من الخلطاء والمعاشرين.

ليس هنالك شيء غيراللَّه عز وجل يسـكن القلب إليـه، ويطمئن بـه، ويأنس به، ويتنعـم بالتوجه إليه، ومن عبد غيره سـبحانه وحصل له به نـوع منفعة ولذة، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته، وهو بمنزلة أكل الطعام المسموم اللذيذ.

كان الرسول ﷺ يفرح بالمطر ويتلقاه بثوبه ولما يسأل عن ذلك يقول: «إنه حديث عهد بربه» عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: (أصابنا ونحن مع رسول اللَّه ﷺ مطر فحسر رسول اللَّه ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر فقلنا يا رسول اللَّه لم صنعت هذا قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى) [صحيح مسلم رقم(٨٩٨) ٢ / ٦١٥)].

يامن يذكرني بـعهد أحبـــــتي	طاب الحديث بذكرهم ويطيـب
أعد الحديث علي من أطرافـــه	إن الحديث عن الحبيب حبيـب

قـال ابـن تيمية رحمـه اللَّه: «القلب لا يصلـح، ولا يفلح، ولا يسـر ولا يطيب، ولا يطمئن ولا يسـكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه، ولو حصل له كل ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن ولم يسكن؛ إذ فيه فقر ذاتي إلى ربه من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه» [الفتاوى ١. / ١٩٣ - ١٩٤].

فكل من أعرض عن عبودية اللَّه وطاعته ومحبته، بُلي بعبودية المخلوق ومحبته.

قال ابن القيم: «المؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشاً، وأنعمهم بالاً، وأشرحهم صدراً، وأسرهم قلباً، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة» أهـ

وقال رحمه الله : «القلب إذا امتلأ بشيء لم يبق فيه متسع لغيره». فاملأه بحب الله.

قال يحيى بن أبي كثير: (نظرنا فلم نجد شيئاً يتلذذ به المتلذذون أفضل من حب الله تعالى وطلب مرضاته) فكأن لسان الحال يقول:.

كل محبوب سوى الله سـرف	وهموم وغموم وأسـف
كل محبوب فمنه خلـف	ما خلا الرحمن ما منه خلـف

يقول ابن القيم : «من أعظم الظلم والجهل أن تطلب التوقير والتعظيم لك من الناس وقلبك خال من تعظيم الله وتوقيره . ما لم توقر الله سقطت من عين الله ؛ فلا يجعل الله لك في قلوب الناس وقاراً ولا هيبة، بل يُسقط وقارك وهيبتك من قلوبهم . وإن وقروك مخافة شرك، فذاك وقار بغض لا وقار حب وتعظيم».

من أعظم العطايا وأجزل الهبات أن يمن الله عليك بمحبة الناس ولاسبيل لذلك إلا بالإيمان والعمل الصالح.

أحد الشباب كان يعاني من تعلقه ببعض الفواحش، وكان يجد شدة في تركها، حتى أذن الله بذهاب حبها من قلبه بسبب تدبره لقوله تعالى - عن يوسف عليه السلام - ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤] فرجع لنفسه وقال : لو كنت مخلصاً لأنجاني ربي كما أنجى يوسف عليه السلام، ولم يمض وقت طويل حتى صار هذا الشاب أحد الدعاة إلى الله .

من أعظم أسباب العشق إعراض القلب عن الله والإنسان لا يترك محبوبا إلا بمحبوب آخر يكون أحب إليه منه، أو خوفا من مكروه؛ والقلب إذا ذاق طعم عبادة الله، والإخلاص له لم يكن عنده شيء قط أحلى من ذلك، ولا ألذ، ولا أمتع، ولا أطيب، فتدبر ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤]. فكن عبد الله مع الله معظما لله ولا تبالي .

- **الفريضة الضائعة**

صلاة الفجر في المسجد هي مقياس حبك للّه عز وجل وتعظيمك إياه، الفجر امتحان، بل أول امتحان يخوضه كل منا صبيحة كل يوم، لينجح فيه من وثب من فراشه صافًّا قدميه بين المصلين، ويرجع بالخيبة والخسران من اختطفه الفراش الدافئ والنعاس اللذيذ، وما أقبح يوم بدأ بعصيان اللّه ومخالفة أمره.

انتبه: لا تتخلف عن صلاة الفجر فعلامة محبتك للّه وتعظيمك له هو شهودك الفجر في المسجد. إخواني هل نتكلم عن تارك الصلاة الذي هو كافر مرتد خالد مخلد في نار جهنم أو نتكلم عمن يخرجها عن وقتها الذي صلاته باطلة وإن صلاها ملايين المرات أو عمن يتخلف عن صلاة الفجر الذي هو منافق .إن كثيراً من الناس اليوم يصلون ولكن صلاتهم للعصر مع غروب الشمس وصلاتهم للفجر مع طلوع الشمس !! فأين الإسلام ؟! وأين الإيمان ؟! أين تلفظهم بلا إله إلا اللّه ؟! إن القلب ليتفطر ألماً وحزناً حين تدعو أحدهم إلى المحافظة على صلاة الجماعة في المسجد وتؤكد على صلاة الفجر مع الجماعة فيجيب : إنني أصلى الفجر قبل طلوع الشمس ! أهذا عمل نقابل به اللّه تعالى يوم القيامة يوم أن يسألنا عن الصغير والكبير والحقير والعظيم ؟ سبحان اللّه سبحان اللّه ! مسلم يعجز عن خمس فرائض في المسجد أو يزعم أن محبة اللّه وتعظيم اللّه هي غايته ثم ينام عن الصلاة أو من يضع الساعة المنبهة على وقت الدوام أما صلاة الفجر فلا يلقي لها بالا ولا شأنا ولا اهتماما فأي دين وأي عبودية وأي إسلام عنده سبحان اللّه إني واللّه لأعجب ممن هذه حاله كيف يكون مآله ؟ فأين العبادة التي خلق من أجلها كيف يطلب الجنة وقد ضيع عمود الدين وعنوانه مثل هذا يذوب القلب من كمد إن كان في القلب إسلام وإيمان .

حافظ على صلواتك الخمس ... كم مصبح تراه لا يمسي

واستقبل اليوم الجديد بتوبة ... عل أن تمحو ما كان بالأمس

احذر السهر وعليك بالتبكير في النوم : على المسلم أن ينام مبكراً، ليستيقظ نشيطاً لصلاة الفجر، وأن يحذر السهر الذي يكون سبباً في تثاقله عن صلاة الفجر مع الجماعة.

إخواني إن النوم في أول الليل فيه خيرات وبركات، وإن راحة الجسد وحصول السعد متحقق لمن نام في أول الليل وأخلد، مقتديًا بالنبي محمد ﷺ، هكذا كان ليله بأبي هو وأمي صلوات الله وسلامه عليه، فأين الاهتداء والاقتداء؟ حقاً إن الناس يتفاوتون في الحاجة إلى النوم، وفي المقدار الذي يكفيهم منه، فلا يمكن تحديد ساعات معينة يُفرض على الناس أن يناموا فيها، لكن على كل واحد أن يلتزم بالوقت الكافي لنوم يستيقظ بعده لصلاة الفجر نشيطاً، فلو علم بالتجربة والعادة أنه لو نام بعد الحادية عشر ليلاً مثلاً لم يستيقظ للصلاة، فإنه لا يجوز له شرعاً أن ينام بعد هذه الساعة. وهكذا لقد استمرأ كثير من الناس السهر المحرم الذي أدى بأكثرهم إلى تضييع صلاة الفجر وخروجها عن وقتها، وصار الذين يشهدونها في جماعة المسلمين في المساجد أفرادًا معدودين محدودين، هم الرجال هم الرجال وعيبا وعارا أن تقول لمن يتخلف عنها رجال وأصبح هذا السهر أمرًا عاديًا وطبعيًا لا تنكره أكثر القلوب. يا مسلم احذر أن تطوي الليالي عمرك طيًا طيًا وأنت في لهوك وسهوك لا تزداد إلا غيًا، واعلم أن اللحظات والخطرات واللفظات والخطوات كلها مكشوفة لا يخفى على الله منها شيء، وأصخ السمع لقول المصطفى ﷺ: (ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار وكان عليهم حسرة) أخرجه أبو داود وقوله: (ما جلس قوم مجلسًا لم يذكروا الله تعالى فيه ولم يصلوا على نبيهم فيه إلا كان عليهم ترة، فإن شاء آخذهم به وإن شاء عفا عنهم) أخرجه أحمد فإذا كان هذا شأن الغافل عن ذكر الله فكيف بالمنهمك في معصية الله.

أيها المسلمون: ساعات الأسحار ساعات توبة واستغفار وتضرع وانكسار، يقول ﷺ: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له) [متفق عليه].

أيها المسلمون، أيليق بمسلم أن يقضي هذه الأوقات الجليلة فيما يسخط الله.

أيها الأولياء والآباء، اتقوا الله فيمن تحت ولايتكم من الأهل والنسوان وسائر الخلان النصح النصح لهم والوعظ والتذكير فإن الذكرى تنفع المؤمنين وإياكم والإهمال، فإن نتائجه الخسران ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾ [المزمل: ١٩].

- لا بـد من الاسـتعانة على القيام للصـلاة بالأهل والصالحين، والتواصي في ذلك فعلى المسلم: أن يوصي زوجته مثلاً بأن توقظه لصلاة الفجر، وأن تشدد عليه في ذلك، مهما كان متعباً أو مُرهقاً، وعلى الأولاد أن يستعينوا بأبيهم مثلاً في الاستيقاظ، فينبههم من نومهم للصلاة في وقتها.

- استخدام وسـائل التنبيه، ومنها السـاعة المنبهة، ووضعها في موضع مناسـب، فبعض الناس يضعها قريباً من رأسه فإذا دقت أسكتها فوراً وواصل النوم، فمثل هذا يجب عليه أن يضعها في مكان بعيد عنه قليلاً، لكي يشـعر بها فيستيقظ، ومن المنبهات ما يكون عن طريق الهاتف.

- ألا يضبط المنبه على وقت متقدم عن وقت الصلاة كثيراً، إذا علم من نفسـه أنه إذا قام في هذا الوقت قال لنفسه: لا يزال معي وقت طويل، فلأرقد قليلاً.

لقد حمل الإخلاص والصدق بعض الحريصين على الطاعة على اسـتعمال وسائل عجيبة تعينهم على الاسـتيقاظ تدل على اجتهادهم وحرصهم وتفانيهم، فمن ذلك أن أحدهم كان يضع عنده عدة سـاعات منبهة إذا نام، ويجعل بـين موعد تنبيه كل واحدة والأخرى بضع دقائق، حتى إذا أطفأ التي دقت أولاً دقت الثانية بعدها بقليل وهكذا، وكان أحدهم يربط في يده عند النوم خيطاً، ويدليه من نافذة غرفته، فإذا مر أحد أصحابه ذاهباً إلى المسجد جذب هذا الخيط فيستيقظ لصلاة الفجر.

ولا ينبغي للمسـلم أن يسـتكثر ما يدفعه مقابل هذا التنبيه، فإن هذه نفقة في سبيل اللَّه، وأن الاستيقاظ لإجابة أمر اللَّه لا تعدله أموال الدنيا.

- أن تعزم عزما أكيدا وتعقد النية على أن تـؤدي صلاة الفجر جماعـة، لأن النائم كالميت فلا يدري هل يسـتيقظ أم تقبض روحه وهو نائم؟ ومن لم ينو أداء صلاة الفجر جماعة ومات فبئست الميتة .يا من تركت صلاة الفجر احمد اللَّه أنك لا زلت حياً.

قال ﷺ (من صلى الصبح فهو في ذمة اللَّه فلا يطلبنكم اللَّه من ذمته بشيء فإن من يطلبه من ذمته بشيء يدركه، ثم يكبه على وجهه في نار جهنم) [رواه مسلم].

لـو قيل لأحدهم إن عملك يدعوك قبل الفجر سـاعة لأعد نفسـه واسـتعد وبذل

الأسباب حتى يستيقظ في الوقت المحدد بل لو أراد سفرا قبل الفجر لاحتاط لنفسه وألح على أهله أن يوقظوه. ولو وعد إنسانا فتأخر عليه لحنق وغضب فكيف موعد رب العالمين يخلفه كل يوم ولا يبالي ولم نتكلم عن هذا الموضوع إلا أنا نرى صبيانا صغارا لا تتجاوز سنهم العاشرة يشهدون معنا الفجر فهل يغلبك أطفال صغار .

وأنت يا من تقول الناس معذورون في التخلف عن صلاة الفجر والنوم عذر والنوم غلاب وسلطان جائر والله غفور رحيم والله يهديهم أقول لأصحاب هذه المقولات الخاطئة وأمثالهم ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [النساء:١٠٨] .

مسئوليتنا تجاه أولادنا؛ لا تغفل عن أولادك تعليما وعناية ورعاية واهتماما وتربية إسلامية

فأنت مسئول عنهم وفي الحديث : (إن الله سائل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع) [الترمذي] وفي حديث آخر: (ما من عبد يسترعيه الله رعية يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة) [البخاري ومسلم] .

اغرس فيهم روح مراقبة الله واختر لهم القرين الصالح واحفظهم عن كل ما يصد عن طاعة الله، بعض الآباء يدع قنوات السوء بأيدي أهله وبنيه كأن الأمر لا يعنيه وهو يعلم أنها تنوء بالسوء وربما خادع نفسه بأنه يثق بهم وبئس تلك القنوات جالبها والناظر إليها فاحرص على تربيتهم وتوجيههم لما يعينهم على الاستقامة على طاعة الله وإذا شعرت بالملل من جراء كثرة أمرك أهل بيتك بالصلاة، وإيقاظهم لها - خصوصا صلاة الفجر - فتذكر قوله تعالى : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] ، ففي ذلك أعظم دافع للصبر والاحتساب، وطرد الملل وتذكر عاجل الأجر ومآل الصبر بعد ذلك في الآية : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ ﴾ [طه:١٣٢] .

انتبه انتبه : يا من يشتكي ويتوجع من شرور إحن شبهات شهوات مغريات فتن محن عليك بالحل النافع والعلاج الناجح الناجع الرفقة الصالحة فالله أمر نبيه ﷺ أن يصبر نفسه معهم فيقول له : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ

يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف:٢٨] فكيف بي أنا وأنت ما أحوجنا للرفقة الصالحة وفي الحديث (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) أبو داود والترمذي . والحذر كل الحذر أن تكون أو أحد أولادك ممن يقول يوم القيامة : ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الفرقان:٢٨] كما قيل «الصاحب ساحب» و«بداية الغريق مجرد صديق» والمجالس مجانس ومن جالس جانس . أخبرني من تصاحب أخبرك من أنت صاحب الأخيار فبهم تعرف والله بالله وتالله ربما جلسة واحدة مع الأشرار تدمر حياتك وتقضي على مستقبلك فتخسر الدنيا والآخرة.

إياك وكل جليس لا تصيب منه خيراً ومن حكمة الشعراء :

إذا ما صحبت القوم فاصحب خيارهم	ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي
ومن يكن الغُرب لـه دليـــلاً	يمر به على جيـف الكـــلاب

قصة وموقف: كان شاب مع الصالحين ثم تركهم بدأ يقصر في أمور دينه وفي يوم من الأيام كان مسافراً للتنزه، وفي الطريق انقلبت السيارة ثم كان الإنعاش ثم مات جاء الخبر المحزن إلى أهله إلى زملائه .. صلوا عليه، حمل إلى القبر وضع في قبره، فاللبنات فالتراب لن يرجع ذرفت الدموع حزنت القلوب حينها جلس أحد الصالحين وهو صديقه الأول عند قبره مطأطأ رأسه يدعو له . أيها الشاب احرص أن تلحق بالأخيار الذين ينفعوك حتى بعد موتك بدعائهم لك . الحق بهم وصاحبهم واصبر معهم حتى تلاقي ربك فحينها يقال لك ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ ﴾ [الرعد:٢٤] أكرر وأعيد صحبة الصالحين بلسم قلبي إنها للنفوس أعظم راقي.

وتأمل قول الله تعالى : {﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود:٤٢-٤٣] ، إن سلوك طريق المؤمنين ومجالستهم، والانحياز إليهم هو سبيل النجاة الحقة ؛ لأنهم في كنف الله وعنايته، حتى وإن تقاذفتهم الفتن، وكانت أسبابهم يسيرة، كسفينة من خشب في أمواج كالجبال، كما أن سلوك طريق الكافرين والمنافقين

والانحياز إليهم هو سبيل الهلاك، حتى وإن توفرت لهم الأسباب المادية المنيعة كالجبال في علوها وصلابتها .

وقوله : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأنعام:٦٨] ، فمجالسة الفساق تبعث على مسارقة طباعهم ورديء أخلاقهم، وهو داء دفين قلما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين، إذ قل أن يجالس الإنسان فاسقا مدة –مع كونه منكرا عليه في باطنه– إلا ولو قاس نفسه إلى ما قبل مجالسته لوجد فرقا في النفور عن الفساد؛ لأن الفساد يصير بكثرة المباشرة هينا على الطبع، ويسقط وقعه واستعظامه . [أبو حامد الغزالي] .

وقوله تعالى: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾[الكهف:١٨] .

إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العليا بصحبته ومخالطته الصلحاء والأولياء – حتى أخبر الله تعالى بذلك في كتابه – فما ظنك بالمؤمنين الموحدين، المخالطين المحبين للأولياء والصالحين ؟ بل في هذا تسلية وأنس للمقصرين، المحبين للنبي وآله خير.

وقوله عز وجل : ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف:٦٧]، قال الحسن البصري : استكثروا من الأصدقاء المؤمنين ؛ فإن الرجل منهم يشفع في قريبه وصديقه ،فإذا رأى الكفار ذلك قالوا ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الشعراء: ١٠٠–١٠١] ، أعد النظر في أصحابك واعلم أن الصاحب ساحب والأخلاق تعدي وأن (المرء على دين خليله) صاحب الأخيار تجد لديهم المتعة والأنس والسرور وزوال الهموم مع ما أعده الله للمتحابين فيه.. أما علمت أن المتحابين في الله تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله أما سمعت بالحديث القدسي الذي رواه الترمذي وأحمد **(قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي على منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء)** .

أما صديق السوء فهو شؤم عليك في الدنيا والآخرة وهو رأس كل بلية، وسبب كل شر . ألا يكفيك من شؤمه وعاره أنك تُعرف به في الدنيا فيقال صاحب فلان وصديقه . عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي كم رأينا والله من الشباب الطيبين من

طلاب الحلقات وغيرهم ممن تحولوا عن طريق الصلاح والاستقامة إلى طريق الانحراف والغواية بسبب أصدقاء السوء .ألا يكفيك ما تشعر به معهم من ضعف الإيمان، ورقة الدين، والسكوت عن المنكر، والمداهنة في دين الله، ثم بعد ذلك العداوة والبراءة منك يوم القيامة ﴿ ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ ﴾ [الزخرف:٦٧] .

انتبه :الحذر الحذر من السفر إلى بلاد الكفر والعهر: عجبت ومالي لا أعجب والعجب لا ينقضي ممن يشتري الشقاء والعيشة البهيمية يشتريها بل يذهب إليها بنفسه وماله ووقته وفلذة كبده فيزج بهم إلى شقاء وهلاك وذلك هو الخسران المبين ذلك ما اعتاده بعض الناس أن يقضوا إجازاتهم في رحلات وسفريات إلى شواطئ الأنهار والبحار وفي بلاد الكفار أو في بلاد تشبهها وإن كانت تسمى إسلامية أو عربية وقد يصطحب أولئك الناس عوائلهم من نساء ومراهقين ومراهقات بل بعضهم يصل به الأمر إلى إرسال أولاده وبناته إما بدعوى سياحة أو نزهة أو تغيير جو أو بدعوى أخرى مماثلة وينفقون في ذلك الأموال والأوقات الطائلة وهذا هو الشقاء العظيم بل بعضهم يحجز تذاكر السفر قبل الإجازة والامتحان بمدة خشية ماذا ؟ خشية أن يفوته الركب والرفقة وأي ركب يا ترى إنها ركب الفتنة والفساد وإننا أيها المسلمون نذكر بعض المفاسد والأخطار بإيجاز على أنها لا حصر لها غير أن من أبرزها السفر إلى بلاد الكفر ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ١١٣ ﴾ [هود:١١٣].

والتي نهانا النبي ﷺ عن الإقامة بها بل برئ ﷺ من مسلم يقيم بين ظهراني المشركين قال ﷺ: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهراني المشركين، لا تراءى نارهما) [سنن الترمذي]. وكذا السفر بلا محرم عند البعض ومثله التساهل في الحجاب بالنقص منه أو نزعه بالكلية وكذا رؤية المنكرات كالعري والاختلاط بين الجنسين والمناظر المخزيات ورؤية الكفر بالله ورسوله وانتهاك محارم الله وغير ذلك من مواخير زنا وحانات خمور ومخاطرة بالنفس بتعريضها لمواطن الهلكات فضلا عما يحيط بالمرء من أخطار لصوص القلوب ولصوص الجيوب والإنسان والله لا يأمن على نفسه هناك بل حاميها حراميها ومما ينتشر بين أولئك في تلك البلاد من أمراض معدية قذرة خبيثة وأوبئة مستعصية مهلكة وهي أمراض تنتشر عدواها بإذن الله من جالس المصاب أو مس شيء من جسمه

أو مجرد استنشـاق هـواء فيه مرض ايـدز أو هربس أو زهري أو سـيلان والمصابون بها في تلك الديار كثر وهنالك أمراض وأوبئة وفيروسات مختلفة وسرطان وبلايا خطيرة جدا تنتقل بسبب تنفس للّهواء أو بسبب الطعام أو الشراب وربما لا تظهر أعراض المرض إلا بعد سنوات فلا يظن من رجع من تلك البلاد ولم يحصل له شيء أنه نجا لا واللّه لا واللّه لا واللّه.

فالمسـافرون للخارج أكثر الناس أمراضا بل هم لها حاملون ولكن لا يشعرون وقد يؤتى بهم معلبين خشـية انتشار عدواهم ولا حل ولا علاج لهم بل الموت منتظر لهم وقد تقرر أن أحد الأسباب الموقعة في تلك الأمراض هو السفر إلى البلاد الإباحية في الشرق أو الغرب وماذا في تلك البلاد إنه الكفر والإلحاد والإباحية والفساد يذهب بشهادة لا إله إلا اللّه ويأتي بشـهادة الشيطان وكل هذه مفاسد خطيرة تكفي واحدة منها لقوم يعلمون ناهيكم عن البعد عن جو الإيمان وطاعة اللّه فلا أذان يسـمع ولا قرآن يتلى ولا ذكر للّه إلا ما شـاء اللّه ولا هيئة تنكر وتغير ومن دعته محبته للّه إلى أن يؤدي فريضة اللّه وعمود الدين فعلى استحياء أو تخوف أو في أماكن صخب يتعسر معها معرفة القبلة أو وقت الصلاة وأما ندرة الطعام الحلال الطيب فحدث ولا حرج فلحم خنزير ولحم كلاب وخمر وميتة ومسكر وخبيث ومحرم منتشر كاشتهار الرز والخبز عندنا .

ماذا في تلك البلاد أخطار إجرام فسـاد انحلال انتحار انتهاك أعراض شـقاء حسرات حوادث بل والأدهى والأمر من هذا كله خطورة ذلك على عقيدة ودين أولادنا شبابنا أطفالنا فتياتنا بما يعلق في أذهانهم من حب اللّهو والإحسـاس بأن ما عند أولئك الكفرة الفجرة خير مما عندنا وأنهم خير منا يعيشـون عيشة الحرية في حضارة وتقدم وأننا نعيش في أجواء الكبت والمحاصرة وقيد الحرية وأمثال ذلك أضعاف مضاعفة فيرجعون إلى بلادنا فيذمونها ويحتقرونها وينقدونها ويحاربون مبادئ ديننا وفيها من الحشـمة والأخلاق والعفاف وهذه قاصمة الظهر وضياع العمر من إعجاب أولادنا بالكفار ومبـادئ الكفر وأهل الدعر والعهر والنكر وهذا هو الكفر والردة عن الإسـلام إخواني ولو لم يكن من مساوئ السياحة في تلك البـلاد إذا لم يقترف ذنبـا ولم يعمل جرمـا إلا أن يذهب بنفسـه وذويه إلى السـوء وأرض المعاصي والكفر باللّه فلا يدري أيختم له في بلاد الإسـلام أم في بلد الكفر والضلال أو في جو

الطاعة والإيمان أم في جو المعصية وأماكن اللّهو والعبث ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ﴿٣٤﴾ ﴾[لقمان: ٣٤]والأعمال بالخواتيم ومن مات فقد قامت قيامته والعبد يبعث على ما مات عليه نسأل اللّه حسن الخاتمة واللّه يقول: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود: ١١٣].

إخواني تكثر في هذه الأيام الدعوة والدعايات والإعلانات إلى السياحة الخارجية إلى بلاد الكفر والفجور أو بلاد يكثر فيها الفساد وتقرن هذه الدعوة بالإغراءات الكاذبة من رخص الأسعار وقلة التكاليف وطيب الهوى والمقام وتوفر المتعة والأنس وكذبوا واللّه وافتروا وقالوا منكرا من القول وزورا فلنحذر من هذه الدعوات الأفاكة الآثمة الملعونة وعلى مسئول الإعلام مرئيا كان أو مسموعا أو مقروءا ألا يجعلوا لأصحاب الدعوة للسياحة في الخارج مكانا في وسائل الإعلام فلا يحققوا مطالبهم بالإعلان عن دعواتهم فيها حتى يسلم الناس من الإغترار بدعواتهم فإن ذلك من باب التعاون على البر والتقوى، ولا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه.

واستمع إلى هذه الفتوى سائل يقول ما حكم السفر إلى بلاد الكفار وحكم السياحة هناك أجاب على هذا السؤال فضيلة الشيخ ابن عثيمين بقوله: (السفر إلى بلاد الكفار لا يجوز إلا بثلاثة شروط الأول: أن يكون عند الإنسان علم شرعي يدفع به الشبهات «فلا ينخدع بمذاهب الكفر والضلال والأفكار الهدامة ويزيغ ويهلك» الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوات «فلا يدنس عرضه أو ينتهك الحرمات» الثالث : أن يكون محتاج إلى ذلك أي حاجة ملحه وضرورة قصوى فإن لم تتم هذه الشروط لا يجوز السفر إلى بلاد الكفار لما في ذلك من الفتنة أو خوف الفتنة وفيه إضاعة للمال لأن الإنسان ينفق أموالا كثيرة في هذه الأسفار أما إذا دعت الحاجة إلى ذلك لعلاج أو تلقي علم لا يوجد في بلده وكان عنده علم شرعي ودين أي رجل صالح على ما وصفنا فهذا لا بأس به أما السفر للسياحة في بلاد الكفار فهذا ليس بحاجة وبإمكانه أن يذهب إلى بلاد إسلامية يحافظ أهلها على شعائر الإسلام وبلادنا الآن الحمد للّه أصبحت بلادا سياحية في بعض المناطق فبإمكانه أن يذهب إليها ويقضي زمن إجازته فيها). أ هـ [المجموع الثمين - ١ / ٤٩، ٥٠] .

سؤال: ما حكم إقامة الطلبة المبتعثين في بلاد الكفار؟ نحن طلبة مسلمون ندرس في أمريكا لفترات تتراوح ما بين ستة أشهر وأربع سنوات وجئنا للدراسة هنا بمحض إرادتنا – أي لسنا مبتعثين من أي جهة – والدراسة هنا في أمريكا لا تختلف عن الدراسة في بلادنا سوى بالحصول على اللغة الإنجليزية، فما حكم جلوسنا في هذه البلاد للدراسة ؟ جزاكم الله خيراً .

الجواب: الحمد لله من كان منكم لديه علم وبصيرة بدين الله يمكنه أن يدعو إلى الله ويعلم الناس الخير ويدفع الشبهة عن نفسه ويظهر دينه بين من لديه من الكفار فلا حرج عليه ؛ لأن إقامته والحال ما ذكر وتزوده من العلم الذي يحتاج إليه ينفعه وينفع غيره، وقد يهدي الله على يديه جمعاً غفيراً إذا اجتهد في الدعوة وصبر وأخلص النية لله سبحانه وتعالى، أما من ليس عنده علم وبصيرة، أو ليس عنده صبر على الدعوة، أو يخاف على نفسه الوقوع فيما حرم الله، أو لا يستطيع إظهار دينه بالدعوة إلى توحيد الله والتحذير من الشرك به وبيان ذلك لمن حوله فلا تجوز له الإقامة بين أظهر المشركين ؛ لقول النبي ﷺ: (أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين) ولما عليه من الخطر في هذه الإقامة، والله ولي التوفيق . [كتاب مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله . م/٩ ص/٤٠١] أهـ.

تنبيه مهم : لا ينبغي لمن ليس عنده علم شرعي أن يدخل على مواقع الكفر التي تثير الشبهات حول رسالة الإسلام لأن هذا قد يؤدي بالداخل إليها إلى الشك والكفر والعياذ بالله، ويصير له نصيب من قول الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٥٧ ﴾ [البقرة:٢٥٧] ، أي من نور البينات إلى ظلمات الشكوك، ولذا قيل : إن هذه الآية نزلت في قوم ارتدوا عن الإسلام. والجاهل إذا عرضت عليه شبهة قد تستقر في قلبه ويصعب عليه ردها فيكون قلبه كالإسفنج إذا تشربت شيئا استقر فيها .

قال ابن قيّم الجوزيّة – رحمه الله تعالى – : (لمّا تكاثرت عليّ الإيرادات وتواردت عليّ الشبهات، فزَعْتُ إلى شيخنا أبي العبّاس أستنصحهُ وأسترشده، فقال لي مُوَصّياً وناصِحاً

ومُبَيّناً ومُحَذّرا : لا تجعل قلبك للإيرادات والشبُهات مِثلَ الإسفنجة فيتشرّبها، فلا ينضَح إلاّ بها، ولكن اجعله كالزجاجة المُصمّتة تمرّ الشبهات بظاهرها ولا تستقِرّ فيها، فيراها بصفائه ويدفعها بصلابته، وإلاّ فإذا أشْرَبْتَ قلبكَ كُلّ شُبْهَةٍ تَمُرُّ عليها صار مَقَرّاً للشبهات). قال : (فواللّهِ ما نفعني اللّهُ بشيء بعدَ الإسلام مِثلَ ما نفعني بنصيحة شيخِ الإسلام) [مفتاح دار السعادة١/ ٤٤٣].

أما عن الفريضة المضيعة الحجاب الشرعي فحدث ولا حرج : اعلم أن جمال المرأة وكمالها بل حياتها ووجودها والله وبالله وتالله إنما هو بإيمانها وحيائها وعفتها وحجابها وإذا فقدت ذلك فعليها السلام من أجل ذلك اهتم الإسلام بالمرأة وأوجب عليها الحجاب حفاظا وكرامة وصيانة فالحجاب الشرعي عبادة وفريضة شرعية واجبة كوجوب الصلاة والصوم ليس عادة أو عرف أو تقاليد لبلد دون أخرى ولقوم دون غيرهم إذا كانت في هذه البلاد لبسته وإذا خرجت منه نزعته وخلعته أذكرها بقول النبي ﷺ (اتق الله حيثما كنت) [أبوداود وأحمد والترمذي والحاكم] .

وأقول: العادات والتقاليد والعرف إذا خالفت الشريعة فليس لها إلا أن توطأ بالأقدام ولا يلتفت إليها ولا عبرة بها فليتنبه لهذه المسألة فإنها خطيرة جد خطيرة وأي قول يخالف الكتاب والسنة فحكمه كذلك لا عبرة به مطلقا والمسلمة تلتزم بجميع شرع الله من صلاة وزكاة وصوم وحجاب وزواج وأخلاق أما أن تأخذ البعض وترفض البعض فالله حكم على من فعل هذا بقوله ﴿ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٨٥] ، والحجاب الشرعي هو تحجب المرأة بكليتها فلا عين تطرف ولا قدم تظهر ولا كف يكشف الحجاب منع النساء من الاختلاط بالرجال على أي حال في المسجد في البيت الحجاب الشرعي يقتضي عدم التبرج عدم السفور عدم إبداء الزينة عدم التعطر إذا خرجت من بيتها عدم الخلوة بأجنبي ولو طبيبا أو شيخا تقيا ورعا يحفظها القرآن عدم سفرها بدون محرم حتى في حجها لبيت الله وإذا لم تجد محرما

فتنيب من يحج عنها إلى هذه المنزلة بلغ من محافظة الإسلام على المرأة وكرامتها وعفتها ومنعها من كل ما يسبب افتتان الرجال بها فجعل القوامة للرجال لئلا يبتذلن ويختلطن بالرجال وجعل البيت هو جنتها ولم يلزمها بالنفقة أو الكسوة أو المهر أو السكن بل جعل الرجل هو القائم بذلك كله والمرأة جعلها مربية أولادها جنتها بيتها

من شروط الحجاب الشرعي :-

١- استيعابه جميع بدنها حتى وجهها وكفيها وقدميها .

٢- ألا يكون ضيقا بحيث يحجم ويفصل الجسم .

٣- ألا يكون رقيقا فيصف أو يشف ما تحته .

٤- ألا يشبه لباس الكافرات .

٥- ألا يشبه لباس الرجال .

٦- ألا يكون زينة في نفسه .

٧- ألا يكون مطيبا ولا مبخرا.

فهذه شروط ثابتة في الكتاب والسنة وآثار سلف الأمة وإليك آيات الله التي أنزلت على أفضل الأمة وأتقاها وأخيرها وأنقاها يقول تعالى ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور:٣١] ويقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ﴾[الأحزاب:٥٩]. والخمار والجلباب هو ما تضعه المرأة على رأسها ووجهها وصدرها والمراد به الغشوة والمقصود به وجوب تغطية الوجه - وهذه أمنا

عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق رضي الله عنها وعن أبيها تروي موقف المؤمنات في زمانها يوم نزلت آية الحجاب فعن صفية بنت شيبة قالت : بينما نحن عند عائشة فذكرن نساء قريش وفضلهن فقالت عائشة إن لنساء قريش لفضلا وإني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار ولا أشد تصديقا لكتاب الله ولا إيمانا بالتنزيل لما نزلت سورة النور ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣١] انقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل الله منها يتلو الرجل على امرأته وبنته وأخته وعلى ذي قرابة فما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها المرجل فغطت رأسها به تصديقا وإيمانا بما أنزل الله من كتاب حتى المحرمة وهي تصلي أو تطوف يجب عليها أن تغطي وجهها لقول عائشة رضي الله عنها (كان الركبان يمرون بنا ونحن محرمات مع رسول الله ﷺ فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها فإذا جاوزونا كشفناه) [أخرجه أحمد وأبو داود وابن الجارود والبيهقي وابن ماجه وقال الألباني سنده حسن في الشواهد والمتابعات].

وإذا كانت المرأة ممنوعة من الضرب بالأرجل خوفا من الافتتان وممنوعة من ترقيق الصوت وتليينه ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢]، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا۟ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] .

من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف تصنع النساء بذيولهن يا رسول الله ؟ قال : يرخين شبرا قالت : إذا تنكشف أقدامهن، قال : فيرخينه ذراعا لا يزدن عليه [الترمذي] ، وأيما امرأة استعطرت ثم مرت بقوم ليجدوا ريحها فهي زانية [النسائي] . إذا كانت القدمان لا تكشف أوشم العطر منها فكيف برؤية الوجه ؟!!!

أقول : من المعلوم عند كل عاقل أن الوجه هو مجمع المحاسن وإذا كانت المرأة حسناء فوجهها أبهى وأحسن عند الناظرين من كل زينة عليها والناظر إنما ينظر إلى الوجه والفتنة غالبا تكون بالنظر إليه لا إلى الحلية والثياب وإذا كانت المرأة مأمورة بستر زينتها فالوجه أعظم زينة لأنه مجمع المحاسن وسبب الافتتان وفي الحديث عن النبي ﷺ : (المرأة عورة إذا خرجت استشرفها الشيطان) [الترمذي وانظر صحيح الجامع (٦٦٩)] .

وفي حديث أسماء رضي الله عنها (كنا نغطي وجوهنا من الرجال وكنا نمتشط قبل ذلك في الإحرام) [إسناده صحيح أخرجه الحاكم وصححه ، ووافقه الذهبي (انظر الإرواء ٤/٢١٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ، وصححه الألباني في جلباب المرأة المسلمة ، صـ(١٠٧) رقم(٥)]

وحديث عائشة (فعرفني حين رآني قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلبابي) [البخاري] ، وفي رواية أخرى (فسترت وجهي بجلبابي). والخمار هو ما تخمر المرأة به وجهها أي تغطيه فهل تريدون دليلا أقوى من ذلك .

إن الإسلام اهتم بالمرأة اهتماما كبيرا فبدين الإسلام تراها درة مصونة ولؤلؤة مكنونة في حصن حصين وهذه نعمة عظيمة قد حسدها عليها أعداء الله وأعداء رسوله ﷺ وهذا مجرب فإن كل ذي نعمة محسود ونتيجة لإهمال المرأة لأوامر ربها وخروجها عن شريعة دينها وحبها تقليد غيرها من غير المسلمات تورط كثير من المسلمات اسما والغافلات رسما ممن صارت آفة العصر ومصيبته تبرج وسفور واختلاط ولباس عار أو شبه عار، أين هن من قول الله) ولا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض (الأحزاب:٣٢ فكيف بمن تكشف وجهها وأين قول الله) وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاء حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ (الأحزاب:٥٣ وهذا في عصر الصحابة والخطاب للصحابة الأتقياء الأنقياء أصحاب الإيمان الذي تزول الجبال ولا يتزعزعون قيد أنملة أصحاب الخشية والتقى الذين زكاهم الله ورسوله ﷺ (وإذا سألتموهن) من هن إنهن أمهات المؤمنين الطاهرات العفيفات فكيف برجالنا ونسائنا المفرطين الغافلين مرضى القلوب إلا ما رحم ربي يغلبهم هواهم ونفوسهم وفي زمن كثرة الفتنة والمحنة والشرور وفي الحديث (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء) [متفق عليه] .

وتأمل قول المولى عز وجل ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب:٥٣] .

فلا يقل أحد غير ما قال الله ! لا يقل أحد إن الاختلاط، وإزالة الحجاب، والترخص في الحديث والمشاركة بين الجنسين أعون على تصريف الغريزة المكبوتة، .. إلى آخر المقولات الضعاف المهازيل، لا يقل أحد هذا والله يقول: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يقول هذا عن نساء النبي ﷺ الطاهرات، وعن رجال الصدر الأول ممن لا تتطاول إليهن وإليهم الأعناق ! [في ظلال القرآن] .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور: ١٩] .

يدخل في ذلك دعوات ساقطة لإخراج المرأة من خدرها، وقد ينطلي على بعض ممن في قلبه إيمان، فيرى مع كثرة الدعوات الآثمة أن لا بأس بمزاولة المرأة أعمالا يراها الرائي لأول وهلة لا ضير فيها، وهي عند العارفين ذرائع للفاحشة وإشاعة لها [عبد العزيز آل الشيخ] .

قال تعالى -في شأن بلقيس- ﴿ وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ ﴾ [النمل: ٤٤] ، ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلا ساترا لساقيها، وهي من ؟! امرأة كافرة !

في حين أن بعض المسلمات -وللأسف الشديد- يتنافسن في خلع جلباب الحشمة والحياء فيما يرتدينه من ملابس بلا حياء ولا خوف من الله ! أليس من المدمي للكبد المقطع لنياط القلب أن تكون امرأة كافرة أكثر حشمة وتسترا من بعض نساء المسلمين ؟!! .

و بعضنا يقول : لا بأس بذلك أن تكشف المرأة وجهها، ويقول بعضنا: الوجه فتنة فقط لا غير وليس بحرام كشفه . وأنا أقول واسمعوها مني مدوية صريحة: إني أجزم وأتيقن أنه لا يوجد عالم مهما كان يبيح كشف الوجه والكفين والقدمين إذا لم تؤمن الفتنة ولا قائل الآن بأن الفتنة غير موجودة بل إن الفتنة على قدم وساق . وضعف الإيمان. وكثرة الوسائل التي تؤدي إلى الفتنة في الأسواق والقنوات الفاسدة فضلا عن كثرة المغريات والأزياء والمكاييج الساحرة التي تجعل القبيحة الدميمة المشينة ملكة جمال – كما يقولون – وتجعل العجوز شابة والعطورات التي تسلب العقل وتمرض الصحيح ومهما يحصل من زينة وجمال وفتنة في المرأة فالوجه هو أصل الزينة ومجمع الجمال ومقياسه ومبدأ الفتنة ومنتهاها وإذا كان هذا الوجه مزينا بالمساحيق البيضاء والحمراء

والأصباغ الزاهية فأدهى وأمر وأنكى وأشر والمثيرات في هذه الأيام كثيرة فحينئذ تكون الفتنة أعظم والمحنة أكبروما أدى إلى محرم فهو محرم بإجماع الأمة إذن كشف الوجه محرم ولا تقل بعد هذا كله : بأن كشف الوجه أباحه العالم الفلاني أو الشيخ الفلاني أمام ما ذكرنا من نصوص صحيحة جلية صريحة وفي الحديث (دع ما يريبك إلى ما لا يريبك)

وَلَيسَ يَصِحُّ في الأَفهامِ شَيءٌ — إذا اِحتاجَ النَهارُ إلى دَليلِ

فحجاب المرأة المسلمة على ثلاث درجات وهى:

١- **الحجاب:** وهو حجب المرأة وقرارها في بيتها وعدم خروجها من بيتها إلا لضرورة. وهو أعلى الدرجات.

٢-**الخمار:** وهو اذا خرجت المرأة من بيتها فعليها أن تغطى بدنها وأن تغطى وجهها كله ولا يظهر منه شيء وهذا أقل من الحجاب .

٣- **النقاب:** وهو إذا خرجت المرأة من بيتها فعليها أن تغطي بدنها ووجهها مع إظهار عينها لترى بها الطريق ويكون النقاب على قدر سواد العين . وليس بعد النقاب شيء سوى التبرج .

أقول : أيها الإخوة والأخوات هذا الكلام الذى ذكرناه ربما علمه كثير من الناس لأول مرة وذلك نتيجة قلة العلم الشرعي . وبعد كل هذا هل يمكن لأحد أن يقول للأخت المسلمة إلبسي الحجاب ويجوز لها كشف الوجه والكفين؟!! انه لتعارض شرعي ولغوي وتعارض عقلي أيضا فكيف يقول لها احتجبي واكشفي وجهك؟؟!!

إن هذا لشيء عجاب!!!!!!

وفى النهاية أوجه نصيحة لأختي الملتزمة وأقول لها:

أختاه اصبري وتوكلي على الله فإنك على الحق المبين ولا يغرنك كثرة المتساقطات وقلة الملتزمات فنحن في زمان الغربة الثانية الذى أخبرنا به المصطفى ﷺ فقال: (بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء) [السلسلة الصحيحة (١٢٧٣)] .

وتحقق قول الرسول ﷺ (يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض

على الجمر) [الترمذي وصححه الألباني. السلسلة الصحيحة ٢/٩٥٧]

[من رسالة بعنوان: فصل الخطاب في الفرق بين الحجاب والخمار والنقاب]

[وننصحك بهذه المراجع :«عودة الحجاب» لمحمد إسماعيل المقدم، و«المرأة بين الجاهلية والإسلام» لمحمد حامد الناصر وخولة درويش، و« يا فتاة الإسلام اقرئي حتى لا تخدعي» لصالح البليهي، و«قضية تحرير المرأة» لمحمد قطب، و«المرأة وكيد الأعداء» لعبدالله وكيل الشيخ، و«حكم الإسلام في توظيف المرأة» لأحمد عبدالعزيز الحصين، و« ما هكذا يكون الحجاب لأمة الله » نور المهدي، و«مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية » لنازك الملائكة و«حراسة الفضيلة » للعلامة بكر أبو زيد ورسالة الحجاب لابن عثيمين ورسالتان مختصرتان الأولى : كلمة إلى أختي المنتقبة لأبي المنذر عبداللطيف سيد محمد تقديم مصطفى العدوي ووحيد عبد السلام بالي، والثانية : للفتيات حوار مع العقل لهند حمد الربيعة تقديم يوسف بن عبد الله الأحمد] .

وإني لأعجب ومالي لا أعجب من مسلمة موحدة تفتخر وتقتدي وتتشبه بكافرة يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو بوذية أو فنانة أو ممثلة أو راقصة داعرة ماجنة خالعة وتترك الاقتداء بأسماء وسمية وحفصة وعائشة وأم سلمة وخديجة رضي عنهن !!

وكانت النتيجة الحتمية المتوقعة والعاقبة والحال والمصير والمآل لما تقدم من سيئ وخبث الفعال شرور وفتن وفساد فكم من جرائم ارتكبت وكم من أعراض انتهكت ومصائب حصلت وهدم وتخريب للبيوت وهتك لأعراض حدثت ونحن على خوف وإشفاق ووجل من أن يحل بنا عذاب الله .

لماذا توصف المؤمنات المحصنات بـ﴿ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ﴾ [النور:٢٣] ؟ إنه وصف لطيف محمود، يُجسد المجتمع البريء والبيت الطاهر الذي تشب فتياته زهرات ناصعات لا يعرفن الإثم، إنهن غافلات عن ملوثات الطباع السافلة .وإذا كان الأمر كذلك فتأملوا كيف تتعاون الأقلام الساقطة، والأفلام الهابطة لتمزق حجاب الغفلة هذا، ثم تتسابق وتتنافس في شرح المعاصي، وفضح الأسرار وهتك الأستار، وفتح عيون الصغار قبل الكبار ؟! ألا ساء ما يزرون !! [د. صالح ابن حميد] .

تذكر الموت وما بعده ولا تغفل

إن الموت حقيقة قاسية رهيبة، تواجه كل مخلوق فلا يملك لها رداً وهي تتكرر في كل لحظة ويواجهها الجميع دون استثناء قال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [العنكبوت:٥٧] إنها نهاية الحياة واحدة فالجميع سيموت لكن المصير بعد ذلك يختلف ﴿ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾ [الشورى:٧] وفي الموت عظة وتذكير وتنبيه وتحذير، وكفى به من نذير وكفى بالموت واعظاً والموت ثم القبر أول منازل الآخرة فكيف بنا أهملنا بنيانه وقوضنا أركانه ، وليس بيننا وبين الانتقال إليه إلا أن يقال: فلان مات قال ﷺ: (ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه) [ابن ماجه] وقال عليه الصلاة والسلام: (القبر أول منازل الآخرة فمن نجا منه فما بعده أيسر منه ومن لم ينج منه فما بعده أشد منه) [ابن ماجه] .

فارقت موضع مرقدي يوماً ففارقني السكون

القبر أول ليلة بالله قل لي فيه ما يكون

نظرة واحدة بعين البصيرة في هذا القبر والله سوف تعطيك حقيقة هذه الدنيا فبعد العزة وبعد الأموال وبعد الأوامر والنواهي وبعد الخدم والحشم وبعد القصور والدور، أهذه هي نهاية ابن آدم في هذه الحفرة الضيقة المظلمة.

أخي انظر لحال الموتى وتأمل حالهم ومآلهم فوالله إنه سيأتيك يوم مثل يومهم، وسيمر عليك ما مرّ بهم، ألا فاعتبر واستعد، ولا تغفل ولا تنس مصيرك ومآلك، فهل تصورت نفسك وأنت مكان هذا المدفون والله إنها نعمة كبيرة أن أعطاك الله العبرة من غيرك ولم يعط غيرك العبرة منك

قال بعض السلف: (ادَّخر راحتك لقبرك، وقِّلل من لهوك ونومك، فإنَّ من ورائك نومةً صبحها يوم القيامة) .

انتبه وتذكر آخر أيامك من الدنيا وما بعده من أهوال وأحوال وأمور عظام .

﴿ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾ ﴾ [النازعات:٤٦] .

تنطـوي هـذه الحياة الدنيا الـتي يتقاتل عليها أهلهـا ويتطاحنون، فـإذا هي عندهم عشية أو ضحاها ! أفمن أجل عشية أو ضحاها يضحون بالآخرة ؟ألا إنها الحماقة الكبرى التي لا يرتكبها إنسان يسمع ويرى ! [سيد قطب] .

أخـرج إلى المقابـر فاعتبر بأهلها فأي موعظة من أن ترى ديـار الأقران وأحوال الخلان وقبور الأحباب وغيرهم سوف نموت، وننتقل إلى الدار الآخرة، ننتقل إلى الله – سبحانه وتعالى –، كما مات غيرنا من النـاس، أجيال ذهبت، أمـم انتقلت إلى الله – سـبحانه وتعالى – ؛ من نحن ؟ وكم نعيش ؟ ما هي أعمارنا في هذه الدنيا ؟

سنموت، وسيُبكى علينا، ثم نكون فيما بعد نسياً منسياً .فنعلم أننا سنكون مثلهم ثم لا يكون منا انتباه حتى ينتبه الغيربنا !!؟؟ فالعاقل من انتبه بغيره .

عبد الله : كلما قرأت قول مولاك عز وجل : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤ ﴾ **[الفاتحة: ٤]** فتذكر يوما تدان فيه بعملك وتذكر أن الأيام تذوي يوما يوما . والعمر ينقضي شـيئا فشـيئا .والحياة تسـيربنا لا تقف لحظة .فهذا الطفل قد نما. وذاك الشـاب قد انحنى .وذلك الشيخ قد واراه التراب فالأيام تطوى، والأهلة تتوالى، والأكفان تنسج، والأعمال تدون، والموعد يقترب وأجيال من الدنيا تودع وترحل .تمر الأيام، وتتوالى السنون ونودع أحبة أعزاء على قلوبنا ؟؟ فكم في هذه الفترة من عزيز فارقناه ؟؟ وكم من صديق شيعناه ؟؟ وكم من حبيب في قبره وضعناه ؟؟ ثم نعود إلى بيوتنا فنأكل ونشرب ونفرح ونمزح

يا نفس أين أبي وأين أبـو أبي وأبوه عدي لا أبا لك واحسبي

يقول النبي صلى الله عليه وسـلم (من اقتراب السـاعة .. وأن يظهر موت الفجأة) [رواه الطبراني] . ومـوت الفجأة : أي الموت بلا مقدمات من مرض أو نحوه وإن كان موت الفجأة يحدث نادرا فيمن سـبق فقد زاد وانتشر في أيامنا بصورة عجيبة، موت كثيربلا إشعار ولا سابقة إنذار بسكتة أو نوبة أو جلطة أو حادث أو سرطان نسأل الله السلامة.

فلـربمـا تــأتي المنيــة بغتــة فتســاق من فرش إلى أكفـان

وهاك أخي هذه المحاورة القيمة التي دارت بين نفر، من المتخلين عن الدنيا، المتأهبين ليوم الرحيل . جلس نفر من الصالحين يتذاكرون، ويتسـاءلون حول قصر الأمل. فقيل

لأحدهـم : مـا بلغ منك قصر الأمل ؟ فقـال : بلغ مني قصر إلا أنـي إذا رفعت اللقمة إلى فمي ، لا أدري أأتمكن من أكلها أم لا !!

لحظة من فضلك ! : في اللحظات القليلة التي قرأت فيها أسطرا معدودة من هذا الكتاب . قد مات الكثيرمن الناس !! وللأسف منهم من مات على معصية والعياذ بالله !!

ما يدريك لعل اسمك – لا قدر الله – يكون التالي . تذكر ! أن الشخص الذي مات قبل لحظة ! قد ظن مثل ظنك وقال لنفسه .. عندي وقت !!! ﴿ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾ ﴾ [المنافقون: ١١]، لن يؤخر !!! فلا تؤخر توبتك بـ سأتوب ! واحذر سوء الخاتمة ..

هذا شابٌ في سكرات الموت يقولون له : قل لا إله إلا الله فيقول : أعطوني دخاناً . فيقولون : قل لا إله إلا الله ، فيقول : أعطوني دخاناً . فيقولون : قل لا إله إلا الله علـه يختم لك بها . فيقول : أنا بريء منها أعطوني دخاناً .

احتضر رجل ممن كان يجالس شرب الخمور ، فلما حضره نزع روحه أقبل عليه رجل ممن حوله وقال : قل : لا إله إلا الله ، فتغير وجهه وتلبد لونه وثقل لسانه ، فردد عليه صاحبه : يا فلان قل : لا إله إلا الله ، فالتفت إليه وصاح : لا .. اشرب أنت ثم اسقني ، ثم ما زال يرددها حتى فاضت روحه .

رجل عرف بحبه للأغاني وترديدها ، فلما حضرته الوفاة قيل له : قل لا إله إلا الله ، فجعل يهذي بالغناء ويقول : دن دن دندن حتى قضى ، ولم ينطق بالتوحيد .

وقيل لآخر : قل لا إله إلا الله . فجعل يهذي بالغناء ويقول تاتنا تنتنا حتى مات .

قيل لأحدهم وهو في سياق الموت : قل لا إله إلا الله فجعل يغني ، لأنه كان مفتوناً بالغناء ، والعياذ بالله .

هذا هو ديدن وسوء عاقبة من تغنى وسمع الغناء ، فإن الله يطمس على قلبه ويعقد على لسانه عند الاحتضار ، فلا يقوى على النطق بالشهادة ، تلك الشهادة التي من كان آخر كلامه من الدنيا هي دخل الجنة ، عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة) [صحيح الجامع (٦٤٧٩/٢)].

كيف يقوى على النطق باسـم الله الأعظم وكان مبارزاً لله بمعصية الغناء وسـماعه كيف يقوى على ذلك الأمر العظيم وهو لم يستح من الله حال رخائه وأمنه ؟!.

إن الله يعامل بالمثل ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ [البقرة:١٥٢]، فهذا وأمثاله لم يذكروا الله عز وجل حال كونهم في أتم صحة وعافية فجاء العدل الإلهي بأن نسيهم كما نسوه .

>> صوت الشيطان

وها هم أربعة من الشـباب، كانوا يعملون في دائرة واحدة، مضت عليهم سنين وهم يجمعـون رواتبهم، فإذا سـمعوا ببلـد يفعل الفجـور طاروا إليهـا وبينما هم في ذات يوم جالسـين إذ سـمعوا ببلاد لم يذهبـوا اليها، وعقـدوا العزم أن يجمعـوا رواتبهم هذه المرة ليسافروا إلى تلك البلاد التي حددوها . وجاء وقت الرحلة وركبوا طيارتهم ومضوا إلى ما يريدون، ومر عليهم أكثر من أسـبوع في تلك البلاد وهم بين زنا وخمور، وأفعال لا ترضى الرحمـن، بينما هم في ليلـة من الليالي، وفي سـاعة متأخرة من الليل، يجاهـرون الله تعالى بالمعصية والفجور، نعم بينما هم في غمرة اللَّهو والمجون إذا بأحد الأربعة يسـقط مغشيا عليـه، فيهرع إليه أصحابه الثلاثة فيقول له أحدهم في تلك الليلة الحمراء، يقول له : يا أخي، قل لا إله إلا الله، فيرد الشـاب – عياذا بالله – : إليك عني، زدني كأس خمر، تعالي يا فلانة، ثم فاضت روحه وهو على تلك الحال السـيئة، نسـأل الله – تعالى – السـلامة والعافية .ثم كان حال الثلاثة الآخرين لمـا رأوا صاحبهم وما آل إليه أمـره أنهم أخذوا يبكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم، وعادوا بـه إلى بلاده محمولا في التابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد – عياذا بالله – .

يقول أحدهم : لقد كنا سهرانين ونشرب الخمر ومعنا البنات فقلت أنا البنت التي معي أجمل من البنت التي سوف تأتي وتجلس معك .. فقال أنت لم تراها بعد .. وسوف تدخل الآن فلما دخلت وكانت بكامل زينتها .. وقف صاحبي ثم سجد إكراما لجمالها وبينما هو ساجد .. وأنا أنادي عليه لم يرد .. ناديته أكثر من مرة لم يرد فحركته فسقط فإذا هو ميت .. لقد مات وهو ساجد لها.

وها هو شاب من أولئك المنحرفين الذين كانوا يسافرون إلى بعض بلاد الفساد للفسق والدعارة، بينما كان في سكره وغيه ينتظر خليلته -وقد تأخرت عليه - فما هي إلا لحظات حتى أقبلت عليه، فلما رآها خر ساجدا لها تعظيما، ولم ينهض من تلك السجدة الباطلة إلا وهو محمول على الأكتاف قد فارق الحياة، فنعوذ بالله من سوء الخاتمة.

رجل دائم السفر إلى دول العهر كل صيف وكان متزوجاً ولديه أطفال وعمره لم يناهز الثلاثين عاماً إلا أنه مازال على عادته القديمة لا يفكر إلا في شهوته وملذاته سواء أكانت من حلال أم في حرام لقد سافر ووجهه أبيض من بياض البيض وكله شباب وقوة وحيوية وفي إحدى الليالي الساهرة تعرف هنالك على راقصة عاهره فرافقها إلى إحدى الشقق وكان بانتظاره من ؟ كان بانتظاره ملك الموت فما أن قرب منها وجاءت اللحظة الحاسمة نادى منادي الرحيل .. الرحيل، فقبضه ملك الموت ورجع إلى بلده محملاً بالتابوت وإذا بالمفاجأة الكبرى وهي أن وجهه أصبح لونه أسود من سواد القار.

أورد أحد الدعاة هذه الحادثة قائلاً كان هنالك شباب يسافرون على بلاد مملوءة بالمتع الحرام وفي سفرة من سفراتهم تعرف أحدهم على فتاة واستمرت العلاقة حتى سافر إلى بلده، وبعد فترة رجع هذا الشاب مرة أخرى إلى ذلك البلد وطلب أن تستقبله تلك الفتاة في المطار، وانتظرها، ولكنها لم تحضر، وأحضروا إليه غيرها لكنه لم يقبل، وبعد بحث طويل عنها طلبوا منها أن تحضر إلى المطار، أو إلى مكان آخر لأجل هذا الشاب، وبعد إقناع حضرت وما إن رآها هذا الشاب حتى هوى إلى الأرض ساجداً، وكانت منيته إذ قضى نحبه وهو على ذلك السجود فمات مرتداً، نسأل الله السلامة والعافية، وهذا من أثر غلبة الهوى والعشق وحب الفجور..

وذكر أحد الدعاة المعروفين قصة يدمى لها القلب حزناً وتدمع لها العين ألماً. إنها قصة رجل كان مدمناً للخمر.. ومختصر القصة أن هذا الرجل ذهب إلى أحد البلاد المعروفة بالفساد.. وهناك في شقته بدا يعب من الخمر عباً.. شرب قارورة ثم أتبعها بالثانية ثم أتبعها بالثالثة وهكذا حتى شعر بالغثيان فذهب إلى دورة المياه ليتقيأ.. أتدري ماذا حدث له ؟ .. مات في دورة المياه.. أتدري أين كان رأسه ..؟! كان رأسه في مصرف النجاسات المرحاض.

أحـد المدمنـين في المخدرات بدأها وبدأت المصائب تنهال عليه فطـرد من وظيفته ثـم طلق زوجته ثم جعل أمه العفيفة الشـريفة المسـكينة التي حملتـه وربته وتعبت عليه تذهب هي بنفسها تبحث له عن المخدرات فتشتري له مخافة أن يموت ثم كانت مأساته أن يعثر عليه داخل عشة قد مات وتبلد وهمد جسمه بسبب تعاطي المخدرات يا لها من نهاية تعيسة منكوسة لمثل هذا العمل الذي حرمه اللَّه.

وكـان بمصر رجل ملتزما للآذان وعليه بهاء العبادة، وأنوار الطاعة !! فرقى يوما المنارة كعادته للأذان وكان تحت المارة دارا لذمي، فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار !! فافتتن بها وترك الأذان، ونزل إليها ودخل الدار فقالت له : ما شأنك ما تريد !! فقال : أنت أريد ! فقالت : لماذا ؟ قال: سلبت لبي، وأخذت بمجامع قلبي !!

قالت : لا أجيبك إلى ريبه !! قال : أتزوجك !! قالت له : أنت مسلم وأنا نصرانية، وأبي لا يزوجـني منك ! قال لهـا : أتنصر !! قالت : إن فعلت، افعل ! فتنصر ليتزوجها !! وأقام معهم في ا لدار، فلما كان في ذلك اليوم رقى إلى السطح فسقط منه فمات !! فلا هو بدينه ولا هو بها !!

وسـبحان اللَّه كـم شـاهد الناس من هذا عـبراً ؟ والـذي يخفـى عليهم مـن أحوال المحتضرين أعظم وأعظم . فسل اللَّه الثبات حتى الممات.

واجعَل لوجهكَ مُقلَتَينِ كِلاَهُمـا ... مِن خَشيـــةِ الرَّحمـنِ بَاكِيَتَـــانِ
لَو شَاءَ رَبُّكَ كُنــتَ أيضاً مِثلَهُــم ... فَالقَلــبُ بَينَ أصــابـع الرحمـن

يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، ، اللَّهم أحســن خاتمتنا وتوفنا مع الأبرار اللَّهم اجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم نلقاك .

رويدك يا مسكين سوف ترى غـداً ... إذا نصب الميزان وانتشرت الصحف

إخواني: واللَّه وباللَّه وتاللَّه إن ليوم القيامة أهوالاً عظيمة، وشدائدَ جسيمة وعجائب ودواهي وطوام، وأموراً عظاماً في ذلك اليوم الأجسام عارية، والأقدام حافية، والقلوب وجلة واجفة خائفة، والعقول ذاهلة، والأبصار خاشعة.

ويكفي من أهوال القيامة وكرباتها وشدائدها وأحوالها أن الطفل الصغير الذي لم

يجر عليه القلم ولم يعمل أي عمل يشيب رأسه من هول ذلك اليوم وصدق الله ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ﴾ [المزمل:١٧] .

زلزال - في أحد الدول - : تسبب في كارثة في لحظة واحدة تدمرت كل هذه البقاع وهلك مئات الآلاف من البشر ومن الحيوانات البحرية والبرية، زلزال استمر دقيقتين امتدت آثاره إلى آلاف الأميال فكيف لو طالت مدته، وكيف لو تعددت صوره في بقاع أخرى، أيها الإخوة المؤمنون إذا كانت زلزلة ثوان عملت هذا كله فكيف بزلزلة يوم يجعل الولدان شيباً؟

- إنها زلزلة هائلة تخفض وترفع وترج الأرض رجاً وتبس الجبال بساً فتجعلها هباء منبثاً.

- إنها زلزلة ضخمة تتحول الجبال معها إلى عهن منفوش. وتصير الأرض قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً.

- إنها زلزلة مرعبة تُحمل فيها الأرض والجبال فتُدكان دكة واحدة. إنها زلزلة مذهلة تنفض الأرض بسببها كل ما فيها نفضاً وتخرج أثقالها.

- وإذا نجونا من زلازل الدنيا فليس أحد منا بناج من زلزلة يوم القيامة فما أعددنا لها؟ .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ ﴾ [الحج:١-٢] .

إذا كان هذا زلزال الدنيا فكيف بيوم القيامة ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم:٤٨] .

يوم القيامة لو علمت بهوله — لفررت من أهل ومن أوطان

كأني بنفسي في القيامة واقف — وقد فاض دمعي والفرائص ترعد

في يوم القيامة يحاسب حسابا دقيقا لا يخطر على بال إنسان حتى الذرة يسأل عنها ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [الزلزلة:٧-٨] .

أما تكفيك الذرتان !!؟؟ .

« لو رمى العبد بكل معصية حجرا في داره، لامتلأت داره في مدة يسيرة قريبة من عمره، ولكنه يتساهل في حفظ المعاصي، والملكان يحفظان عليه ذلك: ﴿ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ﴾ [المجادلة:٦] » [أبو حامد الغزالي] .

هل يسرك أن يعلم الناس ما في صدرك ـ مما تحرص على كتمانه ولا تحب نسبته إليك ـ؟ قطعاً لا تحب، بل ستتبرأ منه لو ظهر؟ إذن قف مع هذه الآية متدبراً، وتأمل ذلك المشهد العظيم: ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾ [الطارق:٩]، ﴿ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ ﴾ [العاديات:١٠]، ﴿ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ ﴾: أي يوم القيامة تبلى فيه السرائر أي تظهر وتبدو ويبقى السر علانية والمكنون مشهورا .

إلى تبعات في المعاد وموقف نود إليه أننا لم نكن كنا

أخي: لو رأيت لوحة كتب عليها عبارة (خطر ممنوع الاقتراب) هل تقترب من المكان المحذور؟ بالطبع لا، سيكون كل شخص حريصاً على الابتعاد لكي لا يعرض حياته للخطر، لكن من كان يحذر خطر الدنيا ألا يخشى أخطار يوم القيام؟ سبحان الله !!! البهيمة تشفق وتخاف من القيامة ففي الحديث: (وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس؛ شفقا من الساعة؛ إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي، يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه) [مسلم] .

من آمن بذلك اليوم العصيب، والموقف الرهيب، فلماذا يقترب من محارم الله ويتعد حدوده وهو يسمع آيات التحذير تهدد من يقترب من حدود الله، ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء:١٤]، ﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ ﴾ [الأنعام:١٥] .

ما أحوج المؤمن أن يعلنها مدوية كلما أريد على دينه أو عرضت له معصية تقطعه عن سيره إلى الله فرأس الحكمة مخافة الله . قال ابن دقيق العيد :ما تكلمت كلمة . ولا فعلت فعلا إلا أعددت له جوابا بين يدي الله. وعن الْحَسَنِ، قَالَ: « مَا نظرت بِبَصَرِي، وَلا نَطَقْتُ بِلِسَانِي، وَلا بَطَشْتُ بِيَدِي، وَلا نَهَضْتُ عَلَى قَدَمَيَّ، حَتَّى أَنْظُرَ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ عَلَى مَعْصِيَةٍ، فَإِنْ كَانَتْ طَاعَةٌ تَقَدَّمْتُ، وَإِنْ كَانَتْ مَعْصِيَةٌ تَأَخَّرْتُ » .

بكى أبو شريح فقيل له ما يبكيك؟ قال: « تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي ». فينبغي للعاقل اللبيب أن لا يُضيّع أيّام صحته وفراغ وقته بالتقصير في طاعة اللّه، وألا يثق بسالف عمل، ويجعل الاجتهاد غنيم صحته، ويجعل العمل فرصة فراغه، فليس الزمان كله مستعداً، ولا ما فات مستدركاً» .

وعن ابن عبّاس رضي اللّه عنهما، عن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (نعمتان مغبون فيهما كثير من النّاس: الصِّحةُ والفراغ) [رواه البخاري] .

فعش حياة البساطة إياك والرفاهية والإسراف فكلما ترفه الجسم تعقدت الروح.. انظر إلى من هو دونك في الجسم .. والصورة .. والمال .. والبيت .. والوظيفة .. والذرية .. لتعلم أنك فوق ألوف الناس لا تعش في المثاليات .. بل عش واقعك .. فأنت تريد من الناس ما لا تستطيعه . فكن عادلا .. زر المستشفى .. لتعرف نعمة العافية .. والسجن .. لتعرف معنى الحرية .. والصحة النفسية لتعرف نعمة العقل .. لأنك في نعم لا تدري بها .. اهجر العشق والغرام والحب المحرم .. فإنه عذاب للروح ومرض للقلب .. وافزع إلى اللّه .. فإنه الركن .. إن خانتك أركان .. ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك .. وجف القلم بما أنت لاق .. ولا حيلة لك في القضاء لا تظن أن الحياة كملت لأحد .. من عنده بيت ليس عنده سيارة .. ومن عنده زوجة ليس عنده وظيفة .. ومن عنده شهية قد لا يجد الطعام .. ومن عنده المأكولات منع من الأكل .. من يؤخر السعادة حتى يعود ابنه الغائب .. ويبني بيته .. ويجد وظيفة مناسبة .. إنما هو مخدوع بالسراب .. مغرور بأحلام اليقظة إذا وقعت عليك مصيبة أو شدة .. فافرح بكل يوم يمر .. لأنه يخفف منها .. وينقص من عمرها .. لأن للشدة عمرا كعمر الإنسان ... لا تتعداه .. الأعمى يتمنى أن يشاهد العالم .. والأصم يتمنى سماع الأصوات ... والمقعد يتمنى المشي خطوات ... والأبكم يتمنى أن يقول كلمات ... وأنت تشاهد وتسمع وتمشي وتتكلم ... فكن من الشاكرين ... ينبغي أن يكون لك حد من المطالب الدنيوية تنتهي إليه .. فمثلا تطلب بيتا تسكنه ... وعملا يناسبك ... وسيارة تحملك .اما فتح شهية الطمع على مصراعيها .. فهذا شقاء ..لماذا تفكر في المفقود؟؟ ولا تشكر على الموجود ؟؟ !وتنسى النعمة الحاضرة! وتتحسر على

النعمة الغائبة ؟؟؟وتحسد الناس وتغفل عما لديك ؟؟ تذكر دائما قول الرسول صلى الله عليه وسلم ..(من أصبح منكم آمنا في سربه .. معافى في جسده .. عنده قوت يومه .. فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها) [الترمذي وحسنه الألباني (صحيح الترغيب والترهيب)]. فهل أنت محروم ؟؟؟ أم من الذين حيزت لهم الدنيا وما فيه نحمد الله ونشكره على نعمه .

نحن لسنا من السكّان الأصليين لهذا الكوكب الأرض بل نحن ننتمي إلى الجنة حيث كان أبونا يسكن في البداية لكننا نزلنا هنا مؤقتاً لكي نؤدي اختيارا قصيرا ثم نرجع بسرعة فحاول أن تعمل ما بوسعك للحاق بقافلة الصالحين التي ستعود إلى وطننا الواسع الجميل ولا تضيع وقتك في هذا الكوكب الصغير!

خاطب نفسك : لا أعلم في أي لحظة يتوقف نفسي أو دقات قلبي أنا قائم أو ماش أو نائم فأرحل من الدنيا . فكيف حياتي ومستقبلي ومصيري وعيشي بعد الموت هل أنا في نعيم أم في جحيم ؟؟

عبد الله وتذكر دائماً أن السموات والأرض ﴿ قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾ [فصلت: ١١] فتخجل أن يذهب الكون كله طائعاً وتكون أنت الوحيد الذي يدير ظهره ويقول لا أريد أن أطيع !؛ لأنه سيأتي بك مكرهاً ﴿ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ١١ ﴾ [فصلت: ١١] فلا تقل أنت غير ذلك.

وقال ابن القيم: من هداية الحمار – الذي هو أبلد الحيوانات – أن الرجل يسير به ويأتي به إلى منزله من البعد في ليلة مظلمة فيعرف المنزل فإذا خلى جاء إليه، ويفرق بين الصوت الذي يستوقف به والصوت الذي يحث به على السير فمن لم يعرف الطريق إلى منزله وهو الجنة فهو أبلد من الحمار.

إذا خفت الطريق وقل الرفيق وابتعد الصديق فلا تقف لأن الجنة أغلى مما يعيق سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله هي الجنة .

عبد الله الجنة وما أدراك ما أهل الجنة أهل الجنة ملوك آمنون وفي أنواع السرور يمتعون ولهم فيها كل ما يشتهون وإلى وجه الله ناظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون لا يخافون ولا يحزنون ومن ريب المنون آمنون وهم فيما اشتهت أنفسهم

خالدون مفتحة لهم الأبواب. من ذا الذي يقوى على وصف نعيمهم وسرورهم أم من ذا الذي يحسن التعبير عن عيشهم وسعادتهم والله تعالى مكرمهم يقول: ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [الإنسان: ٢٠] فيها فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال. قال تعالى ﴿ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ [الإنسان: ١٩] تأمل هذا وصف الخدم، فما ظنك بالمخدومين ؟!

وهناك أعظم نعمة على الإطلاق وهي النظر إلى وجه الله. فبعد الفوز بالجنان من القصور والحور وما أخفاه الله لنا من قرة أعين هناك أفضل من ذلك وأعلى وهو النظر إلى وجهه الكريم الذي هو غاية الحسنى، ونهاية النعمة، وكلّ نعمةٍ في الجنة وكلّ لذة من لذاتها يُنسى بالنسبة إلى لذة اللقاء والنظر إلى وجه الله تعالى كما في الصحيحين -أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نظر إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته) وفي رواية للبخاري (إنكم سترون ربكم يوم القيامة عياناً). يا الله يا الله هذا لذة الخبر فكيف لذة النظر؟ .

إخواني إن أعلى وأغلى وأسمى وأنفس وأسنى وأتم وأكمل وألذ وأطيب وأحلى وأهنا متعة ولذة وأنس وسعادة رؤية وجه الله تعالى ذي الجلال والإكرام والجمال والكمال والعظمة المتعال نرى الله نرى الله هل هناك نعيم أعظم من ذلك لا والله الذي لا إله إلا هو لا نعيم بعد ذلك فالجنة ليست اسما لمجرد الأشجار والفواكه والطعام والشراب والحور العين والأنهار والقصور وأكثر الناس يغلطون في مسمى الجنة فإن الجنة اسم لدار النعيم المطلق الكامل ومن أعظم نعيم الجنة: التمتع بالنظر إلى وجه الله الكريم وسماع كلامه وقرة العين بالقرب منه وبرضوانه فلا نسبة للذة ما فيها من المأكول والمشروب والملبوس والصور إلى هذه اللذة أبدا فأيسر يسير من رضوانه: أكبر من الجنان وما فيها من ذلك كما قال تعالى ﴿ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة: ٧٢] رؤية الله هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة، والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة، بلغنا الله منها ما نرجو.

فيا سبحان الله!! أهل الجنة يتقلبون بين شتى المطايب والمكرمات، ويعانقون الغيد عناق الأغصان المتآلفات، ويرتعون في مسارح اللذات والمسرات؛ ورغم هذا وذاك لا

يعطون شيئاً أحب إليهم من النظر إلى رب الأرض والسموات، فيا لكرامة نزلهم، وسعد تلك الأطراف الناظرات.

اللَّه أكبر تخيل ملك الملوك الجبار رب الأرض والسماء خالق الأكوان والأفلاك ويأتي إلينا ويسألنا يا أهل الجنة هل رضيتم ؟؟ يأتي اللَّه رب الأرباب ويسألنا في الجنة هل رضيتم؟؟ من نحن لكي لا نرضى يا رب بعد كل هذا النعيم.

يقول المولى عز وجل ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ليس إلى جمال صنع اللَّه ولكن إلى جمال وجلال وكمال ذات ذي العزة والجلال فوا اللَّه ما طابت الدنيا إلا بذكره ولا الآخرة إلا بجنته ولا الجنة إلا برؤيته، هنالك تهنأ الأرواح برؤية اللَّه التي هي الغاية القصوى في نعيم الآخرة والدرجة العليا من عطايا اللَّه الفاضلة (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا) [البخاري٥٧٣ ومسلم] . فالمحافظة على هاتين الصلاتين سبب في أعظم مغنم أهل الجنة وهي رؤية اللَّه عز وجل ومن لا يحافظ عليها لا يرجو رؤية اللَّه عز وجل .

أسألك باللَّه إن كنت صادقاً فأين صليت الفجر اليوم ؟؟ في جماعة المسلمين أم كنت في ركب المتخلفين؟؟ اسمع المحب الصادق وهو يقول:

- سنة ما فاتتني تكبيرة الإحرام .

- والآخر يقول سنة ما فاتتني صلاة الجماعة .

أما ترون أننا بحاجة لمراجعة حساباتنا في محبتنا؟؟

ألا يا نفس ويحك ساعديني	بسعي منك في ظلم الليالي
لعلك في القيامة أن تفوزي	بطيب العيش في تلك العلالي

السعيُد منِ اعتبر بأمسِه، ونظر لنفسه، وأعدَّ لرمسِه وراقبَ اللَّه في جهرِه وهمسِه.

يا أيها العبد المريد نجاته	جد المسير لجنة الرضوان
فقر القلوب إلى الإله ضرورةٌ	يا ويل قلب باءَ بالحرمان

تساؤلات

يا مسلم هل همك الأول طلب رضا اللّه ؟ ؟ ؟

أخي في اللّه: إنني أريد منك الآن أن تأتي بورقة وقلم، وتبدأ بكتابة همومك الشاغلة .، وتضعها مرتبة حسب الأولويات، وأنا أقصد الهم الذي يشغل بالك، وتجري وتتحرك في نطاق هذا الهم . أريدك أن تصدق مع اللّه لأنه من السهل أن تكتب أنك تحمل هم الإسلام، ولا يحضر لك هذا على بال أصلاً أريدك أن تنفرد بنفسك، أن تتقي اللّه عزوجل، وتنظر فعلاً ما الذي يهمك . . ؟ هل ستجد ما يهمك هو هم الإسلام . . هم العقيدة.. هم الدين .. أو أننا سنفاجأ بأن الهموم قد تشعبت ؛ هم الوظيفة . . هم الزواج . . طلب الرزق . . التعليم . . إلخ . لا شك أن هم الإسلام سيأتي، ولكن ربما في المرتبة الرابعة .. الخامسة.. وربما بعد ذلك .هذا إذا كنا صادقين .. وكل هذا نتيجة لعدم توقير اللّه في قلبك حق الوقار. وحق التعظيم المطلوب أن يكون طلب رضا اللّه هو الهم الأول والأوسط والأخير، بمعنى أن يكون الهم كله في كل مناحي الحياة هو طلب رضا الملك جل جلاله . ومن جعل الهموم هماً واحداً كفاه اللّه همه .

كما قال الشاعر يخاطب ربه:

فليتك تحلو والحياة مريرة ... وليتك ترضى والأنام غضاب

وليت الذي بيني وبينك عامر ... وبيني وبين العالمين خراب

إذا صح منك الود فالكل هين ... وكل الذي فوق التراب تراب

فإذا كان رضا اللّه أكبر همك فادع إلى الله

أرواحنا.. أرزاقنا.. أيامنا.. حياتنا كلها من اللّه وإلى الله.. فلتُبذل في سبيل اللّه.

عبد اللّه: اللّه اللّه في الدعوة إلى اللّه والنصح لخلق اللّه : يقول جرير بن عبد اللّه البجلي رضي اللّه عنه : (بايعت رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم) [مُتَّفق عليه : أخرجه البخاري (٥٧) ومسلم (٥٦)] . وقولِ النبي صلى اللّه عليه وسلم : (لا يُؤمِنُ أحدكم حتى يُحب لأَخيه ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ) [متفقٌ عليه : أَخْرَجَهُ : البخاري (١٣) ومسلم (٤٥)] .

قال السعدي : عنوان سعادة العبد: إخلاصه للمعبود وسعيه في نفع الخلق .

اعلم أخي: أن هـذا الدين عزيز وغالٍ لا ترتقي إليه همـة الضعفاء والعجزة، وأن اللّه تكفل بحفظ هذا الدين ولو كره الكافرون، طال الزمن أو قصر . لذا لا يسوغ للمسلم أن يمنح نفسـه إجازة من العمل للدعوة إلى اللّه، وإن نكوص البعض عـن الدعوة لا يزيد النفـوس المؤمنة إلا مضاء وثباتاً، وهذه هي طريق الأَنبياء . يقول ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله) [رَوَاهُ مسلمٌ في صحيحهِ والتِّرْمِذِيُّ في سُننه] وقال ﷺ: (من دعا إلى هدى كان لـه من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أُجورهم شـيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص من آثامهم شيئاً) [مسلم] ، فتخيل أيها المسلم ! عظمة الذي يأتيك من الأجر فكيف لو هدى اللّه على يديك ملايين ؟ فهنيئاً لك أيها الداعية هذا الخير العظيم، فكيف تنشغل أيها المسلم عن الدعوة إلى اللّه وتترك هذا الخير العظيم؟ أما علمت أنك حين تنشغل بالدعوة إلى اللّه تنام ويأتيك أجر، وتموت ويأتيك أجر ؟ أفلا يحملك هذا الفضل ألا تدخر وِسعاً، ولا تأو جهداً إلا بذلته في الدعوة ؟ .ألا يحملك هـذا الفضل العظيم أن تدعو الناس سـراً وجهـاراً، وليلاً ونهـاراً، طمعاً في هذا الأجر العظيم الذي هو خير لك من الدنيا وما فيها؟ أنسـيت قـول المولى عزل وجل: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس:٥٨] ، وأي فضل عليك أعظم من أن يصطفيك اللّه ويجتبيك للعمل في الدعوة إليه ؟ أمـا تعلم أن هذا العمل عمل المرسـلين الذيـن اصطفاهم اللّه من خلقه، وعمـل المصطفين من أتباعهم؟ فكما اصطفى اللّه الأنبياء لهـذا الواجب، اصطفـى من جملـة الأتباع من يقـوم بهذا الواجب أيضاً، إنّكَ واللّه لو عقلت لبكيت على عدم كونك من الدعاة، لأَنَّكَ لست من المصطفين . فلا تنس أن تترك لك بصمة في خدمة دينك .

والدعوة إلى اللّه صمام أمان وسفينة نجاة للمجتمعات وكلما غابت هذه الشعيرة العظيمة انتشرت الشرور والفتن والشرك والبدع والمنكرات كالأمواج الهائجة والجمال الهادرة فعلى الدعاة في كل مكان دعوة هؤلاء الجهال بالحكمة والموعظة الحسنة والصبر والتحمـل فمـن صـبر ظفـر ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود:١١٧]، تأمل في الجملة الأخيرة ﴿ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ ولم يقل : صالحون؛

لأن الصلاح الشخصي المنزوي بعيدا، لا يأسى لضعف الإيمان، ولا يبالي بهزيمة الخير، فكن صالحا مصلحا، وراشدا مرشدا .

يقول الإمام ابن تيمية : (لا تظن أن الأمانة أن تتوضأ برطل من ماء وتصلي ركعتين في المحراب.إنما الأمانة أن تحمل هذا الدين وتحمله للناس) . الإسلام كائن بك أو بدونك، أما أنت فإما أن تكون أو لا تكون كثير من أبناء الإسلام يرى أنه لا يصلح لخدمة الدين إلا العلماء والدعاة الذين لهم باع طويل في العلم والدعوة، فإذا قارن حاله بحالهم وجد مسافة بعيدة فلا يلبث أن يضعف عزمه، وتفتر همته، فيعيش سلبيا لا يقدم لدينه ! لا، بل كل فرد مهما كانت حاله يصلح لنصرة دينه إذا سلك الطريق الصحيح في ذلك .

قال تعالى : ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ﴾ [يس: ٢٠] فاعتبر!

يقول أحد الدعاة رأيت مغنيا مشهورا طالما فتن الشباب والفتيات، فقررت أن لا أدعه حتى أنصحه، فسلمت عليه، وألهمني الله أن ألقي في أذنه قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠ ﴾ [البروج: ١٠] . ثم ذهبت، فوالله ما مرت أيام إلا وقرأت خبر توبته في الصحف فما أجمل الوعظ بالقرآن إذا صادف انتقاء حسنا، وقلبا واعيا!

يا مسلما تدعي الإسلام مجانا   هلا أقمت على دعواك برهانا

قال ابن القيم رحمه الله : (الدعوة إلى الله أشرف مقامات العبد وأجلها وأفضلها) لقد كان نبي الله إبراهيم يحمل هم هداية الأجيال القادمة، ولم يقصر نظره على جيله، أو بيته، أو أهله، فقال : ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ ﴾ [البقرة:١٢٩] فيا له من هم ما أكمله، ويا لها من نفس ما أزكاها؟! [د . محمد الخضيري] .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ ﴾ [النمل:١٨] .

نملة هنا نكرة، لم يقل (النملة)، فهي نملة نكرة حملت هم أمة فأنقذتها، أليس الخطر الذي يهدد أمتنا أعظم من الخطر الذي هدد نمل سليمان؟ كم منا من يحس بإحساس النملة، ويسعى منقذا لأمته؟

وهـذا عمر أمير المؤمنين الفاروق ليعطي الدروس على فراش الموت وهو على فراش المـوت في آخر رمق من حياته لا يذهل عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دخل ألوف من الناس يعودونه وهو في لحظاته الأخيرة يودع الدنيا، وأخذ ينظر إليهم بطرف عينيه الذابلتين وهو لا يكادُ يقوى على النّطق بكلمة، وحدث أن دخل عليه في هذه اللحظات شاب من الأَنصار يلبس جِلْباباً إلى تحت كعبيهِ، ينظر إليه عمر وأشار إليه أن أقبل، ثم أمره أن يقترب إلى فمه ليسـمع همسـاته التي سيهمسـها إليه، فلمّا فعل، قال : (يا أخي قَصِّر ثِيابَك، فإنَّ هذا أطهر لصلاتك وأَنقى لِثَوبك) . اللَّه أكبر وهو على فراش الموت لم يشغله ما هو فيه من أن يعطي الدروس للأُمة، للَّه درك يا عمر، فهل تلد لنا الأُمهات من أبناء الإسلام شبيهاً بعمر ؟

قال رسول اللَّه ﷺ: « من دل على خير فله مثل أجر فاعله » [رواه مسلم] قال النووي -رحمه اللَّه- دل بالقول، واللسان، والإشارة، والكتابة .

(إن من الناس ناسـاً مفاتيح للخير مغاليق للشـر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليـق للخير، فطوبى لمن جعـل اللَّه مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل اللَّه مفاتيح الشر على يديه) [(حديث حسن) انظر :(صحيح الجامع رقم: ٢٢٢٣)] .

انتبه : اعلم يا مسـلم أن الهاتف المتنقل والشـبكة العنكبوتية - احترس أنت مراقب في كل ما تفعله على الانترنت - فرصة عظيمة جدا لمناصحة الغافلين وتعليم الجاهلين وتذكير العاصين فاغتنم ذلك وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين وأنت في أي وقت وزمان ومكان بل وأنت في بيتك وبين أهلك تستطيع تدعو وتنصح وتذكر بالهاتف المتنقل وبالشبكة العنكبوتية الكثير الكثير وإن كانوا في بلاد نائية فللَّه الحمد للَّه الحمد والشكر على التيسير يهتدي عليك كثير ويتوب الكثير وتنقذ من الضلالة الكثير وأنت في بيتك مقيم .

أقول : كم يسـعد المرء في آخـر لحظات العمـر أن ينظـر وراءه نظرة سـريعة فيرى حياة مباركة مليئة بالأعمال الخيِّرة حافلة بالصالحات، ويرى رجالاً اهتدوا على يديه فأصبحوا مشاعل هداية ودعاة حق .

فـلا يأس ولا قنـوط أيها الداعية فمـا أحوجنا – أهل القرآن – أن نحسـن الظن بربنا مهمـا طال الزمن واشـتدت المحن، قال تعـالى – في الحديث القـدسي –: (أنا عند ظن عبدي بي، فليظن بي ما شاء) [صحيح الجامع رقم (٤٣١٦)] .

قولـه تعـالى :﴿ يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧ ﴾ [يوسف:٨٧] رغم كثرة المصائب وشدة النكبات والمتغيرات التي تعاقبت على نبي الله يعقوب عليه السلام، إلا أن الذي لم يتغير أبدا هو حسن ظنه بربه تعالى .

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا ﴾ [يوسـف:١١٠]. هذه الآية تجعل الداعية يترقب الخروج من الضيق إلى السـعة، مبشـرة بعيشة راضية، ومسـتقبل واعد، رغم المحن القاسية، والظروف المحيطة ؛فالحوادث المؤلمة مكسبة لحظوظ جليلة من نصر مرتقب، وثواب مدخر، وتطهير من ذنب، وتنبيه من غفلة، وكل ذلك خير، فـ (عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير) [مسلم] ، فلماذا اليأس والقنوط ؟

و لا تضعـف أو تجبن أمـام المنافقـين فـالله قـال عنهـم : ﴿ ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة:٧٩] . هكـذا المنافق : شـر على المسـلمين، فإن رأى أهـل الخير لمزهـم، وإن رأى المقصرين لمزهم، وهـو أخبث عباد الله، فهو في الدرك الأسفل من النار .والمنافقون في زمننا هذا إذا رأوا أهل الخير وأهل الدعوة، وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قالوا : هؤلاء متزمتون، وهؤلاء متشددون، وهؤلاء أصوليون، وهؤلاء رجعيون، وما أشبه ذلكم من الكلام [ابن عثيمين]

﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ ﴾ [الفرقان:٧٢]. كثيرون يحملون معنى هذه الآية على الشهادة بالزور فقط، وهذا فهم قاصر ؛ فالمعنى أعم من ذلك وأعظم، فكل منكر زور، فمن علم به ولم ينكره بلا عذر فقد افتقد صفـة عظيمة من صفات «عباد الرحمن» وكفى بذلك خسرانا مبينا [أ.د.ناصر العمر] .

فادع واعف واصفح وتجاوز واسـمح عن كل من أساء إليك. يزداد التعجب ويشتد الاسـتغراب من أناس يقرؤون سـورة يوسـف ويرون ما عمله إخوته معه عندما فرقوا

بينه وبين أبيه، وما ترتب على ذلك من مآسي وفواجع : إلقاء في البئر، وبيعه مملوكاً، وتعرضه للفتن وسجنه، واتهامه بالسرقة .. بعد ذلك كله يأتي منه ذلك الموقف الرائع ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [يوسف:٩٢] ، يرون ذلك فلا يعفون ولا يصفحون ؟ فهلا عفوت أخي كما عفا بلا منّ ولا أذى ؟ ألا تحبون أن يغفر الله لكم ؟ أتحب أن يعفو الله عنك، ويغفر لك ؟ إنه عمل سهل ؛ لكنه عند الله عظيم !

وهذا يتحقق لك بأن تعفو وتصفح عن كل مسلم أخطأ في حقك، أو أساء لك، أو ظلمك، فإن استثقلت نفسك هذا، فذكرها قول ربها : ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور:٢٢] [د . محمد العواجي] .

ما أجمل أن تختم يومك ويكون قلبك خالياً من الغل أو الحقد أو الضغينة على كل مسلم.

علق العلامة السعدي على قوله تعالى :﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] بقوله : «فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله، ويدعي اتباعه والإقتداء به، أن يكون كلاً على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه ؟ !» .

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ليعتبر بهذه الآية من يتولى أمرا يستدعي أن يكون بجانبه أصحاب يظاهرونه عليه حتى يعلم يقينا أن قوة الذكاء وغزارة العلم، وسعة الحياة وعظم الثراء : لا تكسبه أنصارا مخلصين ولا تجمع عليه من فضلاء الناس من يثق بصحبتهم إلا أن يكون صاحب خلق كريم، من اللين والصفح والاحتمال.

إذا لم يكن لديك شيئاً تعطيه للآخرين، فتصدّق بالكلمة الطيبة، والابتسامة الصادقة، وخالق الناس بخلق حسن.

يا مسلم أدع الله وادع إلى الله ليلا نهارا سرا جهارا لا تمل أو تكل أو تضعف أو تيأس أو تحزن من عدم الاستجابة من العاصي أو من الله مع كثرة إلحاحك أو تستعجل النتائج فأنت في خير وإلى خير وعلى خير وتذكر قول الله ﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ [القصص:٨٢]، وهم بالأمس يتضرعون:﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾﴾ [القصص:٧٩]، قف متأملا متدبرا : كم دعوة حزنت على عدم استجابة

الله لك إياها ؟بل قد يسيء البعض بربه الظن، فيخالطه شك أو ريبة أو قنوط !وما علم المسكين أن خيرة الله خير من خيرته لنفسه، كما صرف الشر عن أصحاب قارون، ولكن ﴿ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص: ٨٠]، ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾ [الفرقان: ٣١] .

تأمل ما في هذه الآية من سنة المدافعة .. نعم : ادع الناس لكن لا تتصور أن الدنيا ستستقيم بدعوتك ! فوالله لو قام صالح في رأس جبل .. لقيض الله له من يعاديه في رأس جبل [د. عايض القرني] .

﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ ﴾ [الزمر: ٥٣] إنها الرحمة التي تسع كل معصية مهما كانت، إنها دعوة العصاة المبعدين في تيه الضلال إلى الأمل والثقة بعفو الله، فإذا ما تسلطت عليه لحظة يأس وقنوط، سمع هذا النداء الندي اللطيف، الذي يعلن أنه ليس بين المسرف على نفسه إلا الدخول في هذا الباب الذي ليس عليه بواب يمنع، ولا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان. [في ظلال القرآن] .

وتذكر عظمة رحمته وجوده وعفوه : الله أرحم الراحمين، يعرض رحمته جلّ في علاه على عباده، ويحذرهم من القنوط منها : ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾. [الزمر: ٥٣] وفي الحديث (يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) [رواه البخاري] . غفر سبحانه لامرأة بغي من بني إسرائيل لما سقت كلباً يلهث من شدة العطش، ففي الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعا : (بينما كلب يطيف بركية كاد يقتله العطش إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل فنزعت موقها فسقته فغفر لها به) وغفر لمن تاب بعدما قتل مائة نفس بغير حق لما علم صدق توجهه، وشكر لرجل وغفر لأنه أزاح غصن شجرة عن طريق الناس ففي الحديث : (مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق فقال : والله لأنحين هذا عن المسلمين لا يؤذيهم فأدخل الجنة) [مسلم] .

وفي رواية لهما (بينما يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق فأخره فشكر الله له فغفر له)، وهو الذي قال وأثبت عن نفسه: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف:١٥٦]، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر:٧]، ولما خلق الخلق كتب في كتاب هو عنده فوق العرش (إن رحمتي تغلب غضبي) [البخاري]، وقال ﷺ: (إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فبها يتعاطفون وفيها يتراحمون، وأخّر تسعاً وتسعين رحمة، يرحم بها عباده يوم القيامة) [متفق عليه].

أنا العبد الذي كسب الذنوبا ... وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزينا ... على زلاته قلقاً كئيبا
أنا العبد المسيء عصيت سراً ... فمالي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري ... فلم أرعَ الشبيبة والمشيبا
أنا العبد الغريق بُلجٍّ بحر ... أصيح لربما ألقى مجيبا
أنا العبد السقيم من الخطايا ... وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا الغدّار كم عاهدت عهداً ... وكنت على الوفاء به كذوبا
فيا أسفي على عمر تقضّى ... ولم أكسب به إلا الذنوبا
ويا حزناه من حشري ونشري ... بيوم يجعل الولدان شيبا
ويا خجلاه من قبح اكتسابي ... إذا ما أبدت الصحف العيوبا
ويا حذراه من نار تلظى ... إذا زفرت وأقلقت القلوبا
فيا من مدّ في كسب الخطايا ... خطاه أما آن الأوان لأن تتوبا

فاسلك عبد الله طريق النجاة بفعل المأمور وترك المحظور والتوبة التوبة إلى التواب الرحيم الغفور. أخي احمد الله أن مدّ الله في عمرك ولم يقبض نفسك وأنت في غيك وإعراضك وغفلتك. أخي بادر بالتوبة وانفض عن نفسك غبار الغفلة واعلم أن باب التوبة مفتوح وأن عطاء ربك ممنوح وأن فضله يغدو ويروح واعلم أن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وأن الله يبدل سيئاتك حسنات وأن الله يفرح بتوبتك.

سئل الإمام أحمد متى يجد العبد لذة الراحة ؟ قال: عند أول قدم يضعها في الجنة وتقر عينه برؤية الله. فلا تحسبن الطريق إلى الله مُمهداً بالورود، بل لابد من صعوبات وجهود، إلى أن نصل إلى دار الخلود ! ألا تريد الجنة يا أخي؟ تخيّل يا أخي النظر إلى وجه ربك الكريم في الجنة وتخيّل أنك تصافح نبيك محمداً صلى الله عليه وسلّم وتقبله وتجالس الأنبياء والصحابة في الجنة، قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ [النساء: ٦٩]، وتخيّل أخي نفسك وأنت في النعيم المقيم في جنات عدن بين أنهار من ماء وأنهار من لبن وأنهار من خمر وأنهار من عسل مصفى وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، ولك فيها ما تشتهيه نفسك وتلذ عينك، تخيّل كل هذا النعيم في جنة عرضها السماوات والأرض، وتخيّل في مقابل ذلك النار وزقومها وصديدها وحرها الشديد وقعرها البعيد، وعذاب أهلها الدائم الذي لا ينقطع قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحج: ٢٢]، تخيّل كل ذلك لعله أن يكون عوناً لك على التوبة والإنابة والرجوع إلى الله، ووالله إنك لن تندم على التوبة أبداً، بل إنك سوف تسعد بإذن الله في الدنيا والآخرة سعادة حقيقية، لا وهمية زائفة، فجرّب يا أخي هذا الطريق من اليوم ولا تتردد، ألست تقرأ في صلاتك كل يوم: {اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيم} [الفاتحة: ٦]، فما دمت تريد الصراط المستقيم فلماذا لا تسلكه وتسير فيه !! وأخيراً هنيئاً للتائبين محبة الله لهم قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، هنيئا لهم بقول الله: ﴿ ۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

عَنْ إِدْرِيسَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيِّ، قَالَ: (مَرِضَ أَعْرَابِيٌّ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّكَ تَمُوتُ قَالَ: وَأَيْنَ أَذْهَبُ ؟ قَالُوا: إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: فَمَا كَرَاهَتِي أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَنْ لا أَرَى الْخَيْرَ إِلا مِنْهُ) وقال البيهقي في «الشعب»: (قال بعضُ الحكماء في مناجاته: إلهي، لو أتاني خبرٌ أنَّك غيرُ قابل دعائي، ولا سامع شكواي، ما تركت دعاءَك ما بلَّ ريقٌ لساني، أين يذهب الفقيرُ إلا إلى الغني؟ وأين يذهب الذَّليل إلا إلى العزيز؟ وأنت أغنى الأغنياء، وأعزُّ الأعزاء يا رب).

واسمع كلام العارفين بالله الراجين رحمته قال أيوب السختياني: (إن رحمة قسمها في دار الدنيا وأصابني منها الإسلام إني لأرجو من ٩٩ رحمة ما هو أكثر من ذلك).

وقال بعض العباد: (لما علمت أن ربي عز وجل هو الذي سيحاسبني زال عني حزني لأنه الكريم الذي إذا حاسب عبده تفضل) . يا الله يا الله لو يعلم المدبرون عنه كيف انتظاره لهم ورحمته إياهم وشوقه إلى ترك معاصيهم لتقطعت أوصالهم شوقاً إليه هذه إرادته في المدبرين عنه فكيف بالمقبلين عليه ؟؟ .

وإني لأرجو الله حتى كأنني	أرى بجميل الظن ما الله صانع

قال ابن المبارك: (جئت إلى سفيان الثوري عشية عرفة وهو جاثٍ على ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له : من أسوأ هذا الجمع حالاً ؟؟ قال : الذي يظن أن الله لا يغفر لهم أليس هو الذي قال: ورحمتي وسعت كل شيء)، يا الله من الذي يحصي نعمك ويقوم بأداء شكرك ؟؟إلا بتوفيقك وإنعامك وفضلك .

وإني لأدعو الله أطلب عفوه	وأعلم أن الله يعفو ويغفر
لئن عظم الناس الذنوب فإنها	وإن عظمت ففي رحمة الله تصغر

يقول ابن الربيع ابن خثيم: (لما احتضر أبي بكت أختي فقال لها: يا بنية لا تبكي ولكن قولي يا بشرى فاليوم ألقى ربي) .

وكانت امرأة متعبدة تقول: (والله لقد سئمت الحياة ولو وجدت الموت يباع لاشتريته شوقاً إلى الله تعالى وحباً للقائه فقيل لها: أفعلى ثقة أنت من عملك ؟؟ فقالت: لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني به اشتقت إلى لقياه أفتراه يعذبني وأنا أحبه قلت أنا: لا والله فإنه يحبهم ويحبونه) .

وما أحسن حسن الظن بالله والرجاء بالله فمن أحب شيئاً أحسن ظنه به ورجاه.

قال الربيع ابن أنس: (علامة حب الله كثرة ذكره والشوق إلى لقائه فمن أحب شيئاً أكثر من ذكره وأحب لقائه).

إذا أتعبتك آلام الدنيا فلا تحزن فربما اشتاق الله لسماع صوتك وأنت داع لا تنتظر السعادة حتى تبتسم، ولكن ابتسم حتى تكون سعيد لماذا تدمن التفكير والله ولي

التدبير ولماذا القلق من المجهول وكل شيء عند الله معلوم لذلك اطمئن، فأنت في عين الله الحفيظ وقل بقلبك قبل لسانك: فوضت أمري إلى الله وتذكر أن الرب رحيم كريم ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [غافر: ٤٤] .

كيف أحزن ولي ربّ إن شكرتُهُ على نعمة زادني .. وإن ظلمتُ نفسي اشتاق لسماع صوتي وانتظر عودتي.

فيا ويل من أغلق باب التوبة عن العصاة وقنطهم من رحمة الله وقال بأن الله لا يغفر لفلان وفلان بعيد عن الهداية فلان ما الله هاديه فهذا وأمثاله جاهل متأل على الله حجر رحمة الله . هذه وسوسة إبليس يقول للعاصي أنت فعلت وفعلت أنت ارتكبت الكثير الكثير كيف تتوب كيف يغفر الله لك الله لا يقبل توبتك لا تتعب نفسك ابق على ما أنت عليه خير لك وهكذا ولا يزال الشيطان يقذف عليه بمثل هذه الوساوس والأوهام حتى ييأس العاصي ويقنط من رحمة الله ونسي هذا المسكين أن من قال ذلك فهذا قد ارتكب جرما عظيما وافتات على الله وتألى عليه، فقد ثبت في صحيح مُسلم (٢٦٢١) من حديثِ جُنْدَبٍ : (أَنَّ رسول الله ﷺ حَدَّثَ أَنَّ رَجُلاً قَالَ : وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : (مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّى عَلَيَّ أَنْ لا أَغْفِرَ لِفُلانٍ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ) ومن الذي يغفر الذنوب هو أم الله ؟ ﴿وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥] ، إلا الله إلا الله ونسي هذا الجاهل أن قول الله ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ﴾ [الزمر: ٥٣] هي أفرح آية في كتاب الله وهي مطلقة بغفران كل ذنب كائنا ما كان مهما كان لو كان ما كان إلا ما أخرجه النص القرآني ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨] . ومن تاب من الشرك تاب الله عليه بل يبدل سيئاته حسنات وتأمل قوله تعالى ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسۡتَغۡفِرُونَهُۥۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٣-٧٤] .

من قال : إن الله ثالث ثلاثة فتوبته مقبولة فكيف بمن زنا وقتل وفعل الفواحش وارتكب ما ارتكب وهو موحد بل أين هو من حديث قاتل المائة وهو مخرج في الصحيحين. فمن يحول بينك وبين التوبة بل قنوطه أعظم إثما وجرما ومعصية قنوطه من ذنوبه أعظم مما ارتكب وانتهك وأجرم وأسرف فليكن هذا الأمر على بالك ولا تجاوزه فتشقى

وتذكر الحديث (يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا) [متفق عليه] . ولنحرص على عدم الفضيحة من أسباب الستريوم القيامة ; ألا تفضح مسلما، ولا تفرح أبداً بفضيحته، ولا تسعى بأي طريقة في فضيحة أحد وقع في معصية، فباب التوبة مفتوح فلا تدري لعل اللَّه يتوب عليه فيبقى عليك إثم نشر فضيحته وكلما استطعت أن تستر على مسلم فاستر، فإذا جاءك في جوالك مثلاً مقطع لفضيحة أحد فأول ما تفعله أن تسأل اللَّه العافية ثم امسح ذلك المقطع، واحتسب ذلك الستر على أخيك المسلم عند اللَّه يوم القيامة.

تنبيه مهم: هناك فرق بين الرجاء والأماني ومما ينبغي أن من رجا شيئا استلزم رجاؤه ثلاثة أمور:

أحدها : محبة ما يرجوه.

الثاني : خوفه من فواته.

الثالث : سعيه في تحصيله بحسب الإمكان.

وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني، والرجاء شيء والأماني شيء آخر، فكل راج خائف، والسائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات .

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ: (من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة اللَّه غالية، ألا إن سلعة اللَّه الجنة) روى الطبراني عن الحسن البصري أنه قال: «إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. يقول أحدهم: إني لحسن الظن باللَّه وأرجو رحمة اللَّه، وكذب، ولو أحسن الظن باللَّه لأحسن العمل للَّه، ولو رجا رحمة اللَّه لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة -الصحراء- من غير زاد ولا ماء أن يهلك».

أخي المسلم : ليكن همك كيف يظهر الدين وضاعف جهدك واجعل كل وقتك في الدعوة إليه تسعد واحذر الفتور والتفريط والكسل في هذا الأمر يقول أحد السلف «العمل للدين شكر للَّه » فمن أعطى التوحيد والدعوة إليه حثالة أوقاته والقليل من همه فكبر عليه أربعاً وقل للفاترين ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة: ٥٤] ، فسابق ونافس واتعب من بعدك في خدمة هذا الدين الذي لا وجود لك إلا به .

ارتبط بالله ولا تقلق أبدا وجد جد أخي المسلم في هذا الأمر وتب وسارع إلى التوبة فيما مضى من تقصيرك في خدمتك لدينك فيما مضى من العمر فليس للعبد مستراح إلا في الجنة تحت شجرة طوبى ولا للمحب قرار إلا يوم المزيد يوم تقر عينه برؤية الله . وهب من الغفلة واعلم أن خير أيامك وأسعدها يوم العودة إلى الله فاصدق في ذلك السير والله ما عمرك من أول يوم ولدت بل عمرك من أول يوم عرفت الله تعالى فيه .

يقول أحد الشباب لما هداه الله : « نحن ولدنا من جديد وعمرنا الحقيقي نحسبه من بداية عودتنا إلى الله ».

وتأملوا أحبتنا بعض كلماتهم الرائعة التي سطّروها بأقلامهم، ومن الجميل في كلمات بعضهم أنها توضح اتجاههم بجدٍ للدعوة بعد صلاحهم . (عودة ودعوة):

أ - (وعزمت على التوبة النصوح والاستقامة على دين الله، وأن أكون داعية خيرٍ بعد أن كنت داعية شرٍ وفساد.. وفي ختام حديثي أوجهها نصيحة صادقة لجميع الشباب فأقول: يا شباب الإسلام لن تجِدوا السعادة في السفر ولا في المخدرات والتفحيط، لن تجدوها أو تشموا رائحتها إلا في الالتزام والاستقامة.. في خدمة دين الله.. في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) .

ب - (فخرجت من البيت إلى المسجد ومنذ ذلك اليوم وأنا - ولله الحمد - ملتزم ببيوت الله لا أفارقها، وأصبحت حريصاً على حضور الندوات والدروس التي تقام في المساجد، وأحمد الله أن هداني إلى طريق السعادة الحقيقية والحياة الحقة) .

ج - (كما أصبحت بعد الالتزام أشعر بسعادة تغمر قلبي فأقول: بأنه يستحيل أن يكون هناك إنسان أقل مني التزاماً أن يكون أسعد مني، ولو كانت الدنيا بين عينيه، ولو كان من أغنى الناس .. فأكثر ما ساعدني على الثبات بعد توفيق الله هو إلقائي للدروس في المصلى، بالإضافة إلى قراءتي عن الجنة بأن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من اللباس والزينة والأسواق والزيارات بين الناس، وهذه من أحب الأشياء إلى قلبي، فكنت كلما أردت أن أشتري شيئاً من الملابس التي تزيد عن حاجتي أقول: ألبسها في الآخرة أفضل) .

د - (وكلما رأيت نفسي تجنح لسوء أو شيء يغضب الله أتذكر على الفور جنة الخلد ونعيمها السرمدي الأبدي، وأتذكر لسعة النار فأفيق من غفلتي.. والحمد لله أني قد تخلصت من كل ما يغضب الله عز وجل من مجلات ساقطة وروايات ماجنة وقصص تافهة، أما أشرطة الغناء فقد سجلت عليها ما يرضى الله عز وجل من قرآن وحديث).

هـ - (لقد أدركنا الحقيقة التي يجب أن يدركها الجميع وهي أن الإنسان مهما طال عمره فمصيره إلى القبر، ولا ينفعه في الآخرة إلا عمله الصالح).

و- (لقد وُلدتُ تلك الليلة من جديد، وأصبحت مخلوقاً لا صلة له بالمخلوق السابق. وأقبلت على تلاوة القرآن وسماع الأشرطة النافعة).

ز - (أتمنى من الله وأدعوه أن يجعل مني قدوة صالحة في مجال الدعوة إليه، كما كنت من قبل قدوة لكثيرات في مجال الفن).

سألونى قالوا كيفما هذا الثبات ... وحولنا فتن تهز الراسيات

أليس يغريك زمان الشهوات ... أليس تشتهى نفسك هذه الحياة

فأجبتهم والقلب يملؤه اعتزاز ... لا تشتهى نفسى لذائذ ناقصات

لما اشتهيتم اشتهيت مثلكم ... لكن أهدافي ستبقى خالدات

اريد قصرا لا يهدده زوال ... أريد عيشا ليس يقطعه ممات

فعقولنا إن لم تبلغنا الجنان ... فحياتنا ليست حياة بل ممات

فأمامنا قبر تشيب له العقول ... وظلامه تخاف منه الظلمات

وبعده حشر ونشر وحساب ... وسوف يخسر من أتى بالسيئات

وسوف يسأل ربنا عن الخطأ ... وسائل عن العيون المبصرات

وسائل عن اللسان والجنان ... وسائل عن كل لحظة بالحياة

فمطالبي فاقت عقول الحائرات ... فلا تلوموني فذا سر الثبات

نبح الكلاب لكن ما ضر السحاب ... هبت رياح والجبال ثابتات

نامت عيون وعيون ساهرات ... باتت تصلى لمجيب الدعوات

فتلك همتها جنان خالدات ... وتلك همتها زخرفة العباة

ليس عيباً أخي أن تفتح صفحة جديدة في حياتك للدعوة إلى الله ولتدون عليها أعمالاً صالحة تكون ضياء ونوراً لك في دنياك، ويوم لقائك لربك، وأنت يومها السعيد، الفائز، المفلح، فلا تقل : من أين أبدأ ؟ طاعة الله البداية .لا تقل : أين طريقي ؟ شرع الله الهداية .لا تقل :كيف نجاتي ؟سنة الهادي وقاية . لا تقل : أين نعيمي ؟ جنة الله كفاية . لا تقل : غدا سأبدأ !! ربما تأتي النهاية ..وكن مفتاحا للخير مغلاقا للشر تفز وتفلح وتسعد ففي الحديث (إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه) [صحيح الجامع رقم:٢٢٢٣] .

فهيا قم وعاهد ربك الآن انك تبت الآن لا تسوف التوبة إلى الغد فما يدريك أصلا تكمل كلامي ورسالتي أم لا !!!

إن كنت في الطريق إلى الله فاركض، وإن صعب عليك فهرول، وإن تعبت فامشِ، وإن لم تستطع كل هذا فسر حبوا، وإياك والرجوع. فلنتواصل بالقلوب وإن أبعدتنا الدروب ولنحيا بالدعاء وإن صعب اللقاء .

نداء أوجهه للشباب الملتزم

أقول : القدوة .. يا شباب ! [يسألونك عن القدوة لعادل العبد العالي (٤٢-٤٣)] حينما يتعلق الشاب الملتزم بالمباريات الرياضية ويتعصب لها، ويجاهر بشغفه بنجوم الملاعب الدولية يقال : القدوة .. يا شباب !.حينما يعتاد بعض شباب التأخر عن الركعة الأولى من صلاة الفجر والعصر أو يتأخرون عن الحضور لصلاة الجمعة يقال : القدوة .. يا شباب ! حينما يلحظ العامة منافسة بعض الصالحين للشباب الضائع في الاهتمام الزائد بالمظهر الزائف والكماليات المترفة وركوب موضة نغمات (الهاتف النقال) ونحوها، يقال : القدوة .. يا شباب ..! حينما يجلس الشاب الملتزم أمام شاشة التلفاز يراقب المذيعة المتبرجة تنقل الأخبار ويتساهل في ذلك، يقال : القدوة .. يا شباب . !.حينما يتساهل بعض الملتزمين في التأخر عن المواعيد أو يماطلون في سداد الديون، يقال : القدوة .. يا شباب . !. حينما يغرق بعض الصالحين في المزاح والصخب في الأماكن العامة ويحصل من ذلك الإزعاج للآخرين ومضايقتهم، يقال : القدوة .. يا

شباب .! حينما يدمن بعض الشباب الملتزم متابعة المسلسلات الهزلية المضحكة في شهر رمضان ويجاهرون بذلك أمام أهليهم، ويسهرون حتى الفجر ثم ينامون وتفوتهم صلاة الظهر جماعة، يقال : القدوة .. يا شباب .!. حينما يجلس شاب ملتزم يغتاب ويشتم ويتهجم على الآخرين أو يسخر من كلامهم وأفكارهم، يقال : القدوة .. يا شباب .!. حينما يرى الناس الصالحين يترخصون في الدخول في الأماكن المختلطة أو الجلوس في المطاعم التي تضج بالمعازف، يقال : القدوة .. يا شباب .!. حينما يتساهل الشاب الملتزم فلا يُلزم زوجته بالحجاب الشرعي ويترك بناته يلبسن القصير أو الضيق، يقال : القدوة .. يا شباب .!. حينما يسافر الشاب الملتزم بأهله إلى بلاد الكفار أو يدخلهم في أماكن الملاهي والمنكرات، يقال : القدوة .. يا شباب .!. حينما يبذر بعض الصالحين في حفلاتهم فيكثرون من الولائم ويسرفون في مظاهر الترف، يقال : القدوة .. يا شباب .!. » أ.هـ

ليس عيباً أن نرى أخطاءنا ... عيبنا الأكبر أن نبقى نعاب

لتكن ذا همة وعزيمة وفأل كبير ولا تتقاعس عن أن تكون قدوة صالحة بحجة أنك وقعت فيها أو في بعضها .

الخاتمة

«الحمد لله رب العالمين، أحمده جل جلاله أن وفقني لتسطير شيء من عظمته، ونزر من جلاله، فلولاه ماخط اليراع ولاجرى القلم، ومن أنا -المخلوق الحقير الضعيف- حتى أكتب عن عظمة رب العالمين، فيا ليت شعري هل يقبل الله تعالى ما كتبته؟ وهل يثيبني عليه يوم العرض إذا جئته؟ وأنا أعلم أني بما كتبت قد حاولت شيئاً عظيما، وأتيت على بحر لا ساحل له، وأمر لا نهاية له، فوالله مهما كتب الكاتبون، ونقل الناقلون فما هم إلا كمغترفين بدلاء من بحر خضم، لكن حسبي أن أُدرج في قافلة من كتب، وأوصل على ذلك من المغفرة بسبب، وأرجو من الله تعالى المثوبة يوم القيامة، والله العظيم هو المستعان وعلى التكلان». [عظمة الله لمحمد موسى الشريف].

أكرر وأقول: أستغفر الله عز وجل من الزلل والخطأ والتقصير فلا أدعي أني وفيت هذا الموضوع حقه فهذه أمر لا تستطيعه كل المخلوقات وقد قال الرسول ﷺ (لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك) [رواه مسلم] فلا يحصي ثناء على الله إلا الله.

أخـــي الحبيب: متّعني الله وإيّاك بالصحة وأسبغ علينا جلباب العافية، وأسدل علينا أستار طاعته ومحبته، أخي حيث لم نستطع أن نجلس سوياً نتجاذب أطراف الحديث ونشكي هموم بعضنا لبعض فإنني كتبت لك هذه الرسالة التي أملاها قلبي، وحملها إليك النصح والحرص على ما ينفعك، فأملي أخي فيك أن تفتح لها أبواب قلبك، وتضمّنها في سويدائه، فإن فعلت أخي فإنك أن شاء الله لن تعدم خيراً تجده فيها، أخي الحبيب والله العظيم لو كنت أملك الهداية والسعادة لبذلتها لك من أول وهلة، لكي أخرجك مما أنت فيه من الهموم والأحزان، والتعب والنصب والأرق، ولكنني أستطيع كغيري بإذن الله فعل السبب من كلمة طيبة ونصح صادق وتوجيه وإرشاد فخذها من قلب محب، فهل قلب الحبيب يسمع؟!!

التسابق للحصول على أعلى الدرجات في الامتحانات واستغلال الأوقات، وحفز

الهمـم لبلوغ أعلى الناصب والمراتب لابد أن يدفعنا لتنافس أكبر لنيل درجات أعظم ثمرتها ليست شهادة على ورق بل جنة عرضها السماوات والأرض، بل لا ينبغي أن تقف آمالنا إلا عند الفردوس الأعلى، تأمل ﴿ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [آل عمران:١٦٣] .

من رأى العبرة فلم يعتبر وسمع المواعظ فلم يتعظ .. وجالس العلماء فلم يتعلم .. وصاحب الحكماء فلم يتفهم .. وقرأ عن العظماء فلم تتحرك همته .. وطالع الكتب فلم ينتفع .. وسمع بل ربما عاين النكبات والنذر والأحداث والعقوبات فلم يرتدع ولم ينزجر .. وغفل عن هول المطلع .. عند غمرات الموت والقبر والقدوم على الله والوقوف بين يديه والمنصرف به إلى إحدى الدارين فهو حيوان يأكل ويشرب وإن كان إنسانا ينطق ويتكلم ..

وعظ الشافعي تلميذه المزني فقال له: اتق اللّه ومثل الآخرة في قلبك واجعل الموت نصب عينك ولا تنس موقفك بين يدي اللّه، وكن من اللّه على وجل، واجتنب محارمه وأد فرائضه وكن مع الحق حيث كان، ولا تستصغرن نعم اللّه عليك وإن قلت وقابلها بالشكر وليكن صمتك تفكراً، وكلامك ذكراً، ونظرك عبره، واستعذ باللّه من النار بالتقوى .[مناقب الشافعي٢/٢٩٤] .

احمل نفسك على طاعة اللّه قبل أن تحمل على رقاب الرجال.

عبد اللّه: إذا همت نفسك بالمعصية فذكرها باللّه فإن لم ترتدع فذكرها بأخلاق الرجال فإن لم ترتدع فذكرها بالفضيحة إذا علم بها الناس فإن لم ترتدع فاعلم أنك تلك الساعة انقلبت إلى حيوان قال الحسن بن عبد العزيز: (من لم يردعه القرآن والموت ثم تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع .) وكان الإمام أحمد – رحمه اللّه – يقول: (من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة، فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع) ويقول عبد العزيز بن أبي رواد. (من لم يتعظ بثلاث لم يتعظ : بالإسلام والقرآن والشيب) وفي ختام كتابي إليك أسباب السعادة وصفات السعداء :

إن من يريد أن ينال السعادة، وهو لم يأخذ بأسبابها يصدق عليه قول الشاعر:

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السفينة لا تجري على اليبس

فلنقف معا على أسباب السعادة وصفات السعداء
لعل الله أن يوفقنا للأخذ بها

١- الإيمان بالله، والعمل الصالح : يقول الله تعالى ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل:٩٧] أي فلنحيينه حياة سعيدة .وكلنا يريد الحياة الطيبة، فعلينا بالعمل الصالح مع الإيمان ﴿ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [البقرة:٦٢] وقال ﷺ (عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد، إلا للمؤمن، إن أصابته سراء، شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء، صبر، فكان خيراً له) [مسلم] .

والحذر كل الحذر من معصية الله يقول ﷺ : (لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمدا، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله، ولا تشربن خمرا، فإنه رأس كل فاحشة، وإياك والمعصية، فإن بالمعصية حل سخط الله، وإياك والفرار من الزحف، وإن هلك الناس، وإن أصاب الناس موت فاثبت، وأنفق على أهلك من طولك، ولا ترفع عنهم عصاك أدبا، وأخفهم في الله) [حسن لغيره الألباني صحيح الترغيب والترهيب] .

٢-الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره : فكله من الله -سبحانه وتعالى- فاعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك .وهذه الصفة من أهم صفات السعداء، إذ لا يمكن أن تحصل السعادة إلا لمن يؤمن بالله، ومن الإيمان بالله الإيمان بقضاء الله وقدره، والرضا بقسمه، لأن الإنسان في هذه الحياة لا بد أن ينتابه شيء من الهموم والمصائب، فإن لم يؤمن بالقضاء والقدر، هلك .

٣- العلم الشرعي : فالعلماء العارفون بالله هم السعداء.

٤- الإكثار من ذكر الله وقراءة القرآن .

٥- انشراح الصدر وسلامته من الأدغال: فانشراح الصدر وطلبه من علامات السعادة وصفات السعداء.

٦- الإحسان إلى الناس: وهذا أمر مجرب، ومشاهد، فإننا نجد الذي يحسن إلى الناس من أسعد الناس، ومن أكثرهم قبولاً في الأرض. فقضاء حاجات عباد الله أحب إلى الله من اعتكاف المسلم في بيت من بيوت الله، مع ما في الاعتكاف من إحياء الليل وقراءة القرآن والبعد عن الفتن، ولكن مع ذلك فقضاء حاجات ذوي الحاجات أحب إلى الله من ذلك. ولذا لما جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دَيناً، أو تطرد عنه جوعا، ولئن أمشي مع أخ لي في حاجة أحبّ إلي من أن أعتكف في هذا المسجد شهراً - في مسجد المدينة - ومن كفّ غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى يثبتها له ثبّت الله قدمه يوم تزول الأقدام). [رواه الطبراني في الكبير وقد صححه الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (٩٠٦)] وقال عليه الصلاة والسلام: (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار) [رواه البخاري ومسلم]. وقال ﷺ (من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن يسر على معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه). [رواه مسلم].

وقد كان من السلف إذا أمل الناس فيه أملاً فلم يجدوه عندهم يبكون، كسفيان بن عيينة رحمه الله: جاءه سائل يسأل فلم يجد عنده، فلما انطلق السائل بكى سفيان. فقيل له: ما يبكيك وأنت ما قصرت؟ قال: وأي مصيبة أعظم من أن يؤمل فيك رجل فلا يجد أمله! يرى أن هذه مصيبة.

إذا هَبَّتْ رياحُك فاغتنمْها ... فإنّ لكل خافقةٍ سكونُ

ولا تزهَدْ عن الإحسان فيها ... فما تدري السكونُ متى يكونُ

وإن دَرَّتْ نياقك فاحتلبها ... فما تدري الفصيل لمن يكون

خير أيام الفتى يوم نفع ... واصطناع الخير أبقى ما صنع

٧- النظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا وإلى من هو فوقك في أمور الآخرة : كما ورد في التوجيه النبوي الكريم حين قال ﷺ (انظروا إلى من هو أسفل منكم، فهو أجدر ألا تزدروا نعمة اللّه) [مسلم] . هذا في أمور الدنيا، لأنك إذا تذكرت من هو دونك، علمت فضل اللّه عليك .

أما في أمور الآخرة فانظر إلى من هو أعلى منك، لتدرك تقصيرك وتفريطك لا تنظر إلى من هلك كيف هلك ولكن انظر إلى من نجا كيف نجا .

٨- قصر الأمل وعدم التعلق بالدنيا، والاستعداد ليوم الرحيل : يقول الشيخ عبد الرحمن السعدي في كلمة جامعة مع أنها قصيرة : (الحياة قصيرة، فلا تقصرها بالهم والأكدار) وهاك أخي هذه المحاورة القيمة التي دارت بين نفر، من المتخلين عن الدنيا، المتأهبين ليوم الرحيل: جلس نفر من الصالحين يتذاكرون، ويتساءلون حول قصر الأمل. فقيل لأحدهم : ما بلغ منك قصر الأمل ؟ فقال : بلغ مني قصر الأمل أنني إذا رفعت اللقمة إلى فمي، لا أدري أأتمكن من أكلها أم لا !! إن الحياة -يا أخي- قصيرة، فلا تزدها قصرا ومحقا بالهموم والأكدار .

٩- اليقين بأن سعادة المؤمن الحقيقية في الآخرة لا في الدنيا: قال تعالى ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [هود:١٠٨] ويقول ﷺ : (الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر) [مسلم ٢٩٥٦].

وهنا قصة عجيبة لابن حجر العسقلاني -رحمه اللّه- خرج يوما بأبهته -كان رئيس القضاة بمصر- فإذا برجل يهودي، في حالة رثه، فقال اليهودي : قف، فوقف ابن حجر، فقال له : كيف تفسر قول رسولكم : (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) فقال ابن حجر: أنت مع تعاستك وبؤسك تعد في جنة، لما ينتظرك في الآخرة من عذاب أليم -إن مت كافرا- وأنا مع هذه الأبهة -إن أدخلني اللّه الجنة- فهذا النعيم الدنيوي يعد سجنا بالمقارنة مع النعيم الذي ينتظرني في الجنات . فقال : أكذلك ؟ قال : نعم . فقال : أشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمداً رسول اللّه .

١٠- مصاحبة الأخيار والرفقة الصالحة : ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر القرين على قرينة، فهو مشهود، ومجرب، وواضح من خلال الواقع، ومن خلال التاريخ . ولذلك قال الرسول ﷺ : (مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير..) [متفق عليه] .

١١- أن تعلـم أن أذى النـاس خيرلك ووبال عليهـم : قال إبراهيم التيـمي : (إن الرجل ليظلمني ، فأرحمه) ويروى أن ابن تيمية أساء إليه عدد من العلماء وعدد من الناس ، وسجن في الإسكندرية . فلما خرج ، قيل له : أتريد أن تنتقم ممن أساء إليك ؟ فقال : قد أحللت كل من ظلمني ، وعفوت عنه ، أحلهم جميعاً ، لأنه يعلم أن ذلك سعادة له في الدنيا والآخرة .

١٢- الكلمة الطيبة ، ودفع السيئة بالحسـنة : قال تعالى ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[فصلت: ٣٤] فتأمل يا أخي هذا الإرشـاد الإلهي العظيم .وقال تعالى . واصفاً عباده المؤمنين ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[الفرقان: ٧٢] .

لمّا عفوت ولم أحقد على أحـــد أرحت نفسي من هـم العداوات

إني أحيي عـدوي حيـن رؤيتـــه لأدفـع الشـر عني بالتحيّـــات

١٣- الالتجاء إلى الله وكثرة الدعاء : سـلاح المؤمن وهو الصلة بين العبد وربه ، هو السـبب إذا انقطعت الأسـباب والباب إذا أغلقت الأبواب هو الحبل المتين والسلاح المبين ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة:١٨٦] ، فليسأل العبدُ ربَّه وليتضرع إليه ليلاً ونهاراً بلسان صادق وقلب خاشع بأن يرزقه خشيته ومراقبته في السر والعلن . اللَّهم ارزقنا خشيتك في السر والعلن .

هذا ما وسـعنا جمعه بعون اللَّه وتوفيقه فإن وقع على الحال التي أردنا وبالمنزلة التي أملنـا فذلك بتوفيق اللَّه وحسـن تأييده وان وقع بخلافها فما قصرنا في الاجتهاد ولكن حرمنا التوفيق فيه واللَّه سبحانه وتعالى أعلم.

وحسـبي أني قصدت وسعيت وما كان في هذا العمل من صواب فمن اللّه وحده وله الفضل والحمد والمنة وما كان فيه من خطأ فمن نفسي وأستغفر اللّه منه .

وبعد .. فيا أيها القارئ لهذا الكتاب: (لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه . لك ثمرته وعليه تبعته . فما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله ، ولا تلتفت إلى قائله . بل انظر إلى ما قال لا إلى مـن قـال .وقد ذم اللّه تعالى من يرد الحق إذا جاء به من يبغضه ، ويقبله إذا قاله من يحبـه . فهذا خلق الأمة الغضبية . قال بعـض الصحابة : «اقبل الحق ممن قاله ، وإن كان بغيضًـا ورد الباطل على مـن قاله وإن كان حبيبًا » ؛ فإن قائله لم يأل جهد الإصابة . ويأبى

اللَّه إلا أن يتفرد بالكمال). [نقلاً عن مدارج السالكين: ٣/٥٢٢].

من روائع الأخوة في اللَّه أن يتذكر المرء أنه في كل لحظة هناك من يدعو له :

ما دعوة أنفع يا صاحبي — من دعوة الغائب للغائب

ناشدتك الرحمن يا قارئاً — أن تسأل الغفران للكاتب

فأكثر من الدعاء بظهر الغيب لأخيك المسلم فلك من الدعاء نصيب ويؤمن على دعائك ملك وأيضا مستجاب وغير أنك تساعد أخيك المسلم يقول ﷺ (ما مِن عبْدٍ مُسْلِمٍ يَدعُو لأَخِيهِ بِظَهرِ الغَيْبِ إلاَّ قَالَ المَلكُ ولَكَ بمِثْلٍ) [رواه مسلم] ويقول ﷺ : (دَعْوةُ المرءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابةٌ عِنْد رأْسِهِ ملَكٌ مُوكَّلٌ كلَّمَا دعا لأَخِيهِ بخيرٍ قَال المَلَكُ المُوكَّلُ بِهِ : آمِينَ، ولَكَ بمِثْلٍ) [رواه مسلم] لنستغل المحبة بالنصح والمودة وليكن شعارنا كن مستعدا للقاء اللَّه ولن نقف إلا في الجنة بمشيئة اللَّه.

أسأل اللَّه أن يرضى عنا فليس بعد رضا اللَّه إلا الجنة فالجنة أمنية الصالحين ومهوى أفئدة السالكين فما دمعت العيون إلا شوقا إليها ولا رفرفت القلوب إلا حبا لها جعل اللَّه لقاءنا بنبينا هناك فلنشمر ولندع غيرنا.

فمالك يوم الحشر شيء سوى الذي — تزودته قبل الممات إلى الحشر

أعيناي هلا تبكيان على عمري — تناثر عمري من يدي ولا أدري

إذا كنت قد جاوزت خمسين حجة — ولم أتأهب للممات فما عذري

سلام إذا حان وقت مماتي — وغطى التراب الطهور رفاتي

وصرت بظلمة قبري وحيدا — ولا من شفيع سوى حسناتي

فلا تذكروني بسوء فيكفي — الذي قد جنيت طوال حياتي

تَبرّأتُ من حولي وطَوْلِي وقوّتي — وإني إلى مولاي في غاية الفقرِ

له الفضلُ كلُّ الفضلِ أسلمت مُهجتي — إليه فما لي حين أنساه من عذرِ

- وأخيراً، اللَّهم إنك تسمع كلامي، وترى مكاني، وتعلم سري وعلانيتي، ولا يخفى عليك شيء من أمري، أنا البائس الفقير، المستغيث المستجير، الوجل المشفق، المقرّ بذنبه، أسألك مسألة المسكين، وأبتهل إليك ابتهال المذنب الذليل، وأدعوك دعاء الخائف الضرير، من خضعت لك رقبته، وذلّ لك جسده، ورغم لك أنفه .

صَدر للمؤلف عفا اللّه عنه :

١ : (الإِحــداد) و(رســائل أُخرى : الصَّبر، خُطــورة الفَتوى، موعظة، كلمة لا بُد منهــا في أخطر القَضايا وأهمها) تقريظ الشيخ : عبد اللّه بن جبرين، تقديم الشيخ : سليمان الماجد ١٤١٨ ﻫ (ط : مكتبة المعارف) .

٢ : (أخطاءٌ شائعة واعتقادات باطلة تتعلَّق بِشهرِ رمضان وزكاة الفِطرِ والعيدين) بتقريض الشيخ : عبد اللّه بن جبرين . وتقديم : الدكتور صالح بن محمد الحسن . ١٤١٦ﻫ (ط : مكتبة المعارف) .

٣ : (أَفراحنا وما لَها وما عليها ومُعالجة بَعض الظّواهر) بِتقريظ الشّيخ عبد المحسن البنيان . ١٤١٨ ﻫ (ط : دار الذخائــر) – وللكتاب طبعة أُخرى : مَزيدة ومُنَقَّحة ومُخرَّجة الأَحاديث والآثار مع الحكم عليها تَصحيحاً وتَضعيفاً ١٤٢٨ﻫ (ط : دار ابن خزيمة) .

٤ : (وَفاةُ سَيِّدِ البَشَرِ صلى اللّه عليه وسلم : وما فيها منَ العِظاتِ والعِبَرِ) ١٤٢ . ﻫ (ط : مكتبة المعارف).

٥ : (بِدَعٌ وأَخطاءٌ شائِعةٌ في الجَنائِزِ والقُبورِ والتَّعازِي) تقريظ الشيخ : عبد اللّه بن جبرين ١٤١٤ ﻫ (رسالة صَغيرة) (ط : مطابع الكفاح) .

٦ : (أخلاقٌ على طريقِ الضّياعِ) ١٤٢٤ﻫ (ط : دار ابن الجوزي) .

٧ : (تَزَوَّد للذي لا بُدَّ منهُ) .١٤٢٣ . ﻫ (ط : دار القاسم) .

٨ : (خمســمائة حديث لم تثبت في الصِّيام والاعتِكافِ وزكاة الفِطرِ والعيدَين والأَضاحي) ١٤٢٣ﻫ (ط: دار ابن الجوزي) .

٩ : (بِــدَعٌ وأَخطاءٌ شــائِعةٌ في الجَنائِزِ والقُبورِ والتَّعازِي) تقريظ الشــيخ : عبــد اللّه بن جبرين وهو كتابٌ مَبسوط ١٤٢٣ﻫ (ط : مكتبة المعارف) .

١٠ : قصص وعبر ووقفات ووصايا وعظات ١٤٢٧ﻫ (ط : دار ابن خزيمة)

١١ : بدع وأخطاء تتعلق بالأيام والشهور تقريظ الشيخ : عبد اللّه بن جبرين ١٤٢٧ﻫ (ط: دار القاسم) .

١٢ : إتحاف الملاح فيما يحتاجه عاقد النكاح.تقديم الشيخ عبد اللّه المحيسن ١٤٢٥ﻫ (ط:دار ابن الجوزي).

١٣ : أحاديث لم تثبت في العقيدة والعبادات والسلوك ١٤٢٨ﻫ (ط:مكتبة الرشد) .

١٤ : إتحاف الأنام بما يتعلق بالصلاة والسـلام على خير الأنام صلى اللَّه عليه وسـلم مسائل وفضائل وصيـغ بـدع ومواطن وفتاوى وأحكام ويليه ملحق ب(بيان أحاديث لم تثبت في الصلاة على النبي صلى اللَّه عليه وسلم ١٤٢٨هـ (ط: دار القاسم) .

١٥ : ثلاث رسائل في الدفاع عن العقيدة :

(١) الرسالة الأولى : القوادح العقدية في قصيدة البوصيري البردية .

(٢) الرسالة الثانية : تنبيهات على ما في دلائل الخيرات من شطحات.

(٣) الرسـالة الثالثة : إتحاف الأحياء بخلاصة الكلام على أبي حامد وكتابه الإحياء. تقديم العلامة الشيخ د: عبد اللَّه بن جبرين عضو اللجنة الدائمة سـابقا والشـيخ د: سـعد بن ناصر الشثري عضو هيئة كبار العلماء والشيخ عبد المحسن بن محمد البنيان مدير مركز الدعوة والإرشاد بالدمام سابقا ١٤٢٨ هـ (ط: مكتبة الرشد).

١٦ : منزلة الفتوى وعظم الإقدام عليها وأن السلف كانوا يتوقونها وتجرؤ كثير من الناس في هذا الزمان من القول على اللَّه بغير علم تقديم : صاحب السماحة : مفتي عام المملكة (ط: ١٤٣٢ مكتبة المعارف بالرياض) .

١٧: القرآن الكريم فضائل. آداب. قواعد . بدع . مسـائل فوائد .فتاوى. صفحات ناصعـة ونماذج سـاطعة لسلفنا الصالح مع القرآن الكريم ويليه: ملحق أحاديث لم تثبت تتعلـق بالقرآن الكـريم.(ط١٤٣١ دار ابن خزيمة) .

١٨ : تنبيه المشـيع للموتى والزائر للمقابر إلى بدع ومخالفات وتنبيهات وملاحظات وعظات ومسـائل تتعلق بالمقابر (ط:١٤٣١ ابن خزيمة) .

١٩ : أخبار واهية وأسـاطير وغرائب وإرهاصات قرنت بمولده صلى اللَّه عليه وسـلم .دحض شـبه واهية متهافتة ١٤٣٢ (مكتبة المعارف بالرياض) .

٢٠ : وأدهى من الموت ما وراء هـ فماذا يا ترى أعددنا له!!!!! ؟؟؟ ١٤٣١ (دار بلنسية) .

٢١ : رسالة موجزة ببيـان أخطاء ومخالفات مشتهرة عند القبور منتشرة تقديم : صاحب السماحة : مفتي عام المملكة ١٤٣٢ (مكتبة المعارف بالرياض) .

٢٢ : رسـالة في بيان بدع ومخالفات وأخطاء شـائعة واعتقادات باطلة وظواهـر سيئـة غريبة ومظاهر فارغـة ومفاهيم خاطئة وقصص وحكايات خرافية وأخبار باطلة منكـرة وعبارات وألفاظ موهمة وأمثال وتقاليد ومقالات وأفكار للشرع مخالفة مشتهرة شائعة منتشرة.

٢٣ : رســالتان موجزتان : الرســالة الأولى: تنبيهات مختصرة وملاحظات مهمة تتعلق بتشــييع الأمـوات الرسالة الثانية : الرسالة المختصرة في بيان ما يتعلق بالأيام والشهور من بدع مشتهرة] تقديم صــاحب السماحة: مفتي عام المملكة ١٤٣٢ (دار بلنسية) .

٢٤ : (أخطاءٌ شائعة واعتقادات باطلة تتعلَّق بِشهرِ رمضان وزكاة الفِطرِ والعيدين والاعتكاف وصيـام الست من شوال والقرقيعان مع فوائد وفرائد ومواعظ ورقائق) الطبعــة الثانية مزيدة منقحـــــة مصححة . ١٤٣١ (مكتبة المعارف) .

٢٥ : [بـــدع وأخطاء شــائعة واعتقادات باطلة تتعلــق بالأضــاحي] يليهــا [أحــــــاديث لم تثبـت في الأضاحي] يليها موعظة .

٢٦ : رسالة بعنوان : اللَّه جل جلاله يراني ووقفات. مع نماذج ساطعة وقصص رائعة

٢٧ : – [إنه اللَّه العظيم جل جلاله انتبه الأمر جلل] وهذا هو الكتاب .

وفي الطريق غيرها وللَّه الحمد والفضل والمنة أولا وآخرا ظاهرا وباطنا

[أنظر في هذا الكتاب]

فضل القراءة وأهمية الكتاب، العلم الخشـية، وقفة لا بد منها . إذا لم يتغير حالك بعد علمك بعظمة العظيم جل جلاله فاتهم نفسك . هل تعلم ؟ لن ترتوي يا قلب إلا بنفحـة إيمان ولن تكتحلي يا عين إلا برؤية الرحمن . كلمة تزلزل القلوب، وتهز الأركان، تقشـعر جلود المؤمنين عند ذكرها إنه العظيم .ما أجمل الحياة مع الله . الله لا نمل من ذكره . وقفات مع أعظم آية في كتاب الله . هنالك سؤال مهم هو لماذا يعصي الإنسان ربه ؟ سؤال بسيط في شكله وصياغته؛ ولكنه عظيم في مضمونه .كيف بفؤادك وقلبك إذا تذكرت عظمة الله تعالى وعظيم كبريائه ؟ فهل نحن معظمون لله أم لا ؟ تعظيم الله هو الحياة الحقة للقلوب فجاء الكتاب ليخدم هذا الغرض . لماذا سطرت هذا الكتاب ؟موقف الإسـلام من التطورات العصرية .إهداء عنوان المحبة اثنان لا تنسـاهما أبداً: الله العظيم جل جلاله والدار الآخرة . مسـألة خطيرة، باب السـعادة الأعظم، سـبب وجودك وسره في هذه الحياة وقدومك إلى هذا الكون هل عرفت الله حق معرفته ؟.الذكر الحقيقـي . (وَمَـا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) عظمة الله وقوته وقدرته الملائكة، المعجزات، الكون السماوات الزلازل البراكين الصواعق البرق الرعد الخسوف الكسوف الفيضانات الطوفان والعواصف الرياح الأعاصير، وقفات معها .إهلاك الأمم الكافرة وكيف دمرهم الله وهم في قمة قوتهم وجبروتهم. خفَتَتْ عظمةُ الله في نفوس بعضِ المسلمين، وعظُـم في نفوسـهم قـدرُ قوى الأرض البشـريّة، حـين رأوا مُنجزاتِ الحضـارة المادّية ونتاجِها العلمي وهذا التطوّرُ السريع، والنموُّ الكبيرُ في آليّات التقدّم المادّيِّ، جعَل فئاما مِـن الخلق يصابـون بالانبهار، . إذا كانت هذه المواهب والقدرات والفهوم والعقول هي خلق من خلقه، فكيف بقدرة مانحها؟ وعلم معطيها؟ وعظمة واهبها. فحريٌّ بالمسلمين حينَ تهزّهم عظمة البشر؛ استحضارُ عظمة خالقِ البشرِ سبحانه .نماذج من عظمة الله التفكر في مخلوقات الله .هل يجوز التفكر في ذات الله ؟ حكم من وسوس له الشيطان بقولـه : من خلـق الله ؟ ما العلاج ؟الأدلة على وجـود الله .(أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون) مقولة بعضهم: الله ما رأيناه لكن بالعقل عرفناه، حكمة خلق الحشـرات والوحـوش، عظمـة الله في لطفـه في تودده في رحمتـه لخلقه ومن صفات الله الرقيب القريب الشـهيد مراقبة الله أنت مراقب من قبل الله فانتبه . نماذج ساطعة في مراقبة



الله والحياء منه وتعظيمه. أقوال للسلف في ذلك .الوسائل التي تعين على تحقيق تعظيم الله منها كيف عظّم ا الله السـلف ..هل أنت معظم لله ؟؟ كيف أختبر نفسي في قضية تعظيم الله تعالى ؟ : كيف نعظم كلام الله عز وجل . كيف نعظم الله تعالى .تعظيم أسماء الله عز وجل : ليس من تعظيم الله : نماذج من تعظيم الله : تعظيم السلف للنبي ؟!: تعظيـم السـلف لله في الفتيا !! قف أيها العاقـل .. أين نحن مـن تعظيـم الله عز وجـل .. !! ليس من تعظيم الله قلب النعال .من تعظيم غير الله سبحانه . مسائل في التأمل والتفكر. مسألة خطيرة : هل يجوز التفكر في ذات الله عز وجل ؟ مسألة : حكم من وسـوس له الشـيطان بقوله : من خلق الله. علاج ذلك. انتبه . التوحيد التوحيد .ما هي جنة الدنيا ؟ صلاة الفجر هي مقياس حبك لله عز وجل .هل بذلت الجهد لتحقيق محبة لله . لمن يريد الفوز والنصر . زمان ينطق الشـجر والحجر ؟.السـهر خطر. قنوات السوء . سبيل النجاة . تنبيه .السفر لبلاد الكفر والعهر وشـروط جوازه . تنبيه مهم . مواقع الكفر التي تثير الشبهات . مسألة خطيرة : الفريضة المضيعة قال تعالى -في شأن بلقيس -

{ وَكَشَـفَتْ عَن سَاقَيْهَا } النمل: ٤٤ ففيه دلالة على أن ثوبها كان طويلا ساترا لساقيها، وهي من ؟! امرأة كافرة..الغفلة عن يوم الرحيل الموت . القيامة ما ذا أعددنا لها . الحماقة الكبرى التي لا يرتكبها إنسـان يسـمع ويرى. المحاورة القيمة .لحظة من فضلك .!في اللحظات القليلة التي قرأت فيها أسـطرا معدودة من هذا الكتاب .قد مات الكثير من الناس !!وللأسف منهم من مات على معصية والعياذ بالله !!!! ما يدريك لعل اسمك – لا قدر الله – يكون التالي . تذكر! أن الشخص الذي مات قبل لحظة !قد ظن مثل ظنك وقال لنفسـه.. عندي وقت !!! المـوتى من أهل الغفلة يا ترى ماذا يتمنى أحدهم لو ردت له الحياة ؟!! هل سيسمع أغنية أم يكمل متابعة الفلم إنه ليتمنى أن يسجد لله ولو سـجدة أو يسـبح تسـبيحة علها أن تهون عليه ما سـيلاقيه من أهوال. حسن الخاتمة ونمـاذج ::» غدًا نلقـى الأحبة : محمدًا وصحبه. سـوء الخاتمة نماذج. رجل عرف بحبه للأغاني وترديدها، فلما حضرته الوفاة ..يقول أحدهم : لقد كنا سهرانين ونشرب الخمر ومعنا ..ثم سجد إكراما لجمالها وبينما هو ساجد وماذا ؟ أحدهم في تلك الليلة الحمراء، يقال له : قل لا إله إلا الله، فيرد الشـاب – عياذا بالله – : إليك عني، زدني كأس خمر، تعالي يـا فلانة، ثم فاضت روحه .. .ثم كان حال الثلاثـة الآخرين لما رأوا صاحبهم وما آل إليه

أمره أخذوا يبكون، وخرجوا من المرقص تائبين، وجهزوا صاحبهم، وعادوا به إلى بلاده محمولا في التابوت، ولما وصلوا المطار فتحوا التابوت ليتأكدوا من جثته، فلما نظروا إلى وجهه فإذا عليه كدرة وسواد – عياذا بالله . خاتمة أحد المدمنين في المخدرات يا لها من نهاية تعيسة منكوسة . من منـــا اشتاق للقاء الله ؟؟ من منـــا أصبح قلبه يصدر أنينا وحنينـا للذة النظر إلى وجه الله .ما أفضل الصدقة ؟ من يحمل هم أرزاقنا. أيامنا، حياتنا كلها من الله وإلى الله فلتُبذل في سبيل الله، الإسلام كائن بك أو بدونك، فإما أن تكون أو لا تكون، بعض كلمات العائدين التي سـطَّـــروها بأقلامهم (عــودة ودعــوة)، يقول أحد الشباب لما هداه الله : « نحن ولــدنا من جديد وعمرنا الحقيقي نحسبه من بدايـة عودتنا إلى الله ». تنبيه مهم : قم وعاهد ربك الآن أنك تبت الآن لا تسوف التوبة إلى الغد فما يدريك أصلا تكمل كلامي ورسالتي أم لا !!!!!!!


تم بحمد الله

طبع هذا الكتاب على نفقة أحد المحسنين «جزاه الله خيراً»

وريعه للمكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالمبرز في الأحساء



المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد
وتوعيــة الجاليــات بالمبــرز

Mubarraz Islamic Center



المملكة العربية السعودية - ص.ب 66433 الأحساء 31982
الإدارة العام: المبرز شارع - المدينة المنورة
جوال: 0544235543 هاتف: 0135311204
فاكس: 0135311665

إدارة الجاليات: حي الحزم الشمالي - مسجد المطران
هاتف: 01358774000
الإدارة النسائية:
هاتف: 0561349462

حساب التبرع العام « الراجحي » : SA2680000210608010208888

taawonimobarraz
قناة تعاوني المبرز
@taawonimobarraz
taawoni Almobarraz
www.bushra-sa.com
taawonimobarraz@gmail.com